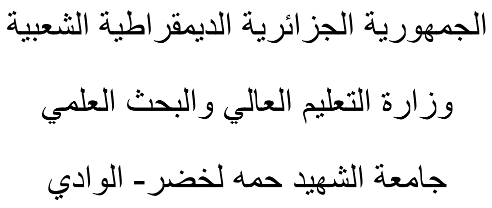






الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية **قسم: التاريخ**

عنوان الأطروحة

علماء المذهب الظاهري ببلاد المغرب وآثارهم العلمية خلال العهد الموحدي 6-7هـ / 12-13م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الوسيط

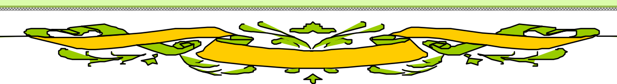
إعداد الطالب:
حسن بن تيشة

إشراف:
أ. د. البشير غانية
مشرف م: د. أحمد بن خيرة

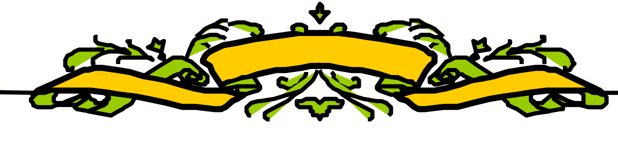
لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
عمار غرايسة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	رئيسا
البشير غانية	أستاذ تعليم عالي	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
أحمد بن خيرة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مشرفا مساعدا
سليم حاج سعد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مناقشا
علال بن عمر	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مناقشا
موسى هواري	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر 2	مناقشا
سالم كربوعة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة بسكرة	مناقشا

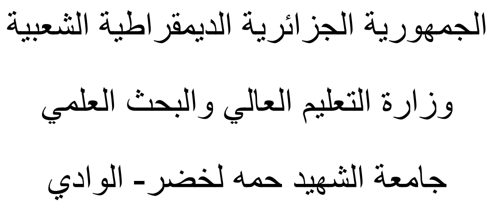
الموسم الجامعي: 1443-1444هـ/ 2022- 2023 م











الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية **قسم: التاريخ**

عنوان الأطروحة

علماء المذهب الظاهري ببلاد المغرب وآثارهم العلمية

خلال العهد الموحدي 6-7هـ / 12-13م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الوسيط

إعداد الطالب:
حسن بن تيشة

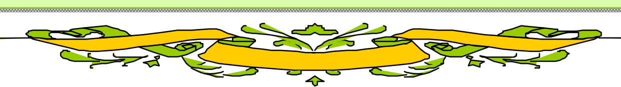
إشراف:
أ. د. البشير غانية
مشرف م: د. أحمد بن خيرة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
عمار غرايسة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	رئيسا
البشير غانية	أستاذ تعليم عالي	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
أحمد بن خيرة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مشرفا مساعدا
سليم حاج سعد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مناقشا
علال بن عمر	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مناقشا
موسى هواري	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر 2	مناقشا
سالم كربوعة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة بسكرة	مناقشا

الموسم الجامعي: 1443-1444هـ/ 2022- 2023 م








بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

***** لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النّاسَ ***** رواه أبو سعيد الخدري

بعد جهد كبير وعمل طويل تم بحمد الله انجاز هذه الأطروحة فالحمد لله أولا وأخيرا عدد خلقه ورضاء نفسه وزينة عرشه ومداد كلماته عدد ما ذكره الذاكرون غفل عن ذكره الغافلون واصلي واسلم على مصباح الهداية سيدنا محمد صل الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

في هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بكل عبارات الشكر والعرفان والتقدير للمشرف الأستاذ الدكتور **البشير غانية** لما تفضل به علينا من وقته الثمين وجهده الكبير والتوجيه المستنير مع صبره عليا وأنا أكابد عناء ومشقة البحث

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة والى كل الأساتذة بالكلية وأخص بالذكر أساتذة تاريخ الوسيط وعلى رأسهم الدكتور **أحمد بن خيرة** وكل الزملاء والطلبة الذين تعرفت عليهم في مساري الجامعي، كما أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى الدكتور **عبد القادر بليلة** الذي اشرف على المراجعة اللغوية.

كما لا يفوتني أن اشكر أهل الخير وخدمة العلم والمعرفة ومسيري جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شعبة بليلا وعلى رأسهم رئيس الجمعية الأستاذ عبد القادر بليلة.

واعترافا مني بفضل الرجال أتقدم بشكري وامتناني لكل من الأستاذ علي بوزيدي والطالب جعفر بوزيدي على ما بذلوه من اجلي فأسأل الله العلي القدير أن يجازيهم عنا خير الجزاء.

وفي الأخير الشكر موصول إلى كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.



إهداء

الحمد لله ربي العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله ورعاهما.

إلى كل أفراد أسرتي.

إلى روح جدي وجدتي رحمهما الله.

إلى كل الأصدقاء ومن كانوا برفقتي وصحبتي في دراستي بالجامعة.

إلى كل من لم يدخر جهدا في مساعدتي.

المختصـــــــــرات

- ت: توفي
- تح: تحقيق.
- تر: ترجمة.
- تع: تعريب.
- ج: جزء.
- د.س: دون سنة.
- د.ط: دون طبعة.
- د.م: دون مكان.
- ص: صفحة.
- م: ميلادي.
- مج: مراجعة.
- هـ: هجري.
- ع: عدد.
- مج: مجلد

مقدمة

مقدمة:

تمهيد

عرفت بلاد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط ظهور العديد من المذاهب الفقهية، التي وفدت من المشرق إلى بلاد المغرب في إطار مذهبي سياسي، على غرار المذهب المالكي والمذهب الظاهري، هذا الأخير شهد انتشارا تدريجيا في المنطقة، وقد برز المذهب في شخصيات معينة في بداية أمره إلى غاية مجيء محمد بن علي بن حزم الظاهري، الذي يعد المؤسس الثاني للمذهب بعد داود بن علي الأصفهاني، فنظّر له ووضع أسسه وألّف في قواعده وناظر وجادل من أجله ودافع عنه بشراسة من أجل تثبيته، فذاع صيته في الآفاق وانتشر في كافة ربوع الأندلس بشكل فردي، وبمجيء الدولة الموحدية تبنى حكامها المذهب الظاهري وفرضوه بمنطق القوة على علمائها، وانتقلت الظاهرية من ظاهرية الفكرة –أي ظاهرية نظرية– إلى ظاهرية الدولة، وعرف انتعاشا كبيرا وثورة على مستواه، فتمّ الاهتمام به وإحياء أمجاده والرجوع إلى كتب تأصيله وتنظيره التي أُلِّفت من طرف مؤسسيه (داود بن علي– وابن حزم) ونشطت حركة التأليف عليه، وتنافس العلماء في إبرازه وتِبيانه، كل هذا برعاية الدولة الموحدية، من أجل تثبيت هذا المذهب وإفراده في البلاد فنتجت عنه حركة علمية وفكرية زاخرة، والتي بصدد معرفتها ودراستها فجاء البحث موسوما بـــ "**علماء المذهب الظاهري وآثارهم العلمية ببلاد المغرب خلال العهد الموحدي 6–7هـ/12–13م**".

فكانت الدوافع والأسباب في اختيار البحث كالتالي:(أسباب ذاتية أسباب موضوعية)

الأسباب الذاتية:

– الاهتمام بمعرفة المذاهب الفقهية وخاصة المذهب الظاهري في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط الذي تبنته الدولة الموحدية.

– الرغبة في إبراز علماء الغرب الإسلامي ومكانتهم العلمية.

– الوقوف عند جانب مهم من جوانب الحضارة الإسلامية في مظاهر التعايش المذهبي.

الأسباب الموضوعية:

يعتبر موضوع المذهب الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من المواضيع التي لم تُعن بالدراسة من طرف الباحثين في التاريخ، وتُعتبر الدراسات فيه شبه قليلة، وهذا نتيجة انحصار المذهب في فترات قليلة من تاريخ بلاد الغرب – فترة ملوك الطوائف وفترة الدولة الموحدية– لذا أردت ولوج هذا الموضوع والتعرف عليه ومعرفة الحركة المذاهب الفقهية في بلاد المغرب.

محاولة التعرف على المذهب الظاهري في بلاد الغرب الإسلامي والتعريف به، إذ يعتقد عددا من الباحثين أنّ المدرسة الظاهرية في المغرب والأندلس تنحصر في ابن حزم وبعض تلاميذه والمتأثرين به، لكن الأمر أوسع من ذلك وأكبر بكثير، فقد عرف العهد الموحدي وجود عددا معتبرا من علماء الظاهرية، الذين برزوا في مؤلفات وكتب تراجم علماء المذاهب الأخرى على غرار كتب تراجم المالكية.

بما أن المذهب الظاهري كان له موطأ قدم في بلاد الغرب الإسلامي، فبطبيعة الحال أن له علماء حملوا على عاتقهم هذا المذهب الفقهي وله آثار علمية سواءً تنظرية للمذهب أو إحيائية له أو حواشي عليه أو شروحا لعلمائه أو ردا على خصومه في إطار المناظرات

وغيرها من دواعي التأليف، ففي هذا البحث أردت محاولة إبراز هؤلاء العلماء وآثارهم التي خلفوها.

يعتبر المذهب الظاهري من المذاهب التي خالفت المرجعية الفقهية لبلاد المغرب المتمثلة في المذهب المالكي وفَتنِ علمائه في المغرب والأندلس، لذا أردت التعرّف على أحد فصول هذا السجال المذهبي الذي خيّم على بلاد المغرب ردحا من الزمن.

لم تقتصر المدرسة الظاهرية على أصول الفقه وإصدار الأحكام الشرعية على ضوء الأصول الفقهية المعترف بها في المذهب فقط، بل تعدّى تأثيرها إلى الموضوعات الأدبية كالنحو مثلا وإلى علوم الآلة التي كان النهج الفكري الظاهري مصبوغا بها، فنستطيع القول إن المذهب الظاهري الفقهي قد أصبح منهجا معتمدا في دراسة كافة العلوم الأخرى وانتقل من مذهبٍ فقهيٍ خاص إلى منهاج ظاهريٍ متكامل.

إن هذه الدراسة تسلّط الضوء على علماء المذهب الظاهري ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط والتنقيب على علمائه في كتب المصادر التاريخية والتراجم والطبقات والتعرف عليهم وإبراز مؤلفاتهم العلمية في المذهب، و طريقة رجوعهم إلى النص الأصولي والأخذ بظاهره وإحياء أمجاده من المؤسسين ودثر كتب الفروع وعلاقاتهم بالمذاهب الأخرى التي وقع الاصطدام معها كالمالكية، ومعرفة موقفهم من الفرق الإسلامية العقدية كالأشعرية والمعتزلة خلال الفترة الموحدية، وتقتضي هذه الدراسة وضع تساؤلا علميا حتى نقف على تاريخ علماء المذهب الظاهري وآثارهم العلمية خلال العهد الموحدي.

إذا فالإشكالية التي يطرحها الموضوع تتضح في:

ما مدى مساهمة علماء المذهب الظاهري في إثراء الحياة العلمية ببلاد المغرب خلال العهد الموحدي؟

وللإجابة على الإشكالية الأساسية نقوم بطرح تساؤلات فرعية أهمها:

- **ما أسباب ظهور وانتشار المذهب الظاهري في بلاد المغرب والأندلس؟**
- **ما مميزات وخصائص المدرسة الظاهرية؟**
- **كيف ساهم خلفاء الدولة الموحدية في تقريب علماء أهل الظاهر؟**
- **ما هي أهم الإنجازات التي برز فيها علماء أهل الظاهر؟**
- **كيف تأثرت العلوم الأدبية بالمذهب الفقهي الظاهري؟**
- **ما طبيعة العلاقة بين المذهب الظاهري والمذاهب الأخرى في بلاد المغرب؟.**

إنّ طبيعة الموضوع التي تُرَكِّز على تقصي وتتبع علماء المذهب الظاهري ببلاد المغرب وآثارهم العلمية وإلى طبيعة المصادر المتوفرة لدينا، وجب علينا السير وفق المنهج التالي:

المنهج التاريخي: والذي استخدمته في جمع المادة التاريخية واستخلاص المعلومات التي تهتم بالموضوع، من خلال التّعريف بالمذهب وانتقاله إلى المغرب والأندلس وإبراز دور ابن حزم في خدمة المذهب، وبيان ظاهرية الدولة الموحديّة رجوعا إلى المصادر التاريخية التي اهتمت بها. وذلك بقراءة الكتب التراجم والطبقات واستخراج منها ما يهمّ موضوع البحث، وجمع المادة العلمية منها، لأن علماء الظاهرية ليس لهم ترجمات خاصة بهم، بل

ترجماتهم موجودة في ثنايا كتب المذاهب الأخرى. وقد اعتمدت في بحثي على ذلك أثناء تناول العلاقات بين الظاهرية والمالكية، والفرق الإسلامية العقدية، بالإضافة إلى علاقات الظاهرية بأهل الذمة، كما اعتمدت عليه في معرفة أسباب اهتمام حكام الموحدين بالمذهب الظاهري، وكذلك أسباب حرق الدولة الموحدية لكتب الفروع المالكية انتصارا للمذهب الظاهري. ويظهر هذا المنهج جليا في الفصل الثاني والثالث من دراستي خلال إحصاء علماء الظاهريين وجدولتهم، وبيان كتبهم ومؤلفتهم والتّعريف بها.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على خطة بحث مفصلة كالتالي: مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة.

اشتملت **المقدمة** على تمهيد للموضوع، وضبط الإطار الزماني والمكاني للموضوع بالإضافة إلى أسباب اختيارنا للموضوع، وطرح الإشكالية الأساسية والإشكالات الفرعية والمنهج المتبع في الدراسة، ونقد أهم المصادر والمراجع التي خدمت الموضوع والتعرض للصعوبات التي واجهتني.

أما **الفصل التمهيدي**، فقد عنونته بالمذهب الظاهري ظهوره بالمشرق وانتقاله إلى الأندلس، وتناولت فيه نشأة المذهب الظاهري بالمشرق و كيفية انتشاره وطريقة انتقاله إلى الأندلس ودور ابن حزم في التمكين له في بلاد المغرب والأندلس.

أما **الفصل الأول،** فقد أخذ عنوان الحضور الظاهري وسياقاته السياسية خلال العهد الموحدي وتضمّن هذا الفصل أربعة مباحث: المبحث الأول الدولة الموحدية نشأتها ودعائمها المذهبية تناولت قيامها على يد محمد بن تومرت وأفكاره المتنوعة ويليه عبد المؤمن بن علي الذي رسخ أركانها المذهبية، أما المبحث الثاني فقد تناولت ظاهرية الدولة الموحدية بين الافتراق والارتباط وحاولت إبراز ما تناولته المصادر التاريخية حيال هذه المسالة والتي ذهبت في غالبها إلى إثبات ظاهريتهم، أما المبحث الثالث فقد تناولت فيه علماء الظاهريون ضمن البلاط الموحدي واهتمام السلاطين بالمذهب الظاهري وتقريب علمائه من سلطتهم بصفتهم يشتركون في المذهب، لنختم الفصل بمبحثٍ عنوانه تجليات المذهب الظاهري في الفكر والممارسة لدى الدولة الموحدية في المجالات والتأثيرات.

أما **الفصل الثاني** والمعنون بالإنتاجات العلمية الدينية لعلماء المذهب الظاهري في العهد الموحدي والذي تضمن ثلاثة مباحث: الأول الإسهامات في مجال القرآن وعلومه والمبحث الثاني في علوم الحديث، أما المبحث الأخير فكان في أصول الفقه.

أما **الفصل الثالث** فقد حمل عنوان الإنتاجات الأدبية لعلماء المذهب الظاهري في العهد الموحدي والذي تضمن ثلاثة مباحث أيضا: المبحث الأول تناولت فيه إسهامات الظاهريين في الشعر الفصيح، أما المبحث الثاني فقد حمل عنوانه انتشار الموشحات والأزجال في العهد الموحدي، والمبحث الثالث تناولت فيه ثورة علماء الظاهر في النحو خلال الفترة المدروسة.

أما الفصل الرابع والأخير الذي يحمل عنوان الظاهريون والأخر بين الجدل والحوار تضمن هذا الفصل أربعة مباحث وهي: الأول تناولت فيه طبيعة العلاقة بين الظاهرية والمالكية وازدهار علم المناظرة والجدل، أما المبحث الثاني فعنوانه موقف رجال الظاهرية من الفرق الإسلامية ذكرت الشيعة والمعتزلة والأشاعرة، أما المبحث الثالث فقد تناولت فيه الظاهريون والتصوف في عصر الموحدين لنختم الفصل بالمبحث الرابع بالظاهريين و أهل الذمة.

وفي **خاتمة** هذا الموضوع استخلصت مجموعة من الاستنتاجات وأجبت فيها على التساؤلات المطروحة ودعمت الموضوع بملاحق وبعض الصور التوضيحية التي تزيد من تسهيل الموضوع إلى ذهن القارئين والباحثين.

تحليل المصادر والمراجع

المصادر

– **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني (644هـ /714هـ)** تحقيق عادل النويهض الطبعة الثانية منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت 1979م.

يُعد الكتاب من كتب التراجم التي ترجمت لعلماء بلاد المغرب وبجاية على التحديد التي هاجر إليها عددا من العلماء والأدباء من كافة مدن الغرب الإسلامي وحتى مشرقه في إطار العلاقات، وترجم فيه لأكثر من مائة وأربعين عالما من رجال القرن السابع الهجري وعاصر العهدين الموحدي والحفصي، ويُعد أهم كتاب للمدينة خلال هذا العصر، وقد استفدت من

هذا الكتاب ووظفته في بحثي من خلال ترجمته إلى بعض علماء الظاهريين الذين أشار إليهم في معرض بيانه أنهم ينتحلون الظاهرية.

– **كتاب المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين عبد الملك ابن صاحب الصلاة (**ت:594هـ/1198م) تحقيق عبد الهادي تازي الطبعة الثالثة دار الغرب الإسلامي، لبنان،1987م.

يُعد كتاب المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين لعبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المكنى أبا مروان وابن صاحب الصلاة وسمي بهذا اللقب لأنه كان يؤمّ الناس في صلواتهم كأحد الوظائف في الدولة الموحدية الكتاب يتألف من ثلاثة أجزاء لم يلحقنا منها إلا الجزء الثاني الذي تناول ثورة المريدين بالأندلس ودولة عبد المؤمن ومن أدرك بحياته من بنيه وقد استفدت من الكتاب خلال سرده لأحداث الدولة الموحدية وخاصة في بدايتها ويحمل الكتاب بعض الترجمات لشخصيات مهمة بالإضافة إلى غزارة المادة الشعرية بالكتاب التي استفدت منها في الجانب الأدبي من الموضوع المدروس.

– **التكملة لكتاب الصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي** المؤرخ والأديب والسياسي الأندلسي (ت:658هـ/1260م) يعتبر الكتاب تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال الذي أكمل به الأخير كتاب تاريخ الأندلس لابن الفرضي الكتاب عبارة عن ترجمة أعيان الأندلس وعلمائها وشعرائها يتخلله الكثير من النُّبذ التاريخية الهامة، ووضعه ابن الأبار إجابة لطلب أستاذه أبي الربيع بن سالم كبير علماء الشرق الأندلسي أراد به أن يكون تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال، وقد انتهى من وضعه سنة 636هـ وبقي ينقحه ويزيد فيه حتى قبيل وفاته بعامين.

لم يختص الكاتب في ترجمته علماء الظاهرية لكن المتقصّي لكتابه الذي يُعدّ تأليفا معاصرا لمرحلة انتعاش المذهب الظاهري يستطيع أخذ منه تراجم لعلماء الذين صرح الكاتب على مذهبهم بقوله مثلا "وكان من أهل الظاهر".

– **المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م)**، صدر عن دار الكتب العلمية، وهو مؤرخ مغربي ولد ونشأ في مراكش ودرس في فاس وعمل بالأندلس وأدى فريضة الحج واستقر بعدها بمصر، ويعتبر كتابه المعجب من الكتب التي تناولت تاريخ دولتي المرابطين والموحدين من جانبه السياسي والأدبي والعلمي والاجتماعي اعتمدت الكتاب في الفصل الأول الذي يتناول قيام الدولة الموحدية وبيان ظاهريتها الذي يُعد مما شهد حرق كتب الفروع.

– **طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي(ت771هـ/1370م)** يتناول الكتاب مواضيع الحديث والفقه والتاريخ والأدب ومجموع الفوائد، يتميز بتراجمه الكاملة على طريقة المحدثين والأدباء وكان كتابه حافلا بالأسانيد، اعتمدت الكتاب في تراجم علماء أهل الظاهر خاصة المؤسس الأول للمذهب الذي كان شافعيا ثم تحول إلى ظاهري وكما ترجم لغيرهم من العلماء الذين درس على يديهم.

المراجع

اعتمدت في كتابة هذه الرسالة على مجموعة معتبرة من المراجع والكتب المتخصصة، ودراسات سابقة، والتي تناولت الفترة الموحدية عامة والمذهب الظاهري في العهد الموحدي على وجه الخصوص، ومن هذه الكتب والمؤلفات المهمة نذكر:

– **ادوار المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى السابع هجريين العاشر الثالث عشر ميلاديين لمبارك بشير**، وهي رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط وقد ركّز

على فترة الموحدية وبيّن فيها دور المذهب الظاهري علميا وفكريا وقد استفدت منها في فصلها الخامس(دور المذهب الظاهري علميا وفكريا) والذي يُعد صلب موضوعي.

– **كتاب الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين لعبد الباقي السيد عبد الهادي،** الذي طبعته دار النشر دار الأفاق العربية بمصر سنة 2014م والكتاب عبارة عن رسالة دكتوراه للمؤلف تحدث فيها على المالكية والظاهرية قبل عصر الموحدين في بلاد المغرب والأندلس وكيفية انتشارهما، وبين تبيانا تاريخيا برجوعه إلى المصادر التاريخية المغربية التي دونت تاريخ الموحدين مثل كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي وابن الأحمر بيوتات فاس الكبرى، ما لا يدَع مجالا للشك في ظاهرية الدولة الموحدية، وأنهى شبه الجدل القائم على عدم ظاهرية الدولة الموحدية، كما تناول في فصول كتابه أثر المالكية والظاهرية في الأوضاع السياسية، وبيّن العلاقة الموجودة بين الدولة الموحدية والفقهاء من الظاهريين والمالكيين.

فقد استفدت من الفصل الثالث في الكتاب المعنون بأثر المالكية والظاهرية في الحياة العلمية والفكرية الذي أسهب في سرد الإنتاج العلمي لعلماء المذهبين من الجانب الديني والأدبي والعقلي وشرح نُظمهم التعليمية في هذه الفترة، وقد استفدت من المادة التي عرضها عن علماء المذهب الظاهري، والتي كانت ممزوجة مع المالكية في الفصل، كما نهلت منه في الفصل الأخير وهو موقف الظاهرية من الفرق الإسلامية الطرق الصوفية وأهل الذمة.

– **كتاب تاريخ أهل الظاهر من (الخلفاء والولاة والأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والمحدثين والمفسرين والمؤرخين والصوفية والقراء والنحاة والبلغاء والشعراء والفلاسفة والأطباء والصيادلة والمجاهدين والموسيقيين والمهندسين والتجار والنساء) لصاحبه عبد الباقي السيد عبد الهادي** نشرته دار الأفاق العربية بمصر طبعته الأولى 2014م يتألف الكتاب من 980 صفحة وهو كتاب ماتع زاخر، عبارة عن ترجمة لعلماء الظاهر منذ نشأة المذهب إلى عصرنا الحالي

استهله كاتبه بتبيان النهج الظاهري عند الصحابة وبين أن المذهب الظاهري من مذاهب أهل السنة كما بين أصوله واسترسل في ترجماته، وبما أن الكاتب مؤرخ فقد اتبع الترتيب التاريخي في ترجمته للعلماء أي تاريخ الوفاة لكل مُتَرجَم وفقا لموضوعه العلمي، فكان العمل رائدا مفيدا وبحكم موضوعي محصور في الدولة الموحدية فكان اهتمامي منصب بعلماء هذا العصر واستفدت منه في ترجمته لهم طوال بحثي وكان الكاتب لا يترجم لعالم إلا إذا ذكرت المصادر أنه ظاهري أو يقول بالظاهر أو له توجهات تُبرز ظاهريته أو له مؤلفات دالة على ظاهريته.

- **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها أعلامها أصولها وأثرها لتوفيق بن أحمد الغلبزوري**، وهي رسالة دكتوراه مطبوعة في مكتبة دار ابن حزم بالرياض المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى 2006م.

بيّن المؤلف فيها نشأة المدرسة الظاهرية على يد داود بن علي وأصول المدرسة الظاهرية الفقهية وانتقالها إلى الأندلس وانتشارها وظهور ابن حزم المفكر الظاهري الذي دافع عن المذهب الذي أوشك أن يندثر، وأسس للمدرسة الظاهرية الأندلسية التي كانت لها صدا كبيرا في الغرب الإسلامي.

بيّن صاحب الكتاب الانتقال من ظاهرية الفكرة إلى ظاهرية الدولة وهذا يسقط على الدولة الموحدية، كما بين ظاهرية حكامها إبتداءً من المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي مرورا إلى باقي حكام الدولة، كما بين صاحب الكتاب الانتقال من الظاهرية الفقهية إلى الظاهرية النحوية عند علماء اللغة وخاصة ابن حزم وابن مُضَاء القرطبي، وابن حيان النحوي.

ليختم موضوعه بأثر المدرسة الظاهرية على علوم الدين بالمغرب والأندلس –علوم القرآن والحديث وأصول والفقه– وبين تأثيرها في ازدهار علم الأصول وعلم الجدل والمناظرة كما بين أثر المدرسة على الفقه المعاصر.

الصعوبات

لابد لكل عمل علمي من عراقيل ومطبات تقف في وجه الباحث، وقد واجهت العديد من الصعوبات منها ما هي متعلقة بالبحث العلمي بصفة عامة، ومنها صعوبات متعلقة بالموضوع المدروس على وجه الخصوص.

ومن بين الصعوبات التي واجهتني في هذا الموضوع هو أن حدود التماس بين التمذهب بالظاهر والعمل بالأثر دقيقة ولا تكاد تتميز في كثير من أعمال المحدّثين ومجالس علمهم ومؤلفاتهم، وما عُرفوا به عند من ترجم لهم، فكلا الاتجاهين قصدهما العودة إلى النص والنهل منه على ضوءه والدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد وعدم الغلو في إعمال الرأي والنظر وإن كان مذهب الظاهر يتميز بنفي القياس، لذلك وجدنا في كثير من التراجم نسبة العلماء إلى مذهب الظاهر وهم من أهل الأثر لأنهم يقولون بظاهر الكتاب والسنة ونسبة أهل الظاهر إلى اتجاه الأثر لكونهم يشتغلون به ويفقهونه الأمر الذي صعب المهمة وجعل من الاتجاهين يبرز في فترة الموحدين ويتصدران مجالس الحديث والتأليف.

ومن الصعوبات التي واجهتني هي اعتماد الدراسة على كتب الفقه والمذاهب الإسلامية خاصة المذهب المالكي(أصوله: الكتاب والسنة والإجماع القياس المصالح المرسلة عمل أهل المدينة الاستحسان الاستصحاب ما جرى به العمل) والشافعي هذا الأخير انبثق منه المذهب الظاهري، فكان مؤسسه من كبار محدثي الشافعية وكان يبطل الرأي والقياس نتيجة اختلاف معه في الأصول التشريع الإسلامي(مذهب الشافعي) نفي القياس جملة مما جعل

الدراسة متعددة المشارب والمصادر منها كتب الأصول وكتب الفقه والمذاهب والفرق الإسلامية وكتب التراجم.

ومن الصعوبات التي تعرضت لها: تأثر بعض العلماء المذهب المالكي بالمذهب الظاهري، وهذا راجع إلى سلطان الدولة الموحدية أو التأثر بالفكر الظاهري، و قربهم من مراكز صنع القرار في الدولة الموحدية الظاهرية، فظهر ذلك في بعض كتاباتهم و أقوالهم مما يجعلك للوهلة الأولى تصبغهم بالصبغة الظاهرية لكن لما ترجع إلى كتب التراجم والطبقات تجدهم مترجم لهم بأنهم مالكية وهذا ما يجعلك تنفي ظاهريتهم رغم تأثرهم بالظاهرية.

ومن العراقيل التي وجدتها هي أن الاتصاف بالظاهرية تعتبر أمرا مستهجنا ومستقبحا في بعض الأوساط العلمية، مما يجعل التعاطف مع بعض العلماء وتصنيفهم على غير الظاهرية وان وجد لهم ميولا أو شيئاً يسيرا من الفكر الظاهري فإنهم يُنتشلون من المذهب وهذا في الحقيقة يحتم عليك رفض هذه الشخصيات تفاديا للشك واللبس.

رغم هذه الصعوبات التي واجهتني لم تحل دون الوصول إلى الأهداف المسطرة بفضل الله أولا وبمعية وتوجيه الأستاذ المشرف على دراستي الذي أتقدم له بجزيل الشكر والعرفان.

وفي الأخير نقول إن هذا العمل ما هو إلا خطوة من خطوات نحو إماطة اللثام على التاريخ بلاد المغرب الإسلامي المذهبي المغمور في ثنايا المصادر التاريخية داعين المولى عز وجل التوفيق والسداد.

الفصل التمهيدي:

المذهب الظاهري: ظهوره بالمشرق وانتقاله إلى الأندلس

__أولا:__ نشوء المذهب الظاهري بالمشرق

__ثانيا:__ مجالات انتشار المذهب الظاهري بالمشرق

__ثالثا:__ دخول المذهب الظاهري إلى الأندلس

__رابعا:__ ابن حزم ودوره في التمكين للمذهب الظاهري بالأندلس

أولا: نشوء المذهب الظاهري بالمشرق

1. مولد ونشأة داود بن علي الظاهري

ظهر المذهب الظاهري على يد الفقيه المجتهد داود بن علي بن خلف الأصبهاني مولى أمير المؤمنين المهدي، وكان رئيس أهل الظاهر[1]، وُلد بالكوفة سنة (200–270هـ/816–884م)، في بغداد بالعراق واستوطنها، أُشتهر بالظاهري،عُرف بالأصبهاني[2] نسبة إلى أمه، يعتبر المؤسس الأول للمذهب الظاهري بالمشرق، ويُعد أحد الأئمة الأعلام المجتهدين في الدين[3].

نشأ الإمام داود بن علي بن خلف الظاهري على المذهب الشافعي[4] في بداية أمره، فقد تخرج على يد تلاميذ الإمام الشافعي والتقى بكثير من أصحابه كأبي ثور[1]، وساهم في

[1] مبارك بشير، المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي عوامل الدخول والانتشار، **الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية** مجلد 9، العدد 1، جوان 2018، ص 354.

[2] بفتح أو كسر الهمزة، وهي منطقة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها وتُعد إقليما بعينها في بلاد فاس معروفة بأنهارها ومجاريها وظلالها الوارفة. للمزيد ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي(ت626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، مج1، ص 206.

[3] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تح: إحسان عباس د.ط، دار صادر، بيروت، دس، ج2، ص 257.

[4] نسبة إلى الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (150- 204هـ/767–820م)، ولد بمدينة غزة بفلسطين وانتقل إلى مكة مع أمه، كان شديد الذكاء، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وتعلم اللغة العربية ودرس على يد الإمام مالك بالمدينة، وأسس مذهبه الذي يعتمد على الأصول التالية: الكتاب– السنة– الإجماع– أقوال الصحابة القياس، له عدة تصانيف في المذهب منها: كتاب "الأم" و"الرسالة". للمزيد ينظر: سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات – النشأة – التاريخ – العقيدة– التنوع التاريخي، ط3، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2005، ص 162.

التأليف على المذهب الشافعي، فألف كتابين في فضائل الإمام الشافعي ولهذا صنفه السبكي في كتابه "طبقات الشافعية" في عِداد الشافعية وكان معجبا أيما إعجاب بالإمام الشافعي ومذهبه الفقهي، الذي يقدم النقل على العقل وانتصاره للسنة وبُعده عن الرأي[2].

وعن تمذهب الإمام داود بن علي الأصبهاني بالشافعية يقول تاج الدين السبكي في طبقاته عن عمر بن أحمد بن بجير قال: سمعت داود بن على يقول: "دخلت على إسحاق بن راهويه وهو يحتجم فجلست فرأيت كتب الشافعي فأخذت انظر إليها فصاح بـ إسحاق ماذا تعمل؟ فقلت: معاذ الله إن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده قال فجلس يضحك ويبتسم"[3]، وفي هذا دلالة واضحة أن الإمام داود كان من كبار الشافعية وعلمائها الذين كان لهم دور في الدفاع على مذهب الشافعية خاصة في عصر ظهور الفرق الإسلامية والتنوع الثقافي الذي ظهر في عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد.

---

[1] هو العلامة الإمام الحافظ الحجة المجتهد مفتي العراق أبو ثور الكلبي البغدادي الفقيه يكنى أبا عبد الله ولد في حدود (170هـ/786م) يُعد أحد تلاميذ الإمام الشافعي حدّث عنه الإمام مسلم، وأبو داود، وابن ماجة، وغيرهم توفي سنة (240هـ/855م). للمزيد ينظر: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء تح: حسان عبد المنان، د.ط، بيت الأفكار الدولية، د.م، د.س، ج12، ص 73.

[2] توفيق بن أحمد الغلبزوري الإدريسي، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها أعلامها أصولها وآثرها، ط1، دار بن حزم، الرياض، 2006م، ص 71.

[3] تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي(ت771هـ/1370م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح حمد الحلو و محمود محمد الطناحي، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، د.م، 1992، ج2، ص 83.

ويُعد عصر داود بن علي الأصبهاني من العصور الذهبية للخلافة العباسية عاصر ثمانية من الخلفاء العباسيين. أولهم المأمون وأخرهم المعتمد[1] وشهدت هذه الفترة انتعاشا كبيرا في الحياة العلمية للخلافة لاسيما العلوم الشرعية وتتميز هذه الفترة بـ :

– شيوع مهاجمة القياس الفقهي بعد اكتمال المذاهب الفقهية الأربعة[2] سواء من المحدثين أو من أهل الظاهر الذين كانوا يرون أن الشريعة تَعَبُدَ محض لا مجال فيها للنظر أو القياس[3].

– وفرة دواوين السنة مما جعل مهاجمي القياس يؤكدون على أن السنة جُمعت من مختلف الأصقاع الإسلامية وتوفرت على ذخيرة كبيرة من الأحكام من كل فرع من فروع الفقه، وبالتالي يمكن الاستغناء على القياس[4].

– النفور من الرأي والإعراض عنه، وذلك راجع إلى ما ظهر من المعتزلة[5] في إحكام العقل والخضوع له والتجرؤ على الدين والتكلم في صفات الله عز وجل.

---

[1] الخلفاء الذين عاصرهم الإمام داود: المأمون– المهدي– المعتصم– الواثق – المتوكل على الله– المنتصر بالله– المستعين بالله– المعتز بالله– المهتدي بالله– المعتمد على الله.

[2] ويقصد بها المذاهب التي ظهرت في القرنين الثاني والثالث هجريين على يد الأسماء اللامعة لكبار الفقهاء من تابعي التابعين الذين قيظ الله لهم تلاميذ كثر دوّنوا فتواهم وحفظوا أقوالهم، ونقلوها لمن بعدهم وهي المذاهب السنية الأربعة المشهورة، المذهب الحنفي، والمالكي، الشافعي، والحنبلي. للمزيد ينظر: سعد رستم، المرجع السابق، ص 144.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري ، المرجع السابق، ص ص 65، 66.

[4] نفسه، ص 66.

[5] هي إحدى الفرق الكلامية الإسلامية، ظهرت على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، اللذين كانا تلميذان في حلقة الحسن البصري، وكانت بدعتهم في أول أمرهم في مسائل الإيمان، ثم زادوا عليها إنكار القدر والصفات. للمزيد ينظر:

كل هذه الأسباب جعلت من الإمام داود بن علي الظاهري يبني منهجه على الفكر الظاهري وتقديس النص الشرعي[1].

2. تحول الإمام داود بن علي الأصبهاني من الشافعية إلى تأسيس مذهب خاص به

بعد ما درس الإمام داود المذهب الشافعي وبرع فيه، تلقى الحديث على كبار محدثي[2]عصره، كسليمان بن حرب، والقعنبي، ومسدد بن مسرهد[3]، ثم رحل إلى نيسابور ليأخذ عن إسحاق بن راهويه أحد كبار علماء الحديث والسنة، وهذا الأخير يُعد من مدرسة الحديث[4] وأهله الذين يذمون الرأي والقياس ولا ينفوه تماما، وكذلك كان أهل الحديث بالمغرب والأندلس كقاسم بن أصبغ وغيره، فإتجاه إسحاق إلى الأثر وذمه لأهل الرأي وأصحاب المقاييس هو الذي أخذ به الإمام داود بن علي الأصبهاني بعده واستغرق فيه وذهب إلى نهايته، ثم اتخذ لنفسه مذهبا مستقلا مبتكرا أساسه الأخذ بالظاهر وإنكار الرأي

سفر بن عبد الرحمان الحوالي، أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د.ط، د.م، د.س، ص 8. ينظر أيضا إيهاب كمال الفرق الإسلامية، د.ط، الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 78.

[1] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص ص 65، 66، 67.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر- من الخلفاء والولاة والأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والمحدثين والمفسرين والمؤرخين والصوفية والقراء والنحاة والبلغاء والشعراء والفلاسفة والأطباء والصيادلة والمجاهدين والموسقيين والمهندسين والتجار والنساء، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2014، ص 194.

[3] هو الإمام الحافظ الحجة أبو الحسن الأسدي البصري أحد أعلام الحديث ولد في حدود (150هـ/767م) كان من الأئمة الإثبات حدث عنه البخاري وأبو داود والنسائي والترمذي. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق ج10، ص 591.

[4] وهي مدرسة تميز علمائها بأخذ ظاهر النصوص الشرعية دون البحث في العلل وقلما يفتون بالرأي وقد ظهرت هذه المدرسة في المدينة. للمزيد ينظر: سعد رستم، المرجع السابق، ص 142.

وإبطال القياس قائلا: "إن في عموميات الكتاب والسنة ما يفي بالأحكام وما لم نجد نصا على حكمه فقد تجاوز الله عنه"[1].

ومن خلال كلام الإمام داود بن علي الأصبهاني في مرحلة شافعيته واجتهاده في تطوير المذهب الشافعي حتى وصل إلى نقطة لا تصلها المدرسة الشافعية، وقد كانت هذه الآراء- أن الأحكام مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله دون إعمال الرأي والقياس بصفة مطلقة- داعية إلى عدم الرضا عن هذا المذهب الجديد فتصدى للرد عليه بعض الشافعية مثل أبو العباس بن سريج[2] المتوفي سنة (305هـ/918م) الذي وضع كتاب عنوانه "الرد على المخالفين من أهل الرأي وأهل الظاهر" وكانت له مناظرات مع الإمام داود بن علي الأصبهاني[3].

---

[1] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني(ت548هـ/1153م)، الملل والنحل، ط1، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فأعود، دار المعرفة، لبنان، 1993، ج1، ص 243.

[2] هو الإمام شيخ الإسلام فقيه العراقيين أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي ولد في أربعينيات القرن الثالث للهجرة له ردود على الإمام داود الظاهري. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج14 ص201.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 72.

كما تصد لداود أيضا الإمام المزني[1] صاحب الإمام الشافعي وقد ذكر تاج الدين السبكي في طبقاته أنه وقف على رسالة لداود الظاهري تدل على عظيم معرفته للجدل وكثرة صناعته في المناظرة وكان موضوع الرسالة هو "الرد على المزني الشافعي"[2].

ويعتبر الإمام داود بن علي الأصبهاني مؤسس المذهب الظاهري ومقعّد أصوله، فكان كثير الرد على مخالفيه في الدفاع على مذهبه، وقد ناظر وجادل في أصول مذهبه الإمام أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي[3] أحد كبار الحنفية وشيوخها الكبار وكان فقيها مناظرا بارعا واعتزاليا فأفحمه وقطعه وجلس في بغداد يدرّس بها نتيجة غلبة أهل الظاهر عليها[4].

---

[1] وهو الإمام العلامة الفقيه المحدث أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري ولد سنة (175هـ/792م) حدث عنه الشافعي ونعيم بن حماد كان قليل الرواية عمدة في الفقه قال عنه الشافعي المزني ناصر مذهبي (ت264هـ/878م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج12، ص 493.

[2] تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، المصدر السابق، ج2، ص 286.

[3] هو العلامة أحمد بن الحسين أبو سعيد البردعي أحد الفقهاء على مذهب أبي حنيفة ومن المتكلمين على مذهب المعتزلة أخذ على أبي علي الدقاق وموسى بن نصر وهو أستاذ أبي الحسن الكرخي وأبي الطاهر الدباس وأبو عمرو الطبري ناظر داود في الفقه. للمزيد ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي(ت476هـ/1083م)، طبقات الفقهاء، تح: إحسان عباس د.ط، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ص 92.

[4] تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، المصدر السابق، ج2، ص 73.

ومن جملة الردود التي كانت موجهة للمذهب الظاهري –حديث النشأة– كانت من طرف أحد تلاميذ الإمام داود بن علي الأصبهاني وهو الإمام محمد بن جرير الطبري[1] الذي ألّف كتابا في الرد على شيخه سماه "الرد على ذي الأسفار"[2].

3. شيوخ الإمام داود بن علي الأصبهاني

جمع عصر الإمام داود بن علي الأصبهاني الظاهري بين أهميتي الزمان والمكان: فالأول يتمثل في القرن الثالث للهجرة وما يتوفر عليه من علماء أجلاء في الدين نتيجة قربهم من زمن الصحابة، أما المكان فهو بغداد عاصمة الخلافة وقتها وتعتبر مركز إشعاع علمي دون منازع ومقصدا للعلماء والفقهاء والمحدثين ومن هؤلاء الفقهاء الذين تتلمذ على يديهم الإمام داود بن علي الأصبهاني نذكر[3]:

الإمام أبو ثور إبراهيم بن خالد ابن أبي اليمان الكلبي البغدادي المتوفى سنة (246هـ/861م) ببغداد يُعدّ أحد الأئمة الأعلام فقها وعلما وورعا، روى عن وكيع والشافعي وابن عيينة أخذ عنه الإمام داود بن علي الظاهري فقه الشافعي[4]، وروى عنه

[1] هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري الإمام العلم المجتهد، ولد سنة (224هـ/839م) أحد تلاميذ الإمام داود الظاهري والذي خالفه في مذهبه له عدة تصانيف منها تاريخه المشهور بأخبار الأمم والملوك توفي سنة (310هـ/923م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج14، ص 268.

[2] سعد رستم، المرجع السابق، ص 147.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 66.

[4] نفسه، ص 66.

أيضا أبو داود وابن ماجة، وأخذ عنه الإمام مسلم وكان أحد الأعلام الثقات المأمونين في الدين قال فيه أحمد بن حنبل: "هو عندي في مسلاخ سفيان الثوري"[1].

إسحاق بن راهويه ولد إسحاق سنة 161هـ وقيل سنة 163هـ وقيل سنة 166هـ وتوفي في نيسابور سنة (238هـ/853م)، وهو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي أبو يعقوب المرزوي نزيل نيسابور أحد الأئمة المسلمين وعلماء الدين اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد يُعد أحد أئمة الإسلام[2] رحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام وعاد إلى خرسان، روى عنه الجماعة سوى بن ماجة، قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: "إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من إسحاق وكان يحفظ سبعين ألف حديث وأُذاكر بمائة ألف حديث[3].

عبد الله القعنبي: توفي سنة(221هـ/836م)، وهو عبد الله بن مسلمة بن قعنب أبو عبد الرحمان المدني، أحد الأئمة الأعلام، نزل البصرة وروى عن مالك وهو أحد رواة الموطأ عنه بالإضافة إلى ابن أبي ذئب وشعبة وحماد بن سلمة، كان يسمى الراهب لعبادته وفضله روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وعبد الله بن حميد وأبو زرعة وأبو حاتم وداود بن على الظاهري وغيرهم[4].

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج1، ص 26.

[2] نفسه، ص 119.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج1، ص ص 199، 200.

[4] نفسه، ج3، ص 40.

سليمان بن حرب الازدي البصري ت سنة (224هـ/839م) أحد الأعلام وإمام من الأئمة الكبار، كانت مجالسه عامرة وكان مجلسه عند قصر المأمون، نزيل مكة وقاضيها روى عنه الإمام أحمد وابن راهويه والفلاس والبخاري والدّارِمي. قال بن سعد في الطبقات: "كان ثقة كثير الحديث ولى قضى مكة ثم عُزل فرجع إلى البصرة فلم يزل بها حتى مات أخذ عنه الإمام داود الظاهري العلم منذ صباه[1].

مسدد بن مسرهد بن مسريد الأسدي روى عن ابن عيينة والفضيل بن عياض ويحي القطان وغيرهم وروى عنه البخاري وأبو داود والجرجاني ويعقوب بن شيبة وداود بن علي الظاهري وآخرون[2].

4. مؤلفات الإمام داود بن علي الأصبهاني

لداود مصنفات كثيرة فاقت ثمانية عشر ألف ورقة[3] نذكر منها على سبيل المثال: كتاب "الإيضاح" وكتاب "الإفصاح" وأيضا "الأصول" و "الدعوى والبينات" وكذلك "كبير في الفقه" وفي الدفاع عن أهل السنة له "الذب عن السنة والأخبار" و "الرد على أهل الافك" ونجد أيضا "صفة أخلاق النبي" وكتاب "الإجماع" وكتاب "إبطال القياس" وكتاب "خبر الواحد وبعض موجب للعلم" ومن مؤلفاته أيضا "الإيضاح" وكتاب "متاب المعرفة" وكتاب

---

[1] نفسه ،ج2، ص 419.

[2] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 68.

[3] ابن النديم(ت384هـ/994م)، الفهرست، د.ط، دار المعرفة، بيروت لبنان، د.س، ص 271 . الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج13، ص 102.

"العموم والخصوص" وكتاب "الحيض"[1] كما صنّف كتابيْن في فضائل الشافعي والثناء عليه[2].

5. خصائص المذهب الظاهري

يعود المذهب الظاهري إلى عدد من فقهاء القرن الثالث الرابع هجري أشهرهم الإمام داود بن علي الأصفهاني(ق3) الذي اعتمد في منهجه الفقهي على الالتزام بحرفية النصوص الشرعية وإنكار ونفي للقياس والاستحسان والإجماع والمصالح المرسلة، ويعتمد على قواعد مخالفة للمذاهب الأخرى وهي:

الأخذ بظواهر النصوص، وهي خاصية امتازوا بها عن سائر المذاهب الأخرى وهذا الذي أعطاهم اسم الظاهرية أما نفيهم للقياس فقد يوافقهم فيه بعض العلماء من المذاهب الأخرى[3].

وتظهر طريقتهم في الأخذ بظواهر النصوص عند استنباط الأحكام منها، فالأمر عندهم يقضي دائما الفور إلا إذا جاء نص يدل على التراخي، وهو يقضي الوجوب إلا إذا ثبت بنص على حكم أخر، واللفظ يُحمل على عمومه لأنه الظاهر إلا إذا ثبت تخصيصه بنص أخر كما أن فهم النصوص على ظاهرها أمر طبيعي وهو الأصل[4]. إلا أن تحميل

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج13، ص 104.

[2] الشيرازي، طبقات الفقهاء، المصدر السابق، ص 92.

[3] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 21.

[4] نفسه، ص 21.

اللغة من المعاني التي لا تحملها ضرب من الجور بالرأي وما ذهب إليه أهل الباطن في تأويل النصوص الشرعية أخرجهم عن الشرع وأوقعهم في الهذيان[1].

كما يُبين الظاهريون أنّ الإسلام دين الفطرة والعربية لغة تلقائية وكل كلمة إنما وضعت لمسمى لها وإطلاقها على غير ما وضعت له يُخرج المعنى من المعلوم إلى المجهول، قال تعالى:" ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[2]. "أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بيّنا واضحا ظاهرا قاطعا للعُذر مقيما للحجة دليلا إلى المحجة"[3].

فقولهم بالظاهر أمر وجيه لكن على شرط أن لا يكون مطلقا وإلا وقعوا في سوءِ الفهم كما وقع أهل الباطن،[4] وصار فريقان؛ فريق يحمِّل الكلام أكثر مما يتحمل وهم الباطنية وفريق لا يأخذ إلا بالظاهر المطلق فيكون ساذجا غير موفٍ لحق الكلام فالأولى أن يأخذ العاقل بالظاهر فيما هو ظاهر، وأن يبحث عن المعنى إذا اخفت اللغة منه جزاء[5].

---

[1] أحمد بكير محمود، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، ط1، دار قتيبة ، تونس، 1990، ص 21.

[2] سورة الشعراء، الآية 195.

[3] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت774ه/1373م)، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار بن حزم بيروت لبنان، 2000، ص 1382.

[4] ويقصد بهم المتصوفة الفلاسفة الذين يدعون بأن للشريعة ظاهرا وباطنا، فالظاهر يعلمه علماء الشريعة ومصدرهم في ذلك كتاب الله وسنة نبيه صل الله عليه وسلم، أما أهل الباطن هم أعلى درجة واسما رتبة يطلقون على أنفسهم علماء الحقيقة فهم لهم مصادر أخرى في التلقي وهذه المصادر لا يشوبها باطن.

[5] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ص 22.

إذن فأصول المنهج الظاهري تكمن في القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع على نصٍ من أحدهما، قال الإمام داود بن علي الأصفهاني الظاهري: "الأصول هي الكتاب والسنة والإجماع فقط"[1].

كما ينفون القياس[2] والاستحسان[3] والمصالح المرسلة[4] وسد الذرائع[5] وإجماع غير الصحابة وعمل أهل المدينة قال داود بن علي الأصفهاني الأصول هي: "الكتاب، والسنة والإجماع (إجماع الصحابة) فقط. ومنع أن يكون القياس أصلا من الأصول وقال: "أول

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 21.

[2] لغة: التقدير. أما في الاصطلاح: إلحاق حكم الأصل للفرع لاشتراكهما في العلة وأركانه، الأصل، الفرع، العلة، والحكم. للمزيد ينظر: ابن المنظور، لسان العرب، ج6، ص 186.

[3] قال مالك: "الاستحسان تسعة أعشار العلم" يقول علماء المالكية: "أن الاستحسان يؤخذ إذا قبُح القياس" فيأخذون بالمصلحة الجزئية في مقابل القياس الكلي. للمزيد ينظر: عاشور خضراوي، الاستحسان عند الأصوليين وإشكال مقولة الإمام مالك:"الاستحسان تسعة أعشار العلم" ومقولة الإمام الشافعي "من استحسن فقد شرع"، **مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية**، مج9، ع1، ص 365.

[4] لغة: تطلق المصلحة على المنفعة والصلاح، وفي الاصطلاح الشرعي هي حفظ مقاصد الشرع، ومقاصد الشرع: حفظ الدين، النفس، والعقل، والنسل، والمال، وكل ما يكون من اجل حفظ هذه المقاصد فهو مصلحة، أما المرسلة فهي المطلقة فالمصلحة المرسلة في الاصطلاح هي المصلحة التي لم يأتي الشرع بحكم معين لها وتفتقر إلى دليل شرعي ينص على إبقائها أو إلغائها. للمزيد ينظر: محمد بن السايح، المصالح المرسلة في المذهب المالكي، **مجلة الدراسات الإسلامية** مج3، ع4، ص 110.

[5] يقصد به مبدأ سد الذرائع إلى النفع العام، أو دفع الفساد العام، وهو أصل من أصول الفقه المالكي. للمزيد ينظر: المغاري الحسين، مظاهر اهتمام بالدرس الأصولي بقاعدة سد الذرائع، **مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية**، مج6 ع1، ص 81.

من قاس إبليس" فقيل له: كيف تبطل القياس وقد أخذ به الشافعي؟ قال: "أخذت أدلة الشافعي في إبطال الاستحسان فوجدتها تبطل القياس"[1].

وممن وال الإمام داود بن علي الظاهري في رأيه بالأخذ بظواهر النصوص الشرعية دون الرجوع إلى القياس والأصول الأخرى الإمام ابن حزم الظاهري وهذا يظهر جليا في قوله: "إن النصوص قد استوعبت كل ما اختلف الناس فيه لم يأذن الله تعالى به ولم ينزّل به سلطان"، كما أبطل الاستحسان وكذلك المصالح المرسلة وسد الذرائع والإجماع وعمل أهل المدينة هذا الأخير الذي أثار ثائرة بن حزم واستلزم أن يكون عمل أهل المدينة متفقين عنه جميعا دون استثناء واحد منهم[2].

كما يقول ابن حزم أيضا: "إن دين الله ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سر تحته كله برهان لا مشاحة فيه واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، قال تعالى: ﴿ ۞ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[3] ولا اطلع اخص الناس به على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر أو الأسود ورعاة الغنم ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ولو كتم شيأ لما بلّغ ما أُمر به ومن قال هذا فهو كافر"[4].

---

[1] أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 22.

[2] محمد رواس قلعه جي، ابن حزم في المحلي، **مجلة الحضارة الإسلامية**، ع 5، 1966، ص 22.

[3] سورة المائدة، الآية 67.

[4] أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ/1064م)، المحلى بالآثار، تح: عبد الغفار البنداري ط3، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003، ج1، ص 86.

كما يعتبر إجماع الصحابة أصل من أصول المذهب الظاهري، واحتجوا أنهم ممن شهدوا التوقيف من رسول الله صل الله عليه وسلم، وقد صح أنه لا إجماع إلا عن توقيف وأنهم كانوا جميعا مؤمنين لا مؤمن من الناس سواهم وكان عددهم معروف يمكن أن يحاط بأقوالهم[1].

كما يمنع الظاهريون التقليد مطلقا على الخاصة والعامة، لا يحل لأحد أن يقلد أحدا حيا أو ميتا وعلى كل أحد أن يجتهد على حسب طاقته والدليل قوله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[2]، فلم يأمرنا الله عز وجل قط بطاعة بعض أولى الأمر فمن قلد عالما أو جماعة من العلماء فإنه لم يطع الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أولى الأمر، ومن ادعى وجوب تقليد العامي للمفتي فقد ادعى الباطل وقال قولا لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ولا إجماع صحابة، وما كان هكذا فهو باطل لأنه قول بلا دليل[3].

هذه أهم خصائص المذهب الظاهري ودعائمه التي اعتمد عليها في التقعيد للمذهب من طرف منتحليه الذي كان هدفهم التشبث بالشريعة الإسلامية وطريقة الالتزام بالنص الشرعي الذي انزله الله تعالى ووصفه أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد[4].

---

[1] أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 24.

[2] سورة النساء، الآية 59.

[3] أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 25.

[4] للمزيد انظر: ملحق رقم 1.

ثانيا: انتشار المذهب الظاهري.

على طريقة كل المذاهب وكيفية انتشارها ساهم عدد معتبر من طلاب وتلاميذ الإمام داود الذين كانوا يحضرون مجالسه العلمية وينهلون من علومه وأفكاره ومذهبه الجديد، فجمعوا أقواله واستدلالاته وخصاله وأصبحوا أئمة، وكان لهم دور كبير في نشر مذهبه من بعده في كافة الأرجاء التي وطئتها أقدامهم، وكثير من العلماء الذين كان لهم دور كبير في نشر مذهبه ومن العسير أن نذْكُرهم جميعا لأنهم كثر، فحسب المصادر (تاج الدين سبكي في طبقات الشافعية) "وصل عددهم إلى أربعمائة تلميذ"[1] بالإضافة إلى ما جاء بعدهم، وهذا عدد كبير نذكر منهم على سبيل المثال:

الإمام محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهاني المتوفي سنة 297هـ/910م كان أديبا شاعرا مناظرا[2]، قال عنه الصفدي "من أذكياء العالم" حفظ القرآن وعمره سبعة سنوات ولما توفي أبوه جلس محمد للفتيا مكانه فاستصغروه فدسوا إليه رجلا وقالوا له سله عن حد السكر فأتاه الرجل فسأله عن السكر ما هو؟ ومتى يكون الإنسان سكران فقال: "إذا عزبت عنه الهموم وباح يسيرهِ المكتوم[3]" فاستحسن ذلك منه وعلِم موضعه من العلم. وصنف في

[1] تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، المصدر السابق، ص 284.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، المصدر السابق، ص 259.

[3] أبو عبد الله محمد بن القيم الجوزية(ت751هـ/1350م)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تح: محمد عزيز شمس د.ط، دار عالم الفوائد، د.س، ص 227.

مقتبل عمره كتاب سماه "الزهرة"، وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائق وعلى شاكلته صنف بن حزم كتابه "طوق الحمامة"[1].

وله في الفقه قصة تدل على علو كعبه ومكانته العلية مفادها أنه دخل عليه الشاعر الكبير علي بن العباس المعروف بأن الرومي يحمل رقعة مكتوب عليها البيت.

يـــا أبـــن داود يـــا فقيـــه العـــراق   افتنـــا فـــي قواتـــل الأحـــداق
هــل علــيهن فــي الجــروح قصــاص   أم مبـــاح لهـــا دم العشـــاق.

فرد عليه محمد بن داود:

كيـــف يفتـــيكم قتيـــل صريـــع   بســـهام الفـــراق والاشـــتياق
وقتيـــل التلاقـــي أحســـن حـــالا   عنـــد داود مـــن قتيـــل الفـــراق[2].

وكان عالما في الفقه وله فيه تصانيف عديدة منها: كتاب "الوصول إلى معرفة الأصول"، وكتاب "الإنذار"، وكتاب "الأعذار"، وكتاب "الانتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشير وعيسى بن إبراهيم الضرير"، وكتاب "اختلاف مسائل الصحابة"[3].

ومن الذين ساهموا في نشر المذهب الظاهري إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي (ت323هـ/935م) تلميذ داود الظاهري من أحفاد المهلب ابن أبي صفرة إمام في النحو

---

[1] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 79.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، المصدر السابق، ص 260.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 80.

فقيها في مذهب داود ومسندا في الحديث قال فيه بن حجر: "جالس الملوك والوزراء وأتقن حفظ السيرة ووفيات العلماء وكان على مذهب سيبويه في النحو"، فقد صنف كتب كثيرة منها كتاب "التاريخ"، وكتاب "الملح"، وكتاب "غريب القرآن"، وكتاب "الرد على من قال بخلق القرآن"[1].

ومنهم عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس(ت324هـ/936م) أحد تلاميذ الإمام داود وابنه محمد، وكان إماما في المذهب وإليه انتهت رياسة الداودين في زمانه ولم يُر مثله فيما بعد وله عدة كتب منها كتاب "الموضح جوبات"، وكتاب "المفصح"، وكتاب "أحكام القرآن" وكتاب "الطلاق"، وكتاب "الولاء"[2].

هؤلاء بعض من العلماء الذين تتلمذوا على يد داود وكان لهم دور كبيرا في نشر مذهبه وتغفلنا على عدد كبير آخر ممن انتصروا للمذهب من تلاميذ داود وبطبيعة الحال دورهم كبير في نشر الظاهرية.

ثالثا: دخول المذهب الظاهري إلى الأندلس.

عرفت بلاد الغرب الإسلامي وفود العديد من المذاهب الإسلامية من المشرق الذي يُعد منشأ الفرق والمذاهب، بالمقابل تُعد بلاد الغرب الإسلامي بيئة خصبة لاستقبال هذه الفرق والمذاهب، وهذا ما نلاحظه مع المذهب الظاهري، الذي انتقل من العراق إلى الأندلس عن طريق رحلات العلم، فكثيرا ما رحل المغاربة والأندلسيون إلى المشرق وعادوا محملين بعلومه، وما خلت عواصم المشرق الإسلامي من طلاب العلم المغاربة، فمنذ

[1] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 81.

[2] ابن النديم، الفهرست، المصدر السابق، ص 306.

منتصف القرن الثاني وهم يتوافدون على المدينة وبغداد ومصر وبلاد الشام يأخذون العلم والأدب عن مشاهير العلماء بها، وبهذه الطريقة جاءت كل المذاهب إلى المغرب والأندلس على غرار المذهب الظاهري. ويمكن تحديد أسباب انتشار الظاهرية بالأندلس إلى العوامل التالية[1]:

لقد نشأ المذهب الظاهري بالمشرق في حين أن المغرب يعد مقاوما للباطنية بمدارسها المختلفة وكانت الدعوة الفاطمية على أشدها، فقد قامت الظاهرية على أساس دحض الباطنية، فقد أوجب ابن حزم الاجتهاد لسائر الأمة وينكر أن يختص به إمام واحد يفتى بعلم ينفرد به وهنا يقول في المحلى: "لا يحل لأحد أن يقلد أحد لا حيا ولاميتا وكل أحد له الاجتهاد حسب طاقته، فمن سأل عن دينه فإنه يريد معرفة ما ألزمه الله عز وجل في هذا الدين، ففرض عليه أن كل أجهل أهل البرية أن يسأل عن اعلم أهل موضعه"[2].

إذن فظهور وانتشار الظاهرية بالمشرق والمغرب كان رد على الباطنية والمالكية مشرقا ومغربا غير أن الشيء الذي لا يمكن إثباته هو أن الرد كان مباشرا أم ضمنيا في إطار حركة الأفكار والفرق التي ميزت تلك الحقبة التاريخية، لكن ما هو مؤكد أن الظاهرية هو رفض للباطنية بكل صورها ودرجاتها ومذاهبها ودعاتها[3].

فأول من ادخل مذهب الإمام داود بن علي الأصبهاني تلميذه الأندلسي عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال المتوفي سنة (227هـ/775م) كان مالكيا وتتلمذ لداود وأخذ عنه

[1] حسان محمد حسان، ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س، ص 44.

[2] ابن حزم، المحلى بالآثار، المصدر السابق، ج1، ص 86.

[3] حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 63.

كتبه مباشرة ثم أدخلها إلى الأندلس، وكان عارفا بالمذهب الشافعي إلا أنه اختار مذهب داود واجتهد في نشره[1]، وفي نفس العصر كان أحد علماء الأندلس مُشتهرا بالعلم والذكاء والفكر الناقد وهو بقي بن مخلد أخذ بالعراق عن الإمام أحمد وهو أول من قال بالعمل بالنصوص الشرعية من كتاب وسنة وترك ما سواهما ولم يكن بالمالكي ولا الحنبلي ولا الظاهري الصرف، ولكنه قال بترك التمذهب والعمل بالنصوص ولم يكن منظورا إليه نظرة رضى من طرف المالكية بالأندلس توفي سنة (276هـ/890م)[2].

يُعد عبد الله بن محمد بن القاسم بن هلال وبقي بن مخلد أول من ادخلا مذهب أهل الظاهر وعملا على نشره في تُرْبته الجديدة، ثم تدعم المذهب بمجيء شخصية أخرى معتبرة وهي شخصية منذر بن سعيد البلوطي (265-355هـ/966-879م) فقد رحل إلى المشرق ودرس على يد شيوخ الظاهرية هناك ثم رجع وبقي خاملا إلى أن أصبح قاضيا لقرطبة وصاحب الصلاة والخطبة في مسجد الزهراء بضواحي المدينة[3]، وكانت الزهراء مدينة الخليفة ومسكن الأمراء والوزراء والأعيان[4]، قال المقري: "كان منذر متفننا في ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصبهاني المعروف

[1] أبو وليد عبد الله بن محمد بن الفرضي(403هـ/1012)، تاريخ علماء الأندلس، تح: روحية عبد الرحمان السويفي، د.ط دار الكتب العلمية بيروت، 1983، ص ص 180، 181.

[2] نفسه، ص 181.

[3] محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، د.ط، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1962، ص 208.

[4] خير الدين الزركلي(ت1976م)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين د.ط، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ج7، ص 294.

بالظاهري، فكان منذر يُؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به على نفسه وذويه فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب مالك وأصحابه وهو الذي عليه العمل بالأندلس[1].

ومن تلاميذه المساهمين في نشر المذهب، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الجهني، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمان التهرتي وكان مختصا به، ومن آثاره العلمية لا نعرف عددها على التحقيق نذكر منها: "الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله" ويسمى "أحكام القرآن"، وكتاب "الإبانة في حقائق أصول الديانة" وكتاب "الناسخ والمنسوخ". وقد انقطعت سلسلة الظاهرية بعده إلى مجيء مسعود بن سليمان المعروف بابن مفلت شيخ بن حزم[2].

ويفسر الباحث أحمد بكير محمود سبب انكماش الظاهرية بعد وفاة منذر بن سعيد إلى" مجيء المنصور بن أبي عامر الحاجب (326-396هـ/938-1006م) فقد كان ابن أبي عامر مالكيا يمنيا قحطانيا وكانت العرب اليمنية هي الحاكمة في ذلك العصر، والمذهب المالكي نسبة إلى مالك بن أنس الأصبحي اليمني، فالمذهب إذا مذهب اليمنيين خلافا لمذهب داود الأصبهاني فغير العرب أولى به"[3].

رابعا: ابن حزم ودوره في التمكين للمذهب الظاهري بالأندلس

1. مولده ونشأته

---

[1] أحمد بن المقري التلمساني(ت1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ط1 دار البصائر، لبنان، 1988، مج2، ص 16.

[2] أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص ص 32،33.

[3] نفسه، ص 32.

ولد بن حزم الظاهري[1] في قرطبة سنة (384هـ/994م)[2]، من أُسرة غنية عريقة النسب كان أهلها ذوي مجد وحسب وعلم وأدب، وكان أبوه أحمد بن سعيد من كبار الوزراء ولي الوزارة[3] للحاجب المنصور ابن أبي عامر[4] ثم لابنه المظفر من بعده[5]، وقد نشأ بن حزم في قصر أبيه نشأة المنعمين المترفين، فلم يعرف في صباه الحاجة أو الحرمان فقد اهتم أبوه بتربيته اهتماما كبيرا، فتكفلت بعض النساء العالمات من أهل بيته بتربيته في سنه الصغيرة[6] يقول بن حزم: "ولقد شهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري لأني رُبيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن ولم اعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وهن علمنني القرآن وروينني كثيرا من الأشعار ودربنني على الخط"[7].

---

[1] Khadijah Mmohd Khambali، **Ibn Hazm on Christianity: An Analysis to His Religious Approaches**، World Journal of Islamic History and civiliaction، IDOSI publication، 2011، p:242

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج3، ص 325.

[3] Salim AL-Hassani Salah Zaimaeche، **Ibn Hazm philosophy and thoughts on science**، Victoria pa K، Manchester، United Kingdom، fstc limited، 2003- 2004، p;02

[4] وهو الملك المنصور أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عامر القحطاني المعافري القرطبي القائم بأعباء دولة الخليفة المؤيد بالله هشام بن الحكم أمير الأندلس نتيجة صغر سنه وكان المنصور بطلا شجاعا حازما سائسا كثير الفتوحات دام في الحكم نيفا وعشرين سنة (ت393هـ/1003م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج17، ص 16.

[5] نفسه، ج3، ص 325.

[6] زكريا إبراهيم، ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي، د.ط، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.س، ص 31.

[7] أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ/1064م)، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح: أحمد طاهر المكي، ط5، دار المعارف، د.م، 1993م، ص 79.

فكانت رغبة بن حزم في العلم ليست عن طلب مال أو سلطان أو جاه أو غيرها من أمور الدنيا بل كان طلبه نابعا من محض إرادته ورغبته في العلم[1].

2. تعليمه

خاض بن حزم بعد وفاة والده تجربة سياسية فاشلة وتنقل بين المدن الأندلسية منتصرا للملوك والسلاطين، لكن الحظ لم يسعفه نتيجة الفوضى السياسية التي شهدتها الأندلس في تلك الفترة، فغير توجهه إلى الحياة العلمية، وقد استفاد من تنقلاته بين المدن في الاطلاع على الكتب والموروثات العلمية، وهذا على حد تعبيره في كتاب "التقريب لحد المنطق" "بأن حياة النفي والتشريد قد أتاحت له الفرصة للتفرغ للمطالعة والتأليف" وترك حياة السياسة والحكم[2].

يمكن القول أنّ ابن حزم تلقى العلم منذ حداثة سنه على يد فطاحل من العلماء البارزين، فقد بيّن في كتابه طوق الحمامة أسماء بعض الشيوخ الذين خالطهم وأخذ عنهم فيحدثنا عن أبي علي الحسين بن علي الفاسي الذي قال عنه "ما رأيت مثله جملة علما وعملا ودينا وورعا"[3].

ويحدثنا أيضا عن أبي القاسم عبد الرحمان بن أبي يزيد الازدي المتوفي سنة (ت410هـ/1020م) الذي تلقى عليه الحديث و النحو واللغة أما الفقه فقد تلقاه على يد

---

[1] زكرياء إبراهيم، المرجع السابق، ص 32.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2014 ص 89.

[3] زكرياء إبراهيم، المرجع السابق، ص 32.

أبي عبد الله بن دحون ومنهم عبد الله الازدي المعروف بابن الفرضي (ت403هـ/1013م) وكان قاضيا لمدينة بلنسية أيام المهدي[1].

وقد بدأ بن حزم دراسته الفقهية بقراءة كتب الشافعية ثم لم يلبث حتى تلقى أصول الفقه الظاهري على يد أبي الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت توفي سنة(426هـ/1035م)[2].

وقد قرأ بن حزم أيضا كتاب أبي عبد الرحمان بقي بن مخلد في تفسير القرآن وشهد في رسالته المسماة باسم فضل الأندلس بأنه لم يُؤلّف في الإسلام كله تفسيرا مثله، وأما الفلسفة وعلوم الأوائل فقد تلقاها على يد محمد بن الحسن المذحجي كما اطلع على الترجمات العربية لكتب أرسطو في المنطق[3]. وناظره الإمام الفقيه أبو وليد الباجي في صعوبة تحصيله العلم فقال: له أنا أكثر منك همة في طلب العلم، لأنني طلبته عن سهر بقنديل بائت في السوق، وأنت طلبته في القصر تسهر بمشكاة الذهب فقال له ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، فأنت طلبته على تلك الحال تريد تغيير حالك، أما أنا فأرجوا في طلبه علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة[4].

فيُعد بن حزم من المفكرين العظام الذين جمعوا من علوم شتى فكان موسوعيا، تناول مجالات عدة منها الجدل الحديث الفقه والكلام والأدب والتاريخ وعلم النفس وغيرها من

---

[1] نفسه، ص 32.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج18، ص 184 .

[3] زكريا إبراهيم، المرجع السابق، ص 33.

[4] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص 238.

مناحي الثقافة فلم تنحصر أهميته في الدفاع على المذهب الظاهري بل تعدت إلى نقد أصحاب الفرق الإسلامية الأخرى من المعتزلة والأشاعرة[1].

3. العوامل التي جعلت من ابن حزم يختار المذهب الظاهري

يقول بن حزم في أبيات مبينا ظاهريته:

وذي عـــذلٍ فـــيمن ســـبَانِي حُســـنه ... يُطيـــلُ ملامـــي فـــي الهـــوى ويقُـــولُ
أمــن حُســنِ وجــهٍ لاح لــم تــر غيــرهُ ... ولــم تــدر كيــفَ الجســمُ أنــت قتيــلُ
فقلــت لــه أســرفت فــي اللّــوم فأتئــد ... فعندي ردٌ لو أشاءُ طويل
ألـــم تـــر أنّـــي ظـــاهريّ وأنّنـــي ... علـــى مـــا بـــدا حتّـــى يقـــوم دليـــل[2].

تعددت مشارب ابن حزم التعليمية خاصة في بداية حياته فقد درس المذهب المالكي الذي كان منتشرا بالأندلس والمذهب الشافعي، غير أنه استقر في الأخير على المذهب الظاهري وأصبح من مجدّديه، وساهم في نشره بالغرب الإسلامي، ومن بين الأسباب التي جعلت ابن حزم يتبع المذهب الظاهري نذكر:

- اختلاف العلماء وتعدد الآراء وتضاربها في بعض الأحيان بصورة يُحيِّر العقل ولا يُعرف وجه الحق فيها، وقد رأى ابن حزم أن مصادر التشريع واحدة وهي القرآن والسنة وأن جميع الفروع ما هي إلا اجتهادات من طرف العلماء، من ثمة وجد ابن حزم بغيته في الأخذ بظاهر النص الذي يمنع الخلاف والتفاوت على هؤلاء المختلفين[3]، وأن القرآن صريح

[1] زكريا إبراهيم، المرجع السابق، ص 54.

[2] علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، المجلى في تحقيق أحاديث المحلى ومعه الصناعة الحديثية عند بن حزم، ط1 دار المأمون للتراث، دمشق، 1995، ص 22.

[3] حمود علي حماية، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ط1، دار المعرف، مصر، 1983، ص 164.

في كلامه قال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1] وقال أيضا:﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[2]. فالواجب على المسلم أن يفهم النص بصريح العبارة لا بفهم خاص يجعله يحيد على النص القرآني.

– الفساد الخلقي والنفاق الاجتماعي الذي كان خلقا لكثير من أدعياء الفقه في ذلك العصر الذين كانوا يجارون الحكام ويفتون وفق ما يُطلب منهم وهم يبتغون عرضا من الدنيا فأصبحوا يطوّعون النصوص وفق هواهم وجعلوا من القياس مطيتهم[3].

– ومما ساهم في نشر الظاهرية بالأندلس المحاولات التي قام بها ابن حزم في إصلاح الحكام والمحكومين عن طريق الفقه، فقد انتشرت الإنحرافات والإنزلاقات السياسية تؤول باسم القياس والاستحسان والتعليل وركز بن حزم على الاجتهاد[4]. كما منع التلاعب بالنصوص والحد من تبريرات الفقهاء للحكام في غيهم وطغيانهم وهذا سعيا وراء مناصبهم وخوفا من بطشهم، فلم يرحم بن حزم الفقهاء الموالين للسلطان بفتواهم التي تبرر ظلمهم وجورهم[5].

---

[1] سورة الشعراء، الآية 195.

[2] سورة المائدة، الآية 13.

[3] حمود علي حماية، المرجع السابق، ص 164.

[4] حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 63.

[5] حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 77.

- الخصومات والفُرقة التي برزت بين العامة بسبب الاختلاف المذهبي، فكل فريق ينتصر لمذهبه[1]، ومنه يصبح الولاء لصاحب المذهب أكثر منه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وخير مثال على ذلك الثورة المضادة التي تعرض إليها ابن حزم أثناء تركه للمذهب المالكي وتحوله للشافعية[2].

- الإحاطة العلمية لابن حزم واطلاعه الواسع على كتب السنن والآثار ومعرفته بأقوال العلماء معرفة كبيرة مما اكسبه ثقة بنفسه، يقول بن حزم: "إننا قد أحطنا بروايتنا وضبطنا كل خبر صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرهان واضح وهو أن المشهور من المستندات والمصنفات الموعية للأخبار، فقد جمعناها والحمد لله ولا يشذّ عن خبر فيه خير أصلا"[3]. وهذا دليل على اطلاعه الواسع وعلمه الغزير في الشريعة الإسلامية جعلت منه عالما كبيرا باستطاعته تثبيت أركان المذهب الظاهري في بلاد الأندلس.

4. تشرب بن حزم للظاهرية

خالف بن حزم شيخه الإمام أبو داود الظاهري في الكثير من المسائل الأساسية لهذا قال عنه: "أبو سليمان داود شيخ من شيوخي إن أصاب الحق فنحن معه إتباعا للحق وإن أخطأ اعتذرنا له واتبعنا الحق حيث فهمناه..." ولهذا قال بعض العلماء أن ظاهرية بن

[1] روجيه غارودي، الإسلام في الغرب قرطبة عاصمة العالم والفكر، تر: ذوقان قرقوط، ط1، دار دمشق، سوريا، 1995 ص 70.

[2] حمود علي حماية، المرجع السابق، ص 164.

[3] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ابن حزم والخزرجي، د.ط دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، د.س، ص 73.

حزم منهجية لا مذهبية وأن له نظراته الخاصة التي جعلت من الواجب تسمية اجتهاده الفقهي بالحزمية وفقا لما قاله المجتهد المخطئ أفضل عند الله تعالى من المقلد المصيب[1].

وقد فعل ذلك ابن حزم بالأندلس على علو رتبته في حفظ الحديث وصار إلى مذهب أهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه وخالف إمامه داود وتعرض للكثير من أئمة المسلمين فنقم الناس عليه[2].

والظاهرية عند بن حزم تعني ظاهر اللفظ من ناحية اللغة فلا يصرف اللفظ عن معناه اللغوي إلا بنص آخر أو إجماع الصحابة، فإن نُقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وُضع له في اللغة إلى معنى آخر أو إجماع فحكم ذلك النقل أنه باطل، ويبقى الحُكم القائم على النص حتى يوجد دليل من النصوص يغيره، وبتالي أخذ الظاهرية أن كل مسألة لم يأت فيها نص فهي على الإباحة[3].

إذا فمنهج بن حزم في فهم المنقول هو الأخذ بظاهره من غير بحث عن علل الأحكام وذلك واضح في فقهه كل الوضوح، فهو لا يعتمد فيما يستنبط من أحكام فقهية إلا على النصوص من الكتاب وليس للعقل عنده مجال مطلق وراء النصوص ووراء ظواهرها فليس

---

[1] حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص87.

[2] عبد الرحمان بن خلدون(ت808هـ/1406م)، العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، د.ط، دار الفكر، بيروت، 2001، ج1، ص 374.

[3] عبد الباقي السيد عبد الهادي، ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي، المرجع السابق، ص 106.

عنده اجتهاد بالرأي مطلقا وقد تشدد في الأخذ بالظاهر وخالف في هذا الإمام الأول للمذهب[1].

والنقطة الأساسية في منهجه هي نفي القياس سواء كان القياس معروفا أو دليلا وهذا بقوله في كتابه المحلى: قال الله تعالى﴿ **وَمَا مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[2] قال أيضا: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [3] والرأي لا يجوز استعماله مادام هناك نص. وفي هذا الموضوع ألّف بن حزم كتابًا سماه "إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل" وبذلك لم تصبح المسألة مجرد نظر بل عنصر أساسي وركيزة هامة في المذهب الظاهري[4].

ومن وجهة نظر بن حزم أن القرن الأول شهد ظهور "الرأي" أي الحكم في الدين بغير نص بل بما يراه المفتي أحوط واعدل في التحريم أو التحليل، ثم حدث القياس في القرن الثاني وقال به بعضهم وأنكره سائرهم، ثم حدث الاستحسان في القرن الثالث، وأخيرا جاء التعليل والتقليد في القرن الرابع، وكل هذه الأساليب باطلة ومنكرة معللا بقوله: "من المحال أن يكون الله يأمرنا بالقياس أو بالتعليل أو بالرأي أو التقليد ثم لم يبين لنا ما القياس؟، وما

---

[1] حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 89.

[2] السورة الأنعام، الآية 38.

[3] السورة المائدة، الآية 03.

[4] أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ/1064م)، رسائل بن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، د.س، ج4، ص 48.

التعليل؟، وما الرأي؟، وكيف يكون كل ذلك؟ وعلى أي شيء نقيس؟ وبأي شيء نعلل؟ وبرأي من نقبل؟ ومن نقلد؟ لان هذا تكليف ما ليس في الوسع[1].

من خلال طرح بعض آراء بن حزم يمكن تحديد منهجه في النقاط التالية:

- الالتزام بالنص القرآني وبالسنة الثابتة في حدود المعنى الظاهر بحكم دلالة اللغة الواضحة، والدليل: قوله تعالى﴿ **وَمَا مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَّابِ مِن شَيْءٍ** ﴾[2].

- الاعتراف بإجماع الصحابة ومن يجئ بعدهم كمصدر للتشريع ورفض القياس والاستحسان وسد الذرائع. والدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تجتمع أمتي على ضلالة"[3].

- إضافة مصدر للإجماع يسمى الدليل وهو مُولّد من النص والإجماع وليس حملا عليهما.

- المساواة بين الصحابة مع الأخذ بكلام بعضهم وترك الآخر، وأما ما اختلفوا فيه فليس قول بعضهم أولى من قول بعض والشريعة وحدها هي المتقيد بها.

- النظر إلى أئمة المذاهب نظرة متساوية.

---

[1] أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ/1064م)، ملخص إب

طال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل، تح: سعيد الافغاني، د.ط، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، 1960، ص ص 12، 13.

[2] السورة الأنعام، الآية 38.

[3] أخرجه الترمذي في جامعه، رقم 2167.

- رفض التقليد فلا يحل لأحد أن يأخذ بقول أحد بلا برهان.

- رفض التعليل فالشريعة تعبدية والمعقول منها نص الله على معقوليتها.

- لا حجة في الكثرة: فإذا خالف واحد من العلماء جماعة فلا حجة في الكثرة لأن الله تعالى يقول في ذكر أهل الفضل وقليل ما هم[1].

5. مؤلفات ابن حزم

اتفق اغلب المؤرخون على غزارة علم بن حزم وتصانيفه العديدة[2] ، وقدرته على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة، وألّف في هذا المضمار العديد من الكتب وفقا للمذهب الظاهري الذي يعتمد على الأدلة الصريحة البينة دون قياس أو تعليل، وقد اطّلع ابن حزم على كتب كثيرة في المذاهب والفرق الأخرى والتي جعلت منه مؤلِّفا كبيرا اقتحم شتى صنوف المعرفة[3].

وقد ذكر صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم "اخبرني أبي الفضل المكنى أبا رافع أن مبلغ مؤلفاته في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارضين نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب ثمانين ألف

---

[1] عبد الحليم اعويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط2، الزهراء للعداد العربي، د.م 1988 ص 94.

Al-، Disssimulation des opinions politiques sou contrôle Le cas d’Ibn Hazm à Séville،[2] Samir Kadouri p 136 ، enoro- junio 2014،xxxv 01،QAntara

[3] الحاج علي عرباوي، **أحكام التقليد بين ابن عبد البر المالكي وابن حزم الظاهري وأثرها الفقهي**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفقه وأصوله، إشراف: عبد القادر بن حرز الله، قدمت لجامعة باتنة، 2010/2009، ص 31.

ورقة". وهذا شيء ما علمناه من أحد ممن كان في دولة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر بن جرير الطبري، فإنه كان أكثر أهل الإسلام تأليفا[1].

فنذكر منها في الأدب والفقه والأصول:

– الإيصال في فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع. أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة وعليها والأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح.

– كتاب الإحكام لأصول الأحكام وهو في الأصول كما يدل عليه اسمه.

– كتاب الفصل في الملل و الأهواء والنحل[2].

– كتاب في الإجماع ومسائله على أبواب الفقه.

– كتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض.

– كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما يحتمل التأويل.

---

[1] أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي(ت462هـ/1070م)، طبقات الأمم، مطبعة الكاثوليك للآباء اليسوعيين بيروت، 1912، ص 78.

[2] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ/1064م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، دس، ج1، ص 9.

– كتاب التقريب لحد المنطق: والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية فإنه سلك في بيانه وإزالة سوء الظن عنه وتكذيب المخالفين له طريقة لم يسلكه أحد قبله.

– كتاب المحلى على مذهبه في الفقه والعقيدة.

– كتاب الإيصال في فقه الحديث.

– كتاب الصادع والرادع على من كفّر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد.

– كتاب شرح الموطأ والكلام على مسائله كتاب الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على صحتها.

– كتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والسنة.

– كتاب منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يُعرف فيه اختلاف.

– كتاب الإمامة والخلافة في سيرة الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها.

– كتاب أخلاق النفس.

– كتاب طوق الحمامة في الألف والألفة[1].

– كتاب جمهرة أنساب العرب.

---

[1] يحتوي هذا الكتاب على مجموعة من أخبار وأشعار وقصص المحبين وُصف كتاب طوق الحمامة بأنه أدق ما كتب العرب في دراسة الحب ومظاهره وأسبابه تُرجم الكتاب إلى العديد من اللغات العالمية. للمزيد ينظر: ابن حزم، طوق الحمامة، المصدر السابق، ص 5.

- كتاب كشف الأساس مابين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس.
- كتاب الرد على بن النغريلة اليهودي[1].

وكثيرا من الكتب لم تصل إلينا بعدة أسباب منها الحرق والتلف والضياع وغيرها كثير[2].

[1] محمود علي حماية، المرجع السابق ، ص 78.

[2] للمزيد انظر: ملحق رقم 2.

الفصل الأول:

الحضور الظاهري وسياقاته السياسية خلال العهد الموحدي.

أولا: الدولة الموحدية نشأتها ودعائمها المذهبية

ثانيا: ظاهرية الدولة الموحدية بين الارتباط والافتراق

ثالثا: العلماء الظاهريون ضمن البلاط الموحدي

رابعا: تجليات المذهب الظاهري في فكر وممارسة الدولة الموحدية

أولا: الدولة الموحدية نشأتها ودعائمها المذهبية

تمهيد

تأسست الدولة الموحدية على يد محمد بن عبد الله بن تومرت من قبيلة هرغة[1]، إحدى القبائل المصمودية[2] في السوس الأقصى، وعلى الأرجح أنه ولد حوالي عام (475هـ/1082م)، في رباط اجيليز من قبيلة هرغة، وتعلم في كتّاب قريته، ومع نهاية القرن الخامس هجري رحل إلى قرطبة، والتي لم يستقر بها إلا يسيرا، فواصل رحلته إلى المشرق[3].

وقد اختلفت المصادر والروايات على شيوخه الذين درس عليهم بالمشرق[4]، الذي لبث فيه عشر سنين، ورجع سنة (510هـ/1117م)، بحرا متفجرا من العلم مُتقِنا للسان العرب والبربر، عارفا بأصول الدين والفقه، حافظا للحديث متصفا بالورع متحمسا للمذهب

---

[1] هي قبيلة سوسية بربرية عرّب المؤرخون اسمها فوردت في كُتب التاريخ باسم هرغة تقع مواطنها في جنوب تافنكولت وشرق تارودانت، وحاليا تنقسم قبيلة هرغة إلى بطون، وكل بطن يظم دواوير مثل: دوار اغرر. للمزيد ينظر: محمد مختار السوسي، خلال جزولة، د.ط، مطبعة المهدية، تطوان المغرب، د.س، ص 121.

[2] مصمودة هي إحدى القبائل البربرية الكبيرة في بلاد المغرب لها فروع كثيرة منها: هرغة، وهنتاتة، وتينملل كدموية، كنفيسة، ووريكة، وركرارة، وهزميرة، ودكالة، وحاحة، وامادين، وازكيت، وبنو ماكر، وايلانة، وغيرهم للمزيد ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 299.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج5، ص 46.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، ط3، مطبعة سجلماسة، مكناس المغرب، 2016 ، ص ص 90، 89.

الأشعري[1]، الذي تعلمه على يد تلامذة الإمام أبو الحسن الأشعري، ثم عاد إلى المغرب ودعا الناس إلى التمسك بالفكر الأشعري[2]، وتضليل كل من خالفه من أهل المغرب، وخاصة من أتباع دولة المرابطين. وفي المقابل أطلق على أتباعه صفة الموحدين تعريضا منه بأن من خالف طريقته ليس بموحد[3].

تمثل رحلة رجوع بن تومرت من بلاد المشرق بداية ثورته، ويبدو أن بن تومرت عاد إلى موطنه وهو يظن نفسه مبعوث العناية الإلهية على رأس المئة السادسة تأثرا بالحديث

[1] الاشعرية نسبة إلى أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(250-330هـ/864-942م) ظهر بالبصرة في القرن الثالث للهجرة تعمق في المعتزلة، وتتلمذ على يد كبارها منهم: أبو علي الجبائي، ومحمد بن عبد الوهاب، وبقي أربعين سنة معتزليا، إلى أن ظهر له الحق فعدل عليهم ورجع إلى اعتقاد أهل السنة والجماعة، وقد أبان على موقفه هذا على المنبر أمام الناس بقوله: "أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا اعرفه بنفسي أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا يُرى بالأبصار وأن أفعال الشر أنا افعلها واني تائب مقلع متصدر للرد على المعتزلة مُخرج لفضائحهم". للمزيد ينظر: مصطفى بن محمد بن مصطفى، أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، د.ط، د.د، 2003، ص 600.

[2] يشير الباحث مبروك المنصوري أن نسبة إدخال الاشعرية إلى بلاد المغرب على يد محمد المهدي بن تومرت أصبحت معلومة لا قيمة لها في الأوساط العلمية، وبيّن أن الاشعرية إنما انتشرت في النصف الثاني من القرن الرابع هجري وذكر منهم: القلانسي حوالي(359هـ/970م)، وقد جعله البرزلي من مشايخ الاشعرية ببلاد المغرب، وابن أبي زيد القيرواني وأبو الحسن القابسي وأبو عمران الفاسي والإمام المازري وغيرهم كثير. غير أن ما يميز الاشعرية قبل بن تومرت اعتبارها مواقف إيمانية ينسب متبنيها إلى هذه العقيدة، وبعدها اعتبارها نسقا متكاملا يؤثر في اغلب الأفكار الدينية ببلاد المغرب. للمزيد ينظر: المبروك المنصوري، الاشعرية في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس هجري والمفهوم والأدوار الحضارية كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سوسة، تونس، ص ص 3، 4.

[3] إبراهيم التهامي، الاشعرية في المغرب دخولها رجالها تطورها وموقف الناس منها، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2006 ص 6.

النبوي الشريف قال صلى الله عليه وسلم "إنّ الله تَعَالى يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمّة عَلَى رَأْسِ كُلُّ سَنَة مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا"[1].

حاول ابن تومرت ربط حركته بالعالم المجتهد والمجدد أبو حامد الغزالي[2]، ليُعتبر وريثه في التجديد، وكان بن تومرت طوال رحلته راجعا إلى المغرب كثير الجلوس للوعظ والإرشاد عظيم الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي على المنكر، بالرغم من كل تعب أصابه والأذى الذي لحقه في مسار أمره بالمعروف ونهيه على المنكر.

استطاع بن تومرت اختيار نجباء الطلاب من الذين وافقوا دعوته، فصبروا معه على المكاره، وساهموا في حمل الدعوة من إمامهم على عاتقهم، من أمثال عبد الواحد الشرقي وأبا محمد البشير الونشريسي[3]، وعبد المؤمن بن علي، وكلهم كان لهم دورا بارزا في تأسيس الدولة وإقامة كيانها.

---

[1] أخرجه أبو داود، رقم 4291.

[2] هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي حجة الإسلام فيلسوف ومتصوف، ولد في طابران(450-505هـ/1064-1111م) رحل إلى نيسابور وإلى بغداد فالحجاز ثم بلاد الشام فمصر، ثم عاد إلى بلدته فقرأ الفقه وبرع فيه، ثم الجدل والمنطق والخلاف، كان شديد الذكاء والفطنة، صنف العديد من الكتب أشهرها كتاب إحياء علوم الدين، توفي في طوس ببلدته. للمزيد ينظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(505هـ/1111م)، إحياء علوم الدين ط1، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 2005، ص 5.

[3] وهو عبد الله بن محسن محمد البشير الونشريسي نسبة إلى جبال الونشريس بالمغرب الأوسط، أحد أصحاب المهدي بن تومرت لقيه أثناء رجوعه من المشرق إلى المغرب كان فصيحا جميلا متفقها يعد أحد ركائز مجلس العشرة التومرتي خاض معارك وحملات كثيرة ضد المرابطين فقد في معركة البحيرة سنة(524هـ/1130م). للمزيد ينظر: أبو بكر بن علي

تعتبر دعوة ابن تومرت من المشرق إلى المغرب بداية حركته السياسية، ولاسيما أن ابن تومرت كان يسأل عن أخبار جبل درن[1] موطن المصامدة من اجل اختيارهم كعصبية لإقامة دولته.

ولما وصل مراكش عام (514هـ/1120م)، دخلت دعوته في طور جديد فاتخذ مما اعتبره مفاسد الطبقة العليا مادة لوعظه، وهدفا لأمره ونهيه، فكثر أتباعه، وبعد وقت قصير ألزمه المرابطون الخروج من مراكش، فسار إلى اغمات[2]، وفيها غير من أسلوب دعوته فخلع بيعة علي بن يوسف بن تاشفين عام (514هـ/1120م)، واختار المصامدة موضعا لثورته وعصبيته القبلية، وهذا راجع إلى معارضة المصامدة للدولة المرابطيّة، وفي اجيليز بدأ في تنظيم أتباعه وظل حولا كاملا يعِظُ ويذكر بِأيام الله ويُهاجم الحكام لِما استحدثوه من

الصنهاجي البيذق(ت580هـ/1184م)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، د.ط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص 19.

[1] تعريف جبل درن وهو جبل حصين خصب مرتفع يقع في صحراء المغرب أمام بلد السوس فاصل بين الصحراء والساحل وقد كان عامر بقبائل البربر وفيه بلدان وقرى وحصون وفيه ثمار متنوعة ومياه كثيرة ونهر عظيم. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج 2، ص 452.

[2] ناحية من ارض المغرب قرب مراكش وهي مدينتان احدهما تسمى اغمات ايلان والأخرى تسمى اغمات وريكة كانت منزلا للتجار وبها أموال كثيرة وبساتين كثيرة وكانت مسكنا لقبائل مصمودة البربرية. للمزيد ينظر: البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، المصدر السابق، ص 29.

باطل، وما ينتهكونه من الظلم، ويحظّ على الخروج عليهم ويُوجب قتالهم لأنه يعتبرهم كفّار مارقين، فتسامع به أهل جبل درن فجاؤوه أفواجا[1]، وبدأ في تشكيل دولته.

استغل بن تومرت وفود القبائل التي قدِمت إليه، وأظهر مهديته الذي أخبر عنها النبي –صل الله عليه وسلم– وكان ويتلو الأحاديث في شأنه ويشوقهم لميقات ظهوره، فلما سلّموا له القيادة واستوثق من قبيلته ومَنَعَة موضعه وأعلن مهديته إعلانا صريحا في رمضان (515هـ/1121م)، فبايعه أصحابه فدخلت دعوته في طور جديد[2]. تتمثل في مقارعة المرابطين بحد السلاح لاجتثاث حكمهم الباطل حسب رأيه وإقامت الدولة الرشيدة على هدى التعاليم التي بشّر بها أتباعه، ويمكن أن نفرق بين مرحلتين في تطور ثورة الموحدين: مرحلة اجيليز، ومرحلة تينملل[3].

---

[1] عبد الحق الظاهري، الدولة الموحدية الأسس الشرعية والمشروع السياسي، د.ط، إفريقيا للنشر، الدار البيضاء المغرب 2015، ص 91.

[2] روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1982، ص 38.

[3] جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البربر تبعد عن مراكش بثلاثة فراسخ ومنها خرج محمد بن تومرت وسمي المهدي الذي أسس الدولة الموحدية وخلّفها لعبد المؤمن بن علي وذريته من بعده. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان المصدر السابق، ج2، ص 69.

امتدت فترة اجيليز منذ بُويع ابن تومرت إلى سنة(518هـ/1124م). وبعدها هاجر إلى تينملل، وفي هذه المرحلة الثانية عمل على بسط نفوذه في مصامدة جبل درن، ووقف من المرابطين موقفا دفاعيا واتبع مع المصامدة أسلوبين[1]:

الأسلوب الأول: أرسل طلبته دعاةً، ومَن كابر وغدر أرسل إليه جنده غزاة، فتغلب عليهم، ودخلت في طاعته هرغة وكدميوة وكنفيسة وهنتاتة وقبائل أهل تينملل[2]، وهزم الجيوش التي وُجّهت إليه من السوس ثم مراكش، فغنم أموالا وأسلحة وحقق انتصارات كبيرة في بداية دعوته فقدم إليه البربر أفواجا وجماعات مُنظمّين تحت لواءه[3].

وبهذه الانتصارات الكبيرة التي حققها محمد بن تومرت على أعدائه أطلقت السلطة المرابطية صفة الخوارج على أنصار الدعوة الجديدة، مما جعل المهدي يشن حملة دعاية واسعة، وأطلق عليهم أوصافا تُقلل من قدرهم و وتُحرض جنوده على حربهم فسماهم الحشم والزراجنة[4] والمجسمة[5].ووصفهم بالمفترين على الله، وأنهم يحاولون تبديل الكلام وتحريف

---

[1] عبد الله بن محمد بن إبراهيم الزركشي(ت ق9هـ)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة ،الزيتونة تونس، د.س، ص 13.

[2] نفسه، ص 14.

[3] الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المصدر السابق، ص 14.

[4] ذكره ابن قطان في نظم الجمان أنه طائر اسود البطن ابيض الريش، شبه به المهدي بن تومرت المرابطين لأنهم في رأيه بيض الثياب سود القلوب، كما سماهم المجسمين لأنه ألزمهم في المذاكرة أن يقولوا بالتجسيم والمكان. للمزيد ينظر: البيذق أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، المصدر السابق، ص 36.

[5] الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المصدر السابق، ص 16.

القول بالزور والبهتان ونعتهم بالفتانين في الدين، كما سماهم أهل الباطل في رأيهم وأفعالهم وكما حرم طاعتهم لأنهم متبعون الهوى ومعتدون ومفسدون وجاهلون[1].

اشتدت هجمات المرابطين على ابن تومرت وأنصاره، فطلب مكانا حصينا فهاجر إلى تينملل لأن مدينة هزميرة قد وُحّدت، وفي هذه المرحلة من ثورته طهّر صفوفه من العناصر المعارضة والمشاغبة التي يصعب إنقيادها، وآخا بين الموحدين وركز على تربيتهم[2].

يبدو أن خطة بن تومرت العسكرية تحولت في عام(519هـ/1125م) من الدفاع إلى الهجوم، فأغار جنده على ضواحي مراكش، وفي سنة (524هـ/1130م) أغار على اغمات كما ركّز هجوما على العاصمة مراكش، لكنه مُني بهزيمة كبرى فقدَ فيها جندا كثيرا وقادة عظماء منهم نصف مستشاريه العشرة[3].

دخل ابن تومرت في حرب شعواء مع المرابطين، ومُنذ أن تحولت خطته إلى الهجوم التي كانت قائمة على التّحصّن في الجبال دون النزول إلى السهول بإستثناء الغارات السريعة الخاطفة، فأزعج بذلك السلطة المرابطية[4]، فبنى المرابطون المراصد قرب مراكش لسد الطرق

---

[1] عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005م، ج2، ص179.

[2] الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المصدر السابق، ص 16.

[3] الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدين والحفصية، المصدر السابق، ص 16.

[4] نفسه، ص 17.

التي ينزل منها الموحدون إلى المنخفضات، وبلغت خشية المرابطين من الموحدين درجة عظيمة فأقاموا سورا حول مدينة مراكش[1].

وفي سنة (524هـ/1130م) خاض ابن تومرت معركة البحيرة[2] التي قدرت قوات المهدي بأربعين ألف جندي وتم محاصرتهم من طرف الجيوش المرابطية، التي استطاعت هزيمتهم والإثخان بهم، وقدم أنصار المهدي بن تومرت تضحيات جسام وأبلى عبد المؤمن بن علي البلاء الحسن، وقتل البشير الونشريسي في هذه المعركة ثم رحلت الجيوش الموحدية بقيادة المهدي بن تومرت عن مراكش وتوفي بعد أربعة أشهر متأثرا بالجراح[3].

وبوفاة المهدي تولى عبد المؤمن بن علي القيادة[4]، وقد ورث تركة ثقيلة، فهزيمة البحيرة ووفاة المهدي أثرتا على الروح المعنوية، فارتدت بعض القبائل، فأقام عبد المؤمن بتينملل

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 14.

[2] وتعرف ببحيرة الرقاق بسيط كان أمام باب الدباغين وباب ايلان من مراكش حيث حدائق اكدال الحالية جرت بها المعركة الكبيرة بين المرابطين ومحمد بن تومرت الذي يسعى إلى تأسيس دولة الموحدين وانتهت المعركة بهزيمة نكراء للموحدين عام (524هـ/1130م). للمزيد ينظر: البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت وبداية الدولة الموحدية، المصدر السابق، ص 40.

[3] محيي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي (ت630هـ/1232م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب قسم الموحدين تح: محمد سعيد العريان، د.ط، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، 1949، ص 14.

[4] صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص 29.

يتألف القلوب ويُحسن إلى الناس ويبعث الثقة في النفوس[1]، فباشر الموحدون حروبهم ومع أول انتصار ضد المرابطين، أخذ الناس يفدون عليه، ويأخذ منهم البيعة[2].

بدأ الموحدون يسيطرون على حصون المرابطين حول منطقة اغمات ويبسطون نفوذهم على منطقة السوس، بالموازات كان عبد المؤمن بن علي يبعث الطلبة لدعوة القبائل لأمره في محاولة كسبهم سلميا[3].

وفي سنة (530هـ/1136م) بدأ الموحدون بشن حمالاتهم خارج منطقة السوس فأغاروا على درعة وزناتة وتادلا في جبل غياثة، واشتبكوا مع المرابطين في معارك ضارية ويبدوا أن النجاح الأولي الذي كسبه الموحدون شجّع عبد المؤمن بن علي فخرج سنة(534هـ/1139م) في حملة طويلة الأعوام وانتهت بسقوط دولة المرابطين[4].

وقد تولى تاشفين بن علي[5] أمر مواجهة الموحدين كقائد أعلى ثم كأمير بعد وفاة والده وفي سنة (537هـ/1143م) فشل بالرغم من حشد عسكر سجلماسة[1] وبجاية والأندلس، وقُتل

---

[1] البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، المصدر السابق، ص 45.

[2] نفسه، ص 45.

[3] نفسه، ص 45.

[4] حسين عبد الرحيم سليمان مصطفى، **دور عبد المؤمن بن على الكومي بنشر دعوة بن تومرت وإقامة دولة الموحدين في المغرب الإسلامي المغرب والأندلس**، رسالة دكتوراه في التاريخ، إشراف: محمد عبده حتامله، جامعة الأردن، 1993 م ص 63.

[5] هو أبو المعز تاشفين بن علي بن يوسف اللمتوني الصنهاجي الأمير الثالث لدولة المرابطين وخليفة أبيه علي بن يوسف حكم أجزاء من المغرب والأندلس مابين (537-539هـ/1143-1145م) توفي بتلمسان. للمزيد ينظر: مؤلف مجهول

في خضم الصراع سنة (539هـ/1145م)، وبالرغم من بلاء الجند المرابطي، سيطر الموحدون على وهران ثم تتابع سقوط المدن المرابطية، فسقطت تلمسان (539هـ/1145م)[2] وسجلماسة وفاس سنة(540هـ/1145م)، وسلا وسبتة وطنجة سنة(541هـ/1146م) ومراكش في (541هـ/1147م)، ووفدت جميع قبائل المصامدة طائعة لعبد المؤمن بن علي[3].

لكن الحكم الجديد لم يستقر من فوره فالروح القبلية الكامنة في نفوس المغاربة حفزها نصر المصامدة فانبعثت في ثورة عارمة، فقام محمد بن عبد الله بن هود الماسي بالسوس وتلقب بالهادي[4] وسيطر على البلاد ما عدا مراكش وفاس واستطاع عبد المؤمن القضاء

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1979، ص 121.

[1] يقع إقليم سجلماسة في المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى على مشارف الصحراء الكبرى ويشمل مساحات شاسعة بنيت المدين على موقع طبيعي عبارة على هضبة مرتفعة على مستوى غمر المياه فيضانات وادي زيز وهي منطقة رعي ومعبر القوافل التجارية بين المغرب ومملكة مالي وقد ذكر الحسن الوزان أن مؤسس المدينة قائد روماني وقد وقعت تحت سيطرة عدة دول في الفترة الإسلامية ابتدأ من حكم المدراريين ثم المغراويين ثم أصبحت تابعة للدول الكبرى التي حكمت المغرب المرابطين والموحدين والمرينيين. للمزيد ينظر: حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي، مطبعة فضالة، المغرب، 1997، ص 85.

[2] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 99.

[3] البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، المصدر السابق، ص ص 60، 63.

[4] أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي(ت726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ط، دار الطباعة المدرسية، اوبسالة، 1823، ص 190.

عليه في ذي الحجة (541هـ/1147م)، فأغرى نجاح الماسي في البداية قبائل دكالة وبرغواطة، فثاروا عليه وأرادت الفلول المرابطية استغلال تلك الثورة لاستعادة سلطتها، فقام القاضي عياض[1] في سبتة وبايع بنى غانية في ميورقة[2] وتحالفوا جميعا مع دكالة وبرغواطة ولكن ثورتهم أُخمدت وحركتهم تبددت، وخلص الأمر لعبد المؤمن عام 543هـ/1148م ودخلت دولة الموحدين في طور جديد وهو عهد الاستقرار[3].

ثانيا: ظاهرية الدولة الموحدية بين الارتباط والافتراق

قامت دولة الموحدين على انقاظ دولة المرابطين بقيادة محمد بن تومرت، وبعد وفاته تزعم لواء القيادة عبد المؤمن بن علي، وقد عمل الحكام والخلفاء من بعد المهدي وعبد المؤمن

---

[1] هو العلامة الحافظ شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي السبتي المالكي ولد سنة (476هـ/1083م)، رحل إلى الأندلس في مستهل القران السادس، وروى عن القاضي أبو علي بن سكرة الصدفي ولازمه وعن أبي بحر بن العاص ومحمد بن حمدي نوابي الحسين سراج الصغير وأبي محمد بن عتاب واستبحر في العلوم وجمع وألّف قال فيه ابن بشكوال هو من أهل التفنن والذكاء، توفي (544هـ/1149م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص 213. و أبو العباس أحمد بن محمد المقرى التلمساني(ت1041هـ/1631م)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا، د.ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، ص 20.

[2] هي جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، إحدى جزر البليار فتحها المسلمون سنة (290هـ/903م) وتولها حكام المرابطين، وقد اتخذها بنو غانية مركزا لثورتهم بزعامة محمد بن علي بن غانية المسوفي، إلى غاية أخرهم عبد الله بن إسحاق الذي وجه إليه الناصر محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الذي انتصر عليه. للمزيد ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تص: لفي بروفنسال، ط2، دار الجيل بيروت 1988م، ص 202.

[3] علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي دولة الموحدين، د.ط، دار البيارق للنشر، عمان، ص 115.

على إرساء المذهب الظاهري، فلم يُعد المالكية يحضون بتأييد رسمي، من طرف السلطة الموحدية، علما أن بن تومرت وخلفاءه لم يجاهروا بظاهريتهم حتى وصل يعقوب المنصور إلى سدة الحكم فجاهر بالمذهب، وفرضه بالقوة وسار على نهجه من جاء بعده من الحكام[1].

يمكن أن نقسّم ظاهرية الدولة الموحدية إلى مرحلتين بارزتين؛ المرحلة الأولى يمثلها الإمام المهدي وخليفته عبد المؤمن بن علي والتي لم يجاهروا فيها بظاهريتهم، وبقيت في أفكارهم ولم تترجم في أرض الواقع، ويمكن أن نرد ذلك إلى الاهتمام بالجانب السياسي والعسكري من أجل تثبيت أركان الدولة، وأما المرحلة الثانية فتمتد من حكم يوسف بن عبد المؤمن بن علي إلى غاية نهاية حكم الدولة ويُعد عهد أبو يوسف يعقوب المنصور من المراحل التي ظهر فيها الانتصار للمذهب الظاهري بصفة جلية وواضحة.

المرحلة الأولى:

بقي ابن تومرت يتذكر ما تعرض له في مراكش على يد فقهاء المالكية في عهد علي بن يوسف ووشايتهم به لديه حتى أُمر بقتله لولا خروجه إلى تينملل[2]، كان هذا في الوقت الذي لقي فيه بن تومرت تأييد جماعة من الظاهرية وافقوه على دعوته خاصة ما كان من فقهاء فاس، فضلا عن أن بن تومرت أخذ على عاتقه نشر التوحيد الكلامي القائم على التأويل وهو ما وجد معارضة شديدة من فقهاء المالكية، في حين كان ابن حزم وهو أحد

---

[1] مبارك بشير، المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي عوامل الدخول والانتشار، المرجع السابق، ص 20.

[2] السيد عبد الباقي عبد الهادي، الظاهرية والمالكية وآثارهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2014، ص 74.

أقطاب الظاهرية ومجدد المذهب يدعو إلى التوحيد الكلامي وله أقوال حول الآيات المتشابهة أوردها في كتابه "الفصل"[1] بل له كتاب مفصل في علم الكلام سماه "علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة"[2]، الأمر الذي دفع ابن تومرت إلى تبني المذهب الظاهري تأييدا لجهوده في نشر علم الكلام، أضف إلى ذلك أن ابن تومرت تلقى أصول المذهب الظاهري في قرطبة بالأندلس، كما درس المذهب الظاهري على يد الإمام أبو بكر الطرطوشي أحد المهتمين بالفقه الظاهري، كما اتبع ابن حزم فوجد في المذهب أمورا تتوافق مع عقليته وتفكيره مثل: الثورة على الحاكم الجائر، ورفض القياس والظن في الأحكام، فاعتمده في الفقه وفي بعض أمور العقيدة.[3]

ومما ساهم في حنق المهدي بن تومرت على المرابطين منع الفقهاء الاشتغال بعلم الكلام والاشتغال بالأصول، واهتموا بالفقه وفروعه وحكّموا الرأي والقياس مما عقد الدين وابعد الناس عن أصوله وأعطى الفقهاء سلطة واسعة يحللون ويحرمون اعتمادا على فهمهم الخاص سواء كانوا أكفاء أي في مرحلة الاجتهاد أو دون ذلك، بل كان البعض يستغل

[1] أسامة عبد الحميد حسين السامرائي، دولة الموحدين تأسيسها ثورتها تنظيماتها عقيدتها، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت 1971م، ص 176.

[2] أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ/1064م)، علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة تح: أحمد حجازي السقا، د.ط، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت لبنان، 1990، ص 12.

[3] ابن حزم، علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة، المصدر السابق، ص 75.

الفتوى لمصلحته المادية مما أدى إلى انحطاط مستوى الدراسات الدينية الشرعية في العصر المرابطي[1].

فمسألة الظاهرية لم تكن فكرتها عند المهدي فقط[2]، بل تابعه في ذلك كل من عبد المؤمن بن علي ويوسف ابنه وحفيده المنصور بل وباقي الحكام[3]، فقد ذكر بن الخطيب في "شرح رقم الحلل" أن ابن تومرت كان ينكر كتب الرأي والتقليد ومراد بن الخطيب بهذا الإنكار أنه كان ينتحل المذهب الظاهري، كما أوردها الونشريسي في كتابه "المعيار"[4].

المرحلة الثانية:

ذهب بعض المؤرخين إلى التشكيك في ظاهرية الدولة الموحدية، لكن لما نرجع إلى المصادر التاريخية نجدها تثبت ظاهريتهم وفي هذه السانحة سوف نعرض بعض أراء المؤرخين الذين يؤكدون ظاهرية هذه الدولة، ومن هؤلاء نجد أقوالا للفقهاء ومؤرخي المالكية أنفسهم كابن الأحمر في بيوتاته والبرزلي في نوازله والشاطبي والونشريسي في نوازله.[5]

---

[1] حسن جلاب، الدولة الموحدية اثر العقيدة في الأدب، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1995، ص 35.

[2] المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 279.

[3] السيد عبد الباقي عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 29.

[4] محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977 ص 52.

[5] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 29.

يعتبر ابن الأحمر صاحب كتاب بيوتات فاس الكبرى من ابرز المؤرخين الذين قالوا بظاهرية الدولة، وسبب إحراق المدونة أن خلفاء الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم تابعين للمهدي رئيسهم الأول، القائل باعتقاده بإنكار الرأي في الفروع الفقهية والعمل على محض الظاهرية[1].

كما أكد الشاطبي كلامه بظاهريتهم بقوله: "وكان من رأيه ترك الرأي واتباع مذهب الظاهرية"[2].

ويذكر عبد الواحد المراكشي أن كلا من عبد المؤمن وابنه يوسف كانا يميلان إلى هذا الرأي إلا إنهما لم يُظهراه وأظهره أبو يوسف يعقوب قال: "يشهد ذلك عندي ما اخبرني به غير واحد ممن لقي الحافظ أبا بكر بن الجد[3] أنه أخبرهم قال: "لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب أول دخلة دخلتها عليه وجدت بين يديه كتاب ابن يونس[4]، فقال

---

[1] أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت807هـ/1405م)، بيوتات فاس الكبرى، د.ط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972، ص 19.

[2] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 52.

[3] هو الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن يحي بن فرج بن الجد الفهري اللبلي الاشبيلي المالكي ولد سنة (496هـ/1102م)، سمع بقرطبة من أبي محمد بن عتاب، وأبي بحر بن العاص، وأبي بكر بن العربي، وأبي الحسن شريح بن محمد، سمع صحيح مسلم من أبي القاسم الهوزي توفي سنة (586هـ/1190م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج21، ص 178.

[4] هو العلامة أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي، صاحب كتاب "الجامع لمسائل المدونة والمختلطة" به 10 أجزاء ويعد الكتاب اختصارا لمسائل الفقهية في المدونة للإمام سحنون، وقد اعتمد على أهم مصادر الفقه المالكي كابن

لي: يا أبا بكر أنا انظر في هذه الآراء المتشعبة والتي أُحْدِثت في دين الله أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو أكثر من هذا في أي هذه الأقوال هو الحق؟. وأيها يجب أن يأخذ به المقلد؟. فافتتحت أُبين له ما أشكل عليه من ذلك، فقال لي: وقطع كلامي يا أبا بكر ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داود وكان عن يمينه أو السيف فظهر في أيام أبو يوسف يعقوب هذا ما خفي في أيام أبيه وجده"[1].

اتخذ حكام الموحدين من المذهب الظاهري مذهبا رسميا لهم خاصة في عهد أبو يوسف يعقوب المنصور الذي عمل بالمذهب الظاهري في الفُتيا والقضاء وغيرها بالمغرب والأندلس[2] ويرجع ذلك إلى أسباب عدة منها:

تعتبر الفتوى الشرعية التي تصدر عن فقهاء الأندلس لا تعتمد على القرآن والسنة مباشرة وإنما على مذهب مالك، حتى أن المصدر الإلهي قد تُنوسي تماما[3]. ومنها الإعجاب الذي كان يكنه المهدي محمد بن تومرت مؤسس الدولة لابن حزم وتأثره به في عدة مسائل تعتبر قوام مذهبه الديني مثل قوله: "إن الشريعة لا تثبت بالعقل وانحصار أصولها في

القاسم وابن مواز. للمزيد ينظر: أبو بكر بن عبد الله بن يونس الصقلي(ت451هـ/1059م)، الجامع لمسائل المدونة والمختلطة، تح: أحمد بن علي أبو الفضل الدمياطي، ط1، أم القرى، 2012م، ج1، ص 23.

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 52.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي(ت1315هـ/1897م)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، د.ط، دار الكتاب، دار البيضاء، 1954م، ج2، ص 145.

[3] السيد عبد الباقي عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 29.

الكتاب والسنة والإجماع فقط"[1]، وتابعه في ذلك كل من عبد المؤمن بن علي ويوسف ابنه وحفيده المنصور، بل وباقي الحكام[2].

كثرة الخلافات في كتب الفروع حول المسألة الواحدة، والتي أدت إلى ضياع الحق وإجهاد الناس خاصة المقلدين في التّعرف على أوجه الصواب من دينهم مما كان له أثر كبير في تمسك هذه الدولة بالمذهب الظاهري[3].

هذا إلى جانب انتشار مذهب المجسمة الذي يفسر الآيات القرآنية التي بها تشبيه للذات الإلهية تفسيرا حرفيا[4].

أضف إلى ذلك عواطف المالكية الجياشة على انقراض الدولة المرابطية، صاحبة الانتصار الأكبر على النصارى في معركة الزلاقة[5] سنة (479هـ/1086م)، والتي ضمنت بقاء المسلمين بالأندلس نحو أربعة قرون تالية وكان ذلك أحد الأسباب التي دفعت مؤسس

---

[1] محمد رواس قلعة جي، ابن حزم في المحلى، **مجلة الحضارة الإسلامية**،ع 5، 1966، ص 11.

[2] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 53.

[3] نفسه، ص 53.

[4] نفسه، ص 53.

[5] هي إحدى المعارك الكبرى التي شهدتها بلاد الأندلس خلال حكم دولة المرابطين (479هـ/ 1086م)، بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين، بمعية المعتمد بن بن عباد صاحب اشبيلية تم إلحاق هزيمة نكراء لجيوش النصارى بقيادة الفونسوا السادس ملك قشتالة وليون. للمزيد ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، المصدر السابق، ص 94.

الدولة الموحدية إلى تغيير المذهب المالكي التي اتبعته الدولة المرابطية إلى المذهب الظاهري أكثر المذاهب معارضة له[1].

تربية المنصور بن يوسف تربية ظاهرية، حتى أنه نشأ فوجد أباه قد قلد ظاهريا القضاء وهو أحمد بن مضاء ثم جعله قاضي القضاة[2]، فضلا عن إبداء يوسف وأبيه عبد المؤمن إعجابهما بالمذهب الظاهري ورغبتهما في نشره والقضاء على كتب الفروع الأمر الذي دفع المنصور إلى هذا المذهب دفعا[3].

ولذا فلا غرور أن يقول عن مجدد المذهب بن حزم مقولته الشهيرة لما مر على قبره "عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم" ثم قال :"حقا كل العلماء عيال على بن حزم"[4].

---

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 53.

[2] السيد عبد الباقي عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 75.

[3] نفسه، ص75.

[4] السيد عبد الباقي عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 75.

1. عناصر الالتقاء والاختلاف بين بن حزم وابن تومرت

لما ننظر إلى فكر بن تومرت نجده يلتقي مع ابن حزم في مسألة أساسية، وهي نفي القياس[1]، وضرورة بناء الشرع على اليقين وليس الشك، ويختلف بن تومرت عنه في قضايا كثيرة خاصة من الجانب العقدي الذي لا تجمعه فيه أي صلة حيث يختلف ابن حزم مع ابن تومرت في العقيدة الاشعرية وقوله بالتأويل الذي يرفضه بن حزم رفضا قاطعا[2].

يُعبر ابن تومرت على فكر تصحيحي ينطلق من علم أصول الفقه وقد بنى الشرع على اليقين واستبعاد العقل كمصدر للحكم الشرعي أي استبعاد الرأي وفي هذا يلتقي بن تومرت مع ابن حزم في نفي القياس دون أن يصرح في الأخذ عنه ولا شك أن قيام ابن تومرت باختصار "الموطأ" للإمام مالك –رحمه الله– كان الهدف منه تبسيط الفقه بالاعتماد على مصدر موثوق بعد حذف أسانيده التي لا تفيد إلا المختصين، ويظهر ابن تومرت في كتابه واثقا من نفسه وقدرته على الاجتهاد والترجيح، لذا فهو لا يستحضر أقوال العلماء في مختلف القضايا التي يناقشها ولاشك أنه كان يتعامل معها من منطق الندّية[3].

نشأ المشروع الفكري التومرتي تحت تأثيرات مختلفة دون أن يصرّح بأي منها، ويظهر أن الأسبقية في تفكير ابن تومرت كانت لعناصر تكوينه المشرقي من خلال النسق الذي

---

[1] ابن حزم الأندلسي، ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل، المصدر السابق، ص 5.

[2] عقون مليكة، **إشكالية الإمامة في الفكر السياسي العربي الإسلامي المهدي بن تومرت أنموذجا**، أطروحة دكتوراه قدمت لقسم الفلسفة، إشراف، عبد اللاوي محمد، جامعة وهران، 2013/2012، ص 63.

[3] نفسه، ص 97.

كونه طيلة عشر سنوات التي قضاها بين حواضر العلم ومجالس العلماء وتصارع الأفكار والمذاهب بالمشرق الإسلامي، هذه الحصيلة جعلته ينظر إلى ما كان عليه المغاربة من انكفاء في فقه الفروع كنوع من السذاجة في التعامل مع المصادر الأصلية في الدين، فحاول التشكيك في مصداقية التفكير الفروعي ورفض تراكم الأصول الحديثة لمذهب مالك من رأي ومسائل خالية من الدليل الشرعي، ونادى برد الاعتبار للقرآن والسنة والاجتهاد الفقهي[1].

لذا لا نلمس في المشروع التومرتي أي نوع من الرفض للمذهب المالكي الأصلي المعتمد على النص الشرعي من القرآن الكريم والحديث النبوي، بالإضافة إلى الإجماع وعمل أهل المدينة[2].

لم تكن آليات المشروع الذي جاء به ابن تومرت متناسقة، ربما أن تراثه نقل إلينا بالواسطة أو لعدم اكتماله فيما يبدو، ولأنه لم يخضع للتطوير والمراجعة وفق تطورات ما بعد مرحلة الثورة، التي ظلت مجموعة من القضايا مؤجلة خلالها، ومن خلال الملاحظات التي تُسجل على المشروع أن دعوته للرجوع إلى السنة قد اتخذ شعار إدانة المرابطين[3]، ولم يتوقع ما كان سيؤول إليه الأمر على المستوى التطبيقي، فالرجوع إلى العمل بالسنة يؤدي بالضرورة إلى نشأة علم الفروع جديد وذلك أن الأحكام الواردة في السنة النبوية لا تُجيب

---

[1] عقون مليكة، المرجع السابق، ص 97.

[2] محمد المغراوي، الموحدون والمذهب الظاهري، في الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 157، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط 2008، ص 98.

[3] محمد بن تومرت المهدي(ت524هـ/1130م)، اعز ما يطلب، تح: عبد الغني أبو العزم، د.ط، مؤسسة الغني للنشر الرباط المغرب، د.س ص 22.

على جميع التفاصيل والجزئيات الفقهية، خاصة تلك التي طرأت بعد عهد النبي صل الله عليه وسلم تاركة بذلك مجالا واسعا لاستيعاب المتغيرات والقضايا المستحدثة[1]،

ومن هنا فإنّ نفي القياس كان في حاجة إلى جهود نظرية كثيرة تحدد منهجيته وتوضح أبعاده وتوجهاته، وإلا ظلت الفكرة نظرية تنطوي على قدر من السذاجة بنفس المستوى الذي يميز الظاهرية الفجة لابن حزم[2].

ثالثا: العلماء الظاهريون ضمن البلاط الموحدي

1. محمد المهدي بن تومرت(ت524هـ/1130م)

يُعتبر ابن تومرت المؤسس الأول لدولة الموحدين وجمع في فكر دعوته مجموعة من الأفكار والآراء جعلت من دعوته الدينية مزيجا من الأفكار والمذاهب المتعددة والمتنوعة[3] وقد تعلّم المذهب الظاهري في قرطبة[4]، على يد تلاميذ ابن حزم وقرأ كتب ابن حزم على يد الإمام أبو بكر الطرطوشي[5]، أحد المهتمين بكتب ابن حزم، وصحب أبناؤه رغم كونه مالكيا

[1] محمد المغراوي، الموحدون والمذهب الظاهري، المرجع السابق، ص 98.

[2] نفسه، ص 98.

[3] ابن تومرت، أعز ما يطلب، المصدر السابق، ص 268.

[4] مبارك بشير، المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي عوامل الدخول والانتشار، المرجع السابق، ص 13.

[5] نسبة إلى مدينة طرطوشة الأندلسية و هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهري الطرطوشي الفقيه المالكي (ت520هـ/1126م). للمزيد ينظر: ياقوت الحموي. معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص 30.

ومن ثم النزعة الظاهرية عند ابن حزم واضحة جدا لا تخفى على أحد ممن اطلع على فكرة مزج بن تومرت دعوته بالمذهب الظاهري في الجانب الفقهي ليحارب به المرابطين كما حارب به بن حزم المالكية، حيث ذهب ابن تومرت إلى قرطبة وهنالك تشبع بتعاليم مذهب ابن حزم الفقهي، ومنها إن الشريعة لا تُثبت بالعقل وأن أصولها تنحصر في القرآن والسنة وإجماع الصحابة، ولم يعتبر القياس ولا الإجماع الذي لا نص يؤيده من تلك الأصول بل عمد إلى حجج القائلين بالقياس وأبطلها[1]. واهتم بدراسة الأصول دون الفروع وأبطل الاعتماد على الشك والظن والتقليد ودعا إلى التأصيل الشرعي للأحكام من نصوص القرآن والسنة كما دعا إلى الجهاد ضد القوى التي عملت على نشر المنكر وقاوم المنكرات بالأمر بالمعروف والنهي على المنكر[2].

إن المطلع على كتاب "اعز ما يطلب" للمهدي محمد بن تومرت سرعان ما يتضح له أثر الفكر الظاهري عليه إذ إنّه عبارة عن دعوة للعودة إلى الكتاب والسنة حيث بوب كتابه وأفتى في كل مسألة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بل إن ابن تومرت خطى خطوة أكدت ظاهريته حينما أمر بقطع كتب الفروع الفقهية وحرقها على قول شارح كتاب "اعز ما

---

[1] ابن تومرت، أعز ما يطلب، المصدر السابق، ص ص 268، 269.

[2] عبد الحق الطاهري، الدولة الموحدية أسس الشرعية والمشروع السياسي، د.ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب 2015، ص 113.

يطلب"[1]، وهو ما أكده بن الخطيب حينما قال: "إن بن تومرت كان ينكر كتب الرأي والتقليد" بل إن صاحب بيوتات فاس كان أكثر جرأة وصراحة حينما صرح بظاهرية دولة الموحدين[2].

ذكر عبد الواحد المراكشي قائلا: "أن الإمام المهدي قبل وفاته بأيام يسيرة استدعى هؤلاء المسمّين بالجماعة وأهل الخمسين، فلما حضروا بين يديه، قام وكان متكأ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد –صلى الله عليه وسلم– ثم أنشد يترضى على الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم[3]، ويُذكّر ما كانوا عليه في الثبات من دينهم والعزيمة في أمرهم وأن أحدهم كان لا تأخذه في الله لومة لائم[4].

وقدم المهدي خطبة في الجمع مُبيّنا ما كان عليه السلف في إتباع أمر دينهم قائلا: "فانقرضت هذه العصابة نضر الله وجوهها وشكر لها سعيها وجزاها خيرا عن امة نبيها وخطبت الناس فتنة تركت الحليم حيران والعالم متجاهلا مداهنا فلم ينتفع العلماء بعلمهم بل قصدوا به الملوك واجتلبوا به الدنيا وأمالوا وجوه الناس إليهم"[5].

---

[1] عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي (ت524هـ/1130م) حياته وآراؤه وثورته الفكرية وأثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، ص 362.

[2] ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، المصدر السابق، ص 19.

[3] البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، المصدر السابق، ص 42.

[4] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، المصدر السابق، ص 117.

[5] نفسه، ص 117.

ثم إنّ الله سبحانه وله الحمد، منّ عليكم أيتها الطائفة بتأييده وخصكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيده، وقيض لكم من ألفاكم ضلالا لا تهتدون وعميا لا تبصرون لا تعرفون معروفا ولا تنكرون منكرا، قد فشت فيكم البدع واستهوتكم الأباطيل وزين لكم الشيطان الأضاليل وترهات أنزه لساني عن النطق بها وأربأ بلفظي عن ذكرها، فهداكم الله به بعد الضلالة وبصركم بعد العمى وجمعكم بعد الفرقة وأعزكم بعد الذلة ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين، وسيورثكم أرضهم وديارهم ذلك بما كسبته أيديهم وأضمرته قلوبهم وما ربك بظلام للعبيد فجدّدوا لله سبحانه خالص نياتكم وأروه من الشكر قولا وفعلا ما يزكي به سعيكم ويتقبل أعمالكم وينشروا أمركم واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات الآراء وكونوا يد واحدة على عدوكم[1] فإنكم إن فعلتم ذلك هابكم الناس وأسرعوا في طاعتكم وكثر أتباعكم و أظهر الله الحق على أيديكم وإلاّ تفعلوا شملكم الذل وعمكم الصغار واحتقرتكم العامة فخطفتكم الخاصة وعليكم في جميع أموركم بمزج الرأفة بالغلظة واللين بالعنف وأعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أمر أولها وقد اخترنا لكم رجلا منكم جعلناه أميرا عليكم هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه واختبرنا سريرته وعلانيته فرأيناه في ذلك كله ثبْتا في دينه متبصرا في أمره وإني ارجوا لا يُخلف الظّن فيه وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن بن علي[2]، فاستمعوا له وأطيعوا ما دام سامعا مطيعا لربه فإن بدل أو نكص على عقبه أو ارتاب في أمر الموحدين أعزهم الله بركة وخير كثير

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، المصدر السابق، ص 118.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 118.

والأمر أمر الله يقلده من شاء من عباده. فبايع القوم عبد المؤمن ودعا لهم بن تومرت ومسح وجوههم وصدورهم واحدا واحدا وآل أمر المصامدة له[1].

2. عبد المؤمن بن علي الكومي الظاهري (487- 558هـ/1064- 1163م).

هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان أبو محمد الكومي،[2] نسبته إلى كومية من قبائل البربر ولد بمدينة ندرومة[3] قرب تلمسان سنة (487هـ/1064م) في أيام يوسف بن تاشفين[4] وفيها نشأ وتعلم، وكان والده صانع خزف أو فخار[5].

ورث عبد المؤمن بن علي عن ابن تومرت حركة ثائرة، فحولها إلى دولة مستقرة ومد سلطانها حتى شملت بلاد المغرب كلها، وما بقي من الأندلس[6] ووضع لها القواعد والنّظم

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص ص51، 52.

[2] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 107.

[3] وهي مدينة في طرف جبل تاجرا بأرض المغرب. وهي مدينة حسنة كثيرة الثمار والزروع وبينها وبين البحر عشرة أميال ولها مرسى. للمزيد ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري(ت900هـ/1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2 دار الجيل، بيروت لبنان، 1988، ص 879.

[4] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 107.

[5] حسين عبد الرحيم سليمان مصطفى، المرجع السابق، ص 49.

[6] عصام عبد حمود عبد الله المرعاوي، **النزاعات الداخلية في المغرب في عصر الدولة الموحدية(541-668هـ/1147-1269م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف بديع محمد إبراهيم الكربولي ، قدمت لجامعة الانبار، 2016 ص 71.

الإدارية التي تُمكن من تسيير أمور الدولة وإدارة شؤونها، ويحفظ التاريخ رسالة طويلة بعث بها عبد المؤمن إلى أهل الأندلس تعدّ دستورا لنظم الحكم الدولة الموحدية[1].

وقد أطلق عبد المؤمن مشروعه الموحدي لبلاد المغرب، والذي ركز فيه من الناحية العلمية والدينية على:

إطلاق حرية العلوم والمعارف، وأنشأ الكثير من المدارس والمساجد وكان هذا على خلاف نهج ابن تومرت صاحب الفكر الأوحد، فأصبح الناس يتعلمون أكثر من طريقته ومنهجه وأصبحوا لا يرتبطون بقطب واحد كما كان العهد أيام محمد بن تومرت، لكن هذا لم يكن ليغض الطرف عن كون عبد المؤمن بن علي ذو نزعة فردية في نظام الحكم والإدارة،[2].

كما سعى لإضعاف سيطرة مذهب المالكية على الحياة، فبدأ في تمكين المدرسة الظاهرية وعلماء أهل الظاهر في الدولة وذلك بإنشاء مدرسته بمراكش لتخريج العلماء ورجال الدولة من حفظة الكتاب والسنة[3]، وكان عدد الطلبة والحفاظ بها نحو ثلاثة آلاف وكان

---

[1] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، المصدر السابق، ص 15.الملحق

[2] حسين عبد الرحيم سليمان مصطفى، المرجع السابق، ص 67.

[3] وهم الطلبة الذين جمعهم الخليفة عبد المؤمن بن علي من مختلف القبائل، وأنشأ لهم مدرسة خاصة بمراكش لتعليمهم وتثقيفهم بالعلوم الدينية وأُسس الدعوة الموحدية، مع تدريبهم على فنون القتال والشؤون الإدارية وكان عددهم ثلاثة آلاف طالب، حتى إذا أتم هؤلاء الحفاظ دراساتهم وزعهم على الوظائف الإدارية بالدولة، وكان الهدف من ذلك هو القضاء على نفوذ أشياخ الموحدين الذي استفحل في عهده وولي عبد المؤمن بعض أقاليم الدولة، فقد ولى أحد الحفاظ وهو عبد الحق بن علناس الكومي مدينة سوسة. للمزيد ينظر: حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، كلية دار العلوم، القاهرة، دس، ص 336.

يُدخلهم كل يوم جمعة إلى قصره ويجتمع بهم، وعقب ذلك أمر بحرق كتب الفروع المالكية وإلزام العلماء بالاجتهاد، ثم بدأ يجتمع بعلماء المالكية الكبار مع الطلبة من أهل الظاهر ويطرح عليهم المسائل الفقهية ليتم حسمها حسب المنهج الظاهري[1].

كان عبد المؤمن بن علي يعقد المناظرات بين المالكية والظاهرية نصرة للمنهج الظاهري وتمهيدا لفرضه واتخاذه منهجا رسميا للدولة الموحدية، وكان عبد المؤمن نفسه يناظر المالكية ويستخدم حجج بن حزم في المناظرة[2].

ويُؤكد بن زرقون (ت621هـ/1224م)[3] بقوله: "أنّ عبد المؤمن بن علي جمع الفقهاء وذلك لحمل الناس على المذهب الظاهري" وكان بن زرقون ممن جمعهم فقام على رأس كاتبه ووزيره أبو جعفر بن عطية، فخطب خطبة مختصرة ثم رد رأسه إلى الفقهاء، فقال لهم: بلغ سيدنا أن قوما من أولى العلم تركوا كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وصاروا يحكمون بين الناس ويفتون بهذه الفروع والمسائل التي لا أصل لها في الشرع وقد أمر أن من فعل ذلك بعد هذا اليوم ونظر في شيء من الفروع والمسائل عُوقب العِقاب الشديد وفُعِل به كذا وكذا وسكت ورفع الأمير عبد المؤمن رأسه إليه وأشار عليه بالجلوس فجلس وقال: سمعتم ما قال؟ قال له الطلبة: نعم قال: سمعنا أن عند القوم تأليفا من هذه الفروع يسمونه

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 57

[2] نفسه، ص 57.

[3] ليفي بروفنسال، رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1941، ص 4.

الكتاب "يعني المدونة"[1] وأنهم إذ قال لهم قائل مسألة من السنة ولم تكن فيه أو مخالفة له قالوا ما هذا في الكتاب أو ما هو مذهب الكتاب؟ وليست ثمة كتاب يرجع إليه إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– قال: وأرعد وأبرق في التخويف والتحذير من النظر في هذه الكتب والفقهاء سكوت ثم قال ومن العجيب أنهم يقولون أقوالا برأيهم وليست من الشرع[2].

فيقولون من طرأ عليه خلل في صلاته يعيد في الوقت ويتحكمون في دين الله تعالى لأنها إما صحيحة فلا إعادة، وإما باطلة فيعيد أبدا فيا ليت شعري من أين أخذوه، فصمت القوم فلم يجيبه أحد لحدة الأمر والإنكار ... ثم قام ابن زرقون وحاول أن يجيب عبد المؤمن ويحل له الإشكال إلى أن قال: "ياسيدي جميع ما في الكتاب –يعني المدونة– مبني على الكتاب والسنة وأقوال السلف والإجماع، وإنما اختصره الفقهاء تقريبا لمن ينظر فيه من المتعلمين والطالبين للعلم، فانطلقت ألسِنَة الفقهاء الحاضرين حينئذ ووافقوني على ما قلت قال بن زرقون: ثم دعا –أي عبد المؤمن– فقال: اللهم وفقنا يارب العالمين وقام إلى منزله"[3].

---

[1] يُعد كتاب المدونة الكبرى من ثاني أمهات المصادر بعد كتاب الموطأ، حيث تعتبر الأصل الثاني في الفقه المالكي لأنها تحمل في طياتها فقه أربعة مجتهدين: مالك، وسحنون، وابن القاسم، وأسد بن فرات، وتُعرف المدونة على أنها مجموعة من المسائل الفقهية مدونة، وتسمى أيضا المختلطة نظرا لاختلاط مسائلها في الأصل وتنسب إلى الإمام مالك لأنها ضمت جل علمه كما تنسب إلى الإمام أبو القاسم لسماعه من مالك، وتنسب إلى بن فرات لأنه سمع من ابن القاسم وتنسب إلى سحنون لأنه رحل إلى ابن القاسم وهذبها عليه. للمزيد ينظر: عبد العزيز باسو، المدونة الكبرى أصلها ونشأتها **بحوث جامعة الجزائر**، ع2، مج9، ص ص 90، 99.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 40.

[3] نقلا عن بن عليش، فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك، ج 1، ص 102، 103.

مما سبق يتضح أن عبد المؤمن بن علي قد حمل الناس على المذهب الظاهري من خلال حادثة بن زرقون.

ومن البراهين على ظاهرية عبد المؤمن تكنيه بكنية بن حزم أبو محمد وتسمية ابنه بأبي سليمان داود وهو اسم و كُنية إمام أهل الظاهر داود بن علي الأصبهاني وهذا أمر واضح لتأثر عبد المؤمن بالمذهب الظاهري حتى أنه تكنى بكنية مجدد المذهب وسمي ابنه باسم إمام المذهب، أضف إلى ذلك إصداره الأمر في العام (550هـ/1155م) بإحراق كتب الفروع الفقهية ورد الناس لحفظ كتب الحديث واستنباط الأحكام منها[1]، وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم بالمغرب والأندلس[2].

كما طبق عبد المؤمن طريقة الظاهرية في حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والعقيدة والفقه، وهي التلقين أو الحفظ على أبنائه وعلى الطلبة الذين استدعاهم من اشبيلية وقرطبة وفاس وتلمسان وغيرها إلى عاصمته مراكش وتتمثل هذه الطريقة في قيام الأستاذ بقراءة الجزء المطلوب تلقينه للطالب على أن يردده الطالب وراء الأستاذ حتى يحفظه وقد امتدح القاضي بن قطان[3]، هذه الطريقة واعتبرها من مآثر عبد المؤمن بن علي[1].

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 60.

[2] نفسه، ص 60.

[3] هو الشيخ الإمام العلامة القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحي الكتامي قرطبي الأصل المعروف بابن قطان، قام زمنا بمراكش وكان مقربا من سلاطين الدولة الموحدية امتحن سنة 621هـ، فخرج من مراكش وعاد إليها واضطرب أمره ثم ولي القضاء بسجلماسة إلى غاية وفاته. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق ج22، ص 307.

3. الخليفة الموحدي يعقوب المنصور(580-595 هـ/1148 -1189م).

عرفت بلاد المغرب الإسلامي في عهد الخليفة يعقوب المنصور عددا من السمات التي ميّزته عن غيره من عهود خلفاء الدولة الموحدية، لاسيما الحياة الدينية التي عاشها الموحدين في دولته[2]، إذ عُرفت بطابعها الديني الإسلامي المتجدد، كما شهد عهده العديد من الأعمال الخيرية التي قدمها لرعيته سواء كانت دعما ماليا أو أقامت مشاريع خيرية في حين حضي عنده الفقهاء وعلماء الدين باهتمام خاص بشكل جعلهم مقربين لديه، فضلا على أنه كان لديه موقفا دينيا من عقيدة محمد بن تومرت التي قامت على أساسها الدولة الموحدين، إذ نبذ بعضهم أركانها واستعان بالمذهب الظاهري ليكون مذهبا دينيا في دولته وساهم في ازدهار العلوم الدينية، كما حفّز الطلبة والعلماء على دراستها والاستفادة من مضمونها[3].

كما قام باستدعاء العلماء ورواة الحديث النبوي الشريف وأهل الفنون المختلفة من كافة الأقطار إلى حاضرة الموحدين بمراكش، فكثر فيها العلماء وامتلأت بوجوه أهل العلم[4] وأجرى المرتبات على الفقهاء وطلبة العلم على قدر مراتبهم وطبقاتهم، وانتهى أمرهم معه إلى

---

[1] مبارك بشير، المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي عوامل الدخول والانتشار، المرجع السابق، ص 3.

[2] حسان عبد الكريم، الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في عصر الموحدين، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات المتوسطية**، العدد الثالث، 2016، ص 3 .

[3] أكرم حسين غضبان، الحياة الدينية للموحدين في عهد الخليفة يعقوب المنصور، **مجلة أبحاث البصرة**، جامعة البصرة العراق، مج 38، ع1، 2013، ص 16.

[4] حسان عبد الكريم، الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في عصر الموحدين، المرجع السابق، ص 6.

إن قال يوما بحضرة كافة الموحدين يُسمعهم وقد بلغه حسدهم للطلبة على موضعهم منه وتقريبه إياهم وخلوته بهم دونهم قائلا: "يا معشر الموحدين أنتم قبائل فمن نابه منكم أمر فزع إلى قبيلته وهؤلاء الطلبة لا قبيل لهم إلا أنا، فمهما نابهم أمر فأنا ملجأهم وإلي فزعهم وإلي ينتسبون"، فعظم منذ ذلك اليوم أمرهم فبالغ الموحدون في برهم وإكرامهم[1].

فجعل يعقوب المنصور أحمد بن عبد الرحمان الأنصاري الخزرجى على الخزانة العلمية، وكانت عندهم من الخطط التي لا يُعين لها إلا كبار أهل العلم وعليهم، كما نقل المنصور بن محمد بن عبد العزيز المعافري بعد أن قرأ في اشبيلية وقرطبة فانتقل إلى حاضرته مراكش، فأنزله في جامعه الأعظم لتدريس ما كان عنده من المعارف وحظي عنده وعند ذوي الأمر وأمره المنصور بنسخه لخزانة كتبه وعُني الناس في مراكش بنسخه واستنساخه وإذاعته[2].

كما أوفد المنصور أبي عبد الله بن فخار الأندلسي إلى مراكش سنة (580هـ/1184م) ولازمه ملازمة طويلة، وكان يُجله كثيرا ويقربه ويرفع من شأنه ويوجب له حقه واستصحبه حين توجه إلى إفريقية مباهيا به مستكثرا بمكانه، وكان النابغة العالم بن قطان من أخص جلساء المنصور ورئيس طلبة علم الحديث بمراكش[3]، كما سحب المنصور أبو الحجاج

---

[1] أكرم حسين غضبان، الحياة الدينية للموحدين في عهد الخليفة يعقوب المنصور، المرجع السابق، ص 19.

[2] صفية ديب، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، ط2، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر، 2017، ص 72.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 279.

الأحدب عند دخوله الأندلس عام (591هـ/1194م) فقربه المنصور وألزمه حضور مجلسه مع طلبة العلم وأحسن إليه[1].

لقد تغيرت ظروف كثيرة عند حكم يعقوب المنصور وتوليه السلطة وإذا كانت أغلب المصادر تُجمع على أن عهد هذا الخليفة يمثل ذروة قوة الدولة الموحدية[2]، فإنّ هذه الذروة لم تخل من التّوترات من بينها التصعيد الواضح الذي عرفه موقف الخليفة المنصور من فقه الفروع وأهله، والذي بادر منذ بداية خلافته إلى التعبير عنه للفقيه أبي بكر بن الجد الفهري (ت586هـ/1190م)، الذي كان أحد حفاظ المذهب المالكي بالأندلس مؤكدا عزمه على الرجوع إلى الكتاب والسنة أو السيف مستنكرا تشعب أقوال الفقهاء وتعددها في المسألة الواحدة في كتب فقه الفروع[3]، لهذا لم يتردد في إحراق "مدونة سحنون" وباقي كتب المذهب المعتمدة ككتاب "ابن يونس الجامع لمسائل المدونة والمختلطة" "ونوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني"[4] وكتاب "التهذيب للبراذعي"[1].

---

[1] محمد جمال محمد الهوبي، **أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي (580- 595هـ/1184-1199م)**، رسالة ماجستير، التاريخ الإسلامي، إشراف: خالد يونس الخالدي، جامعة غزة 2017، ص ص 66، 67.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 255.

[3] نفسه، ص 278.

[4] وهو كتاب النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، يحتوي الكتاب على مادة مرجعية عن مصادر الفقه المالكي المتمثلة في مختصرات فقهية منتظمة ومجاميع ومسائل ومعالجات لمشكلات فقهية منتظمة مع مراعات الاختلاف في الفروع. للمزيد ينظر: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان ابن أبي زيد القيرواني(386هـ/996م)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، ص 5.

و"الواضحة لابن حبيب"[2] وغيرها فتم إحراقها بسائر بلاد المغرب، وأكّد عبد الواحد المراكشي الذي عاين عملية الإحراق بمدينة فاس، أن المنصور "كان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث وهذا المقصد كان مقصد أبيه وجده إلا إنهما لم يظهراه"[3]، وكان نتيجة هذه الحملة أن انقطع علم الفروع مؤكدا أن الخليفة كان قد تقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه وتوعّد على ذلك بالعقوبة الشديدة[4].

كان لإحراق كتب الفروع تتويجا للعلاقة المتوترة بين المنصور والتراث الفروعي وجاء كخطوة في مشروع إصلاحي استهدف بالأساس الرجوع إلى العمل بالكتاب والسنة لكنه تم في جو طبعه التهديد والزجر لبعض الفقهاء المالكية[5].

---

[1] يُعد كتاب التهذيب في اختصار المدونة من أهم المختصرات لكتاب المدونة، قصد فيه المؤلف تيسير فهم المدونة وتسهيل حفظها وتدريسها، فعمد إلى اختصارها وتقريب مسائلها. للمزيد ينظر: أبو سعيد خلف محمد الازدي القيرواني الشهير بالبراذعي(ت435هـ/1043م)، التهذيب في اختصار المدونة، تح: محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ط1 دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، د.م، 2002م، ص 11.

[2] يعتبر كتاب "الواضحة من السنن والفقه" أو ما يعرف بواضحة ابن حبيب ثاني الأمهات والدواوين في الفقه المالكي اعتنى بها مالكية الأندلس فهي إحدى مفاخر الأندلس. للمزيد ينظر: أبو مروان عبد الملك بن حبيب الأندلسي المالكي(238هـ/853م)، الواضحة من السنن والفقه، تح: ميكلوش موراني، د.ط، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2010م ص 12.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 297.

[4] محمد المغراوي، الموحدون والمذهب الظاهري، المرجع السابق، ص 102.

[5] نفسه، ص 102.

وإذا كانت أغلب المصادر تشير إلى أن عملية الإحراق قد تمت في عصر المنصور فإنّ ابن الأحمر ينفرد في بيوتات فاس الكبرى بالحديث عن إحراق آخر لكتب الفروع تم في عهد الخليفة محمد الناصر بن المنصور، وذلك أن بعض الفقهاء كانوا ينكرون عليه التوجه نحو الظاهرية ويعتبرون الحق هو مذهب المدونة فأمر بجمع ما وجد من النسخ منها وإحراقها فأحرقت عن أخرها[1].

شجع المنصور على الاهتمام بالحديث النبوي تدريسا وتأليفا، وبادر بالأمر إلى جمع أحاديث الصلاة من كتب الحديث العشر[2] على غرار ما فعل بن تومرت في أحاديث الطهارة وفرض الخليفة تشجيعات مادية في سبيل نشر سلسلته الحديثية كما أمر بقراءة البسملة في الصلاة على خلاف ما هو معمول به في المذهب المالكي[3].

تركت عملية الإحراق أصداء واسعة ترجمها بعض العلماء والشعراء في قصائدهم في مدح المنصور والتنويه به وفي ذلك قول الفقيه الأندلسي عبد الله بن حوط الأنصاري:

أيـا طالبـا ديـن النبـي محمد علــــــى　　　حــين عــم الحــق وانتشــر العـــدل

---

[1] ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، المصدر السابق، ص 19.

[2] ويقصد بها: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن النسائي، سنن أبو داود، سنن الترمذي، سنن ابن ماجة، موطأ مالك ومسند الإمام احمد، وسنن الدارمي، سنن الدارقطني.

[3] أكرم حسين غضبان، الحياة الدينية للموحدين في عهد الخليفة يعقوب المنصور، المرجع السابق، ص 19.

عليك بكتاب الله والسنن التـــــي رواهـا رسـول الله والعـدل فالعـدل
همـا الحــق و البرهـان والنـور فمـا لهمـا عـدل ولا عنهمـا عـدل
ودع عنـك أراء الرجـال فمـا لـــم تشـتريها بـدين الله صـرف ولا عـدل[1]

ومن جهته أشاد قاضي الجماعة الظاهري المذهب محمد بن علي بن مروان الهمداني بذلك في قوله:

قطعـتم فروعـا قـد أضـرت بأصـلها ألا هكـذا مـن كـان بـالحق اشـمل

كما أشاد الشاعر بن الياسمين بقوله:

نبـــذتم مقالـــة هـــذا وهـــذا فـــزال المـــراء وقـــل الخصـــام
واثبـــتم قـــول مـــن لفظـــه هـــو الحـــق والشـــرع منـــه يقـــوم[2]

يبدو أن حادثة الإحراق جاءت كنتيجة طبيعية لميولات فكرية تشكل تعبيرا في الانخراط في فكر الدولة الموحدية، ونتيجة كذلك لقناعات المنصور وميوله الحديثية وإعجابه الشديد بابن حزم الظاهري والذي دفعه إلى تقريب عدد من العلماء ذوي الميول والظاهري[3]، فعيّن منهم

---

[1] أبو الحسن علي بن محمد الرعيني الاشبيلي (ت666هـ/1267م)، برنامج شيوخ الرعيني، تح: إبراهيم شيوخ، دمشق د.ط، مدرية إحياء التراث، 1962، ص 50.

[2] علي بن موسى بن سعيد المغربي(685هـ/1286م)، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، دار المعارف د.ط، مصر ،1945، ص 31.

[3] عبد الهادي تازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ط2، دار المعرفة للنشر، الرباط، 2000، ج2، ص 57.

بعض قضاة الجماعة، بل أنه استقضى بعض العلماء الشافعية القادمين من المشرق مقلدا في ذلك والده يوسف الذي كان قد سبق إلى استقضاء بعضهم، ومع هذا كله فقد ظل المنصور مقربا لعلماء المذهب المالكي معتنيا ببعض أعلامهم لكونهم كانوا يشكلون الأكثرية من العلماء[1].

ترافق الإحراق مع إنزال عقوبات صارمة بعدد من الفقهاء في هذه المحنة، الشيء الذي يدل بالفعل على تحكم الخلفيات المذهبية، فقد عُذب الفقيه أبو الحسين بن زرقون (ت621هـ/1224م) وكان شيخا للمالكية ومن كبار المتعصبين للمذهب ألّف في الفقه المالكي كتاب "تهذيب المسالك إلى تحصيل مذهب مالك"[2]، وفي الرد على بن حزم ألّف كتاب "المعلى في الرد على المحلى"[3]، فقد نكّل الموحدون بهذا الفقيه فأحرقوا مكتبته التي ورثها عن أبيه الفقيه أبي محمد بن زرقون، وكانت تقاوم مالا جسيما وتساويه في كل مصنف تشمل عليه من الرأي وسجنوه طويلا بمدينة سبته لكن أذى المحنة لم يثنه عن العودة لتدريس الفقه المالكي باشبيلية بعد ذلك[4].

[1] ابن عبد الملك المراكشي(ت703هـ/1303م)، الذيل والتكملة، تح: محمد بن شريفة، د.ط، مطبوعات اكادمية المملكة المغربية، الرباط، ج8، 1984، ص 217.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج13، ص 197.

[3] إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون المالكي(ت799هـ/1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب تح: مامون بن يحي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1996، ج2 ، ص 260.

[4] نفسه ، ص 217.

وأوذي الفقيه المالكي الحافظ أبو بكر محمد بن علي بن خلف التجيبي الاشبيلي (ت596هـ/1199م) وكانت تأثير النكبة على التجيبي أشد إلى حد أنه اعتزل الناس ورام بيته فندم المنصور على تعريضه للإذاية، فبعث الشرطة إلى بيته لاستحضاره أمام الخليفة فلما فتح نافذته وجد الشرطة مقبلة عليه فأُصيب بخلل في عقله[1].

وممن تُوبع من السابقين الفقيه أبو محمد عبد الكبير بن محمد بن عيسى الغافقي (ت617هـ/1220م)، لكنه اختفى على الأنظار مدة تلك المحنة فنجا من الأذى[2].

إن موقف الموحدين من فقه الفروع الذي تراوح بين النقد والمحاربة لم يستطع أن يُهمش التراث الفقهي المالكي، فظل اهتمام الفقهاء بالمدونة قائما على مستوى التدريس والتأليف بعيدا عن أنظار السلطة الموحدية، لكن ظهر إلى جانب ذلك اهتمام ملموس بالحديث النبوي وعلومه ووقع الانفتاح على المذاهب السنية الأخرى، خاصة المذهب الظاهري، واستطاع الفقهاء المالكيون أن يسايرو الوضعية الجديدة ويتعايشوا معها، الشيء الذي حال دون دخولهم في صراع مكشوف مع السلطة التي بادرت باستفزازهم عن طريق عملية إحراق كتب الفروع ومنع تدريسها[3].

[1] أحمد بن المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ط1، دار البصائر، لبنان 1988، مج2، ص 57.

[2] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج6، ص 444.

[3] محمد المغراوي، الموحدون والمذهب الظاهري، المرجع السابق، ص 104.

رابعا: تجليات المذهب الظاهري في فكر وممارسة الدولة الموحدية

يمكننا الوقوف على بعض تجليات المذهب الظاهري في الخطط مثل المجال القضائي، حيث عيّن الموحدون بعض القضاة الظاهريين في مناصب قضائية هامة مثل قاضي الجماعة، غير أننا لم نقف على اجتهادات فقهية ظاهرية تؤكد قدرة هذا المذهب على مزاحمة الاجتهادات المالكية في المجال القضائي، ومن بين الاجتهادات الجزئية القليلة التي وقفنا عليها اجتهاد العالم الظاهري الأندلسي أبو القاسم بن بقي الذي كان لا يحكم بالتدمية[1] وكان يعقوب المنصور يمنع الشهادة على الخط كما أنه اصدر أمر بقراءة البسملة في الصلاة[2].

عرفت البلاط المراكشي تقديم العديد من القضاة التابعين لمذهب الدولة كان له بالغ الأثر في حياة الدولة، فقد اشتهر على الموحدين أنهم لم يولّوا القضاء إلا لأهل الظاهر ومنهم نذكر:

أبو موسى عيسى بن عمران بن دافال المكناسي التازي (512-578هـ/1118-1182م) من أهل مكناسة تازة ولد سنة كان من الراسخين في العلم فقيها شاعرا أديبا خطيبا

[1] التدمية في اللغة من دميته تدمية: إذ حزبته حتى خرج منه دم ومثله أدميته واصطلاحا قول المقتول قبل موته دمي عند فلان أو قتلني فلان. للمزيد ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ/1311م)، لسان العرب ط.3، دار صادر، بيروت، 2004م، ج3، ص 656.

[2] محمد المغراوي، الموحدون والمذهب الظاهري، المرجع السابق، 104.

مفوّها ولي قضاء الجماعة بالمغرب توفي بمراكش وهو في منصب قاضي القضاة تولى بعده المنصب ابن مضاء النحوي الذي كان من أهل الظاهر[1].

ونجد كذلك القاضي سعد السعود بن حمد بن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سلمان بن عبد الوهاب بن عفير الأموي ولد سنة (513-588هـ/1119-1192م)، كان ظاهري المذهب شديد التمسك بالسنن ملازما للأذان والإمامة بمسجده وإذا أذّن سمع من نحو أربعة أميال، ألّف كتاب في السنن سماه "كتاب السبيل" وقال عند موته لا أبالي بالموت ثقة بحب الرسول، توفي بقرية برجلانة من قرى لبلة وصُلي عليه إثر صلاة عصر الجمعة ودفن بجوف داره بموضع كان يقدسه ويقرأ فيه ويوصى به ويتعاهده بتقديسه والقراءة فيه، له من الولد إبراهيم وإسماعيل هذا الأخير كان قاضيا ظاهريا[2]. روى عن الحافظ الشهيد أحمد بن عبد الملك الأنصاري الأشبيلي الظاهري وكان صهرا له، وروى عن أبي الحسن شريح الظاهري وابن كوثر الظاهري وممن روى عنه من الظاهرية أبو العباس ابن نباته المحدث الظاهري الشهير[3].

ومن القضاة أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل الوهراني (ت601هـ/1204م) من أهل وهران، ونشأ بتلمسان وأصله من الأندلس، وُلي قضاء تلمسان ثم نُقل إلى قضاء

---

[1] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج8، ص 44.

[2] أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي بن الأبار (ت658هـ/1260م)، التكملة لكتاب الصلة، تح الفريد بل وابن أبي شنب، د.د، دم، د.س، ج 3، ص 218 .

[3] نفسه، ص 218.

الجماعة بمراكش بعد ابن مضاء القرطبي، ثم تحول إلى قضاء اشبيلية بالأندلس، ثم أُعيد إلى قضاء الجماعة بعد صرف ابن بقي الظاهري، كان حميد السيرة عارفا بالأحكام سريع الفصل بين الخصوم لم يجلد أحد طول ولايته[1]. وكان قد مدح المنصور الموحدي على قطع الناس عن كتب الفروع وإحراقها، ولما مرض ابن مضاء في سفر المنصور إلى إفريقية عام (583هـ/1187م) اشتغل ابن مروان بالحكم بين الناس، فظهر منه من حسن الخلق والسياسة وتولى القضاء للمنصور، فكان بن مضاء إذا رآه والناس

مقبلين عليه انشد قائلا:

ومـا يسـتوي الثوبـان ثـوب بـه البلـى وثـــوب بأيـــدي البـــائعين جديـــد[2]

ومنهم أبو عمران موسى بن محمد علي بن مروان بن جبل الوهراني (ت608هـ/1211م) نشأ بمراكش وطلب العلم بها تولى قضاء مالقة وغرناطة توفي ودفن بها[3].

ونجد من القضاة أيضا محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني (ت601هـ/1204م) قاضي الجماعة في عهد المنصور الموحدي وابنه محمد الناصر نزل بدار واحد من اليهود بتلمسان واحتفل اليهودي به وأحسن وفادته[4].

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص 681.

[2] ابن سعيد المغربي، الغصون اليانعة، المصدر السابق، ص 33.

[3] نفسه، ص 33.

[4] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص 681.

ونذكر محمد بن عبد الله بن طاهر الصقلي الحسيني قاضي القضاة بالمغرب (ت609هـ/1212م) يُعرف بابن الصيقل من أهل مدينة فاس، كان متصوفا اتصل بالمنصور الموحدي سنة (587هـ/1191م) فحظي عنده وكان قبل ذلك ينتحل طريقة الوعظ والتصوف والتدريس، وكان عالما بأصول الدين وأصول الفقه ومسائل الخلاف وكان عادلا فاضلا لم يعرف ميلا ولا يقبل هدية من أحد منذ أن ولي القضاء حتى مات، ولي قضاء الجماعة للمنصور وكانت له عنده منزلة عظيمة حتى قال: "وصل إلي من صلات أمير المؤمنين المنصور منذ عرفته إلى أن مات تسعة عشر ألف دون الخلع والمراكب والإقطاع" ثم ولى قضاء الجماعة للناصر بعد أبيه ولم يزل كذلك حتى وفاته سنة(609هـ/1212م)[1].

ومنهم القاضي أبو القاسم أحمد بن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمان بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمان بن أحمد بن بقي بن مخلد الأموي القرطبي الإمام العلامة المحدث المسند قاضي الجماعة (ت625هـ/1228م)، سمع من أبيه وجده أبا الحسن ومحمد بن عبد الحق الخزرجي صاحب محمد بن الفرج الطلاعي وخلف بن بشكوال وأبا زيد السهيلي وأجاز له المقري أبو الحسن شريح بن محمد وعبد الملك بن مسرة وتفرد بأشياء منها "موطأ" يحي بن يحي عن الخزرجي روى الحديث هو وجميع تلاميذه[2]، وروى عنه بالإجازة محمد بن عياش الخزرجي، والخطيب أبو القاسم بن الأيسر الجذامي، وأبو الحكم مالك بن مرحل،

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب ، المصدر السابق، ص 258.

[2] علي بن عبد الله النباهي(ت بعد792هـ)، تاريخ قضاة الأندلس، د.ط، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1948، ص 151.

والأديب العلامة أبو الحسين ابن أبي الربيع، وبالإجازة محمد بن محمد المومنائي الفاسي له باع كبير في الأدب والنحو، قرأ كتاب سيبويه والمقامات، ولي خطة المظالم والكتابة العليا[1].

وإلى جانب أولئك نجد القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحي بن محمد بن يحي بن إبراهيم بن خلصة بن سماحة الحميري الكتامي ابن قطان الفاسي (ت628هـ/1231م)، كان مُعظّما عند الخاصة والعامة من الموحدين وكان المنصور أول من قربه وأحظاه إذ عيّنه لقراءة الحديث بين يديه وجعله على رأس طلبة العلم بمراكش وراح ينتقد المحدثين من المالكية وعلى رأسهم عبد الحق الاشبيلي الذي استدرك على كتابه الأحكام بكتاب سماه "بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام" بل انتقد بن حزم الظاهري نفسه في كتابه "المحلى" فيما يتعلق بعلم الحديث، وصنّف كتابا يحوي وسائل عدة لتأصيل دراسة الحديث بتوجيه من حكام الموحدين لاسيما المنصور، ومنها كتاب في الحديث الصحيح محذوف السند، ومقالة في منع المجتهد من تقليد المحدث في تصحيح الحديث لدى العمل، ومقالة في تفسير قول المحدثين في الصحيح أنه حسن، وقد ترتب على هذا الجهد الحديثي لابن قطان أن عينه المنصور لقراءة الحديث بين يديه، فنجح في تكوين مدرسة حديثية فقهية كان عمادها بضع وثلاثين تلميذا من تلاميذته[2].

---

[1] نفسه، ص 151.

[2] أبو الحسن علي بن قطان الفاسي المراكشي(ت670هـ/1271م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان تح محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ص ص 16، 20.

ومنهم أبو الحسن علي بن عبد الله بن يوسف بن خطاب المعافري قاضي اشبيلية (ت629هـ/1232م)، كان محدثا فقيها على مذهب أهل الظاهر عاقدا للشروط ولي قضاء اشبيلية واستنابه القضاة كثيرا في الأحكام، كف بصره آخر أيامه ولزم داره إلى غاية وفاته[1].

كذلك عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الذي تولى قضاء غرناطة وجزيرة شقر ومدينة وادآش وجيان ثم تولى الحسبة والشرطة في عهد المنصور الموحدي[2].

منهم أبو الرضى بسام بن أحمد بن حبيب بن عمر بن عبد الله بن شاكر الغافقي (ت631هـ/1234م)، من أهل جيان استوطن مالقة له مشاركة كبيرة في الأدب والشعر له كتاب اسماه "النواهي عن الدواهي" تعقب فيه القاضي ابن العربي المالكي وانتصف لابن حزم الظاهري[3].

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج3 ، ص 116 .

[2] النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ص 11.

[3] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 226.

الفصل الثاني:

الإنتاجات العلمية الدينية لعلماء المذهب الظاهري في العهد الموحدي

(علوم القرآن - الحديث وعلومه - الفقه وأصوله)

أولا: الإنتاجات العلمية في علوم القرآن لعلماء المذهب الظاهري

ثانيا: الإنتاجات العلمية في علم الحديث لعلماء المذهب الظاهري

ثالثا: الإنتاجات العلمية في الفقه وأصوله لعلماء المذهب الظاهري

الفصل الثاني: الإنتاجات العلمية الدينية لعلماء المذهب الظاهري في العهد الموحدي(علوم القرآن– الحديث وعلومه – الفقه وأصوله)

تمهيد

منذ وفاة ابن حزم الظاهري بالأندلس أفل نجم الظاهرية بالغرب الإسلامي وبقي المذهب الظاهري مُنتحلا من طرف أفراد، إلى غاية قيام دولة الموحدين، حيث عرف العهد الموحدي تقريب علماء المذهب الظاهري من طرف السلطة الحاكمة، التي أحيته من جديد ورحبت به ومنعت كثير من علماء المذهب المالكي من تقلد المناصب السلطوية، بل ونكلت ببعض منهم: وذلك في إطار سياسة مناهضة كل ما هو مرابطي، فعرف المذهب الظاهري انتعاشا كبيرا وظهرت العديد من المؤلفات العلمية التي ساهمت في بعث الحركة العلمية إبان العهد الموحدي.

وفي هذا الفصل نحاول إماطة اللثام على هذه المؤلفات التي شملت العلوم النقلية ونصنفها حسب اختصاصاتها، ففي العنصر الأول نتحدث على العلوم القرآن (القراءات والتفسير)، وأما العنصر الثاني فسنبين فيه الإنتاجات في مجال الحديث وعلومه، أما في العنوان الأخير من الفصل، فقد خصصناه للفقه وأصوله.

أولا: الإنتاجات العلمية الدينية في علوم القرآن لعلماء المذهب الظاهري في العهد الموحدي

1. علم القراءات

1.1. تعريف علم القراءات

أ. لغة: هي جمع قراءة ومصدرها قَرَأَ، يُقال قَرأَ، يَقرأُ، قراءةً، وقُرءانًا، بمعنى تلا، فهو قارئ والقرآن متلو[1].

ب. اصطلاحا: وهو العلم الذي يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزوا إلى ناقله[2].

وقد عرفه الدمياطي: بأنه علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف، والإثبات، والتحريك، والتسكين، والفصل، والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق وغيره من حيث السماع[3].

وموضوعه: هو كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها وكيفية أداءها واستمداده من النقول الصحيحة المتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

---

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت817هـ/1414م)، القاموس المحيط، مر: انس محمد الشافي وزكريا جابر أحمد، د.ط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 1299.

[2] ابن الجزري أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد(ت833هـ/1429م)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، د.ط، مكتبة القدس، مصر، 1350هـ، ص 3.

[3] أحمد بن محمد البنا(ت1117هـ/1705م)، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات، تح: شعبان محمد إسماعيل، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1987، ص 5.

والمقرئُ: من علم بها أداء ورواها مشافهة، فلو حفظ كتابا امتنع إقراؤه بما فيه إن لم يشافهه من شيوخه مشافهة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول المقرئين، فقد كان يعلم الصحابة القرآن الكريم ويُقرأه امتثالا لقوله تعالى: ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا**﴾[2].

والقارئ المبتدئ: من افرد إلى ثلاث روايات، والمنتهى من نقل منها أكثرها[3].

وامتاز علماء المغرب الإسلامي عامة خلال العصر الموحدي باشتغالهم بالقرآن وعلومه على اختلاف مذاهبهم الفقهية، فقد كان لعلماء المذهب الظاهري مساهمة كبيرة في علم القراءات والتجويد، وكان سلاطين الموحدين لهم اعتناء كبير بهذا العلم، فقد كان السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي(558–580هـ/1162–1184م)، من أحسن الناس قراءة للقرآن[4]، فقد بعث إليه أبو بكر يعقوب بن محمد بن خلف الهوزني الاشبيلي (ت602هـ/1205م)، مجموعة من الأراجيز عرفت بـ: "الأراجيز الحسان في القراءات والتجويد ومخارج الحروف"[5]، وقد أجازه السلطان أبو يعقوب المنصور عليها[6].

ومن الذين ساهموا في علم القراءات أحمد بن محمد بن مضاء النحوي القرطبي (ت592هـ/1195م) وكان مجودا ماهرا ومقرئا ذائع الصيت مشهورا في عهد الدولة

---

[1] محمد خالد منصور وآخرون، مقدمات في علم القراءات، ط1، دار عمار، عمان الأردن، 2001، ص 48.

[2] سورة الإسراء، الآية 106.

[3] ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، المصدر السابق، ص 4.

[4] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 319.

[5] الأراجيز: مفردها أرجوزة وهي قصائد شعرية على وزن بحر الرجز، نجدها في المنظومات العلمية في علم من العلوم ومنها أراجيز أبو بكر يعقوب بن محمد بن خلف الهوزني.

[6] أبو القاسم خلف بن عبد الملك البلنسي بن بشكوال(ت578هـ/1182م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وآبائهم، د.ط، القاهرة، 1955، ص 376.

الموحدية[1]. ومن العلماء الذين ألّفوا في هذا العلم نذكر: أبو عبد الله محمد بن حسن بن محمد بن يوسف المغربي الفاسي(ت656هـ/1258م)[2]، له كتاب "شرح الشاطبية"[3].

ومن العلماء الظاهرية أبو عمر مرجي بن يونس الغافقي الأندلسي الأصل، كان ساكنا بطنجة وأقرأ بها، وكما أقرأ في سبتة، وله شرح على قصيدة "الحصري"[4] في القراءات، كما اقترح طلبة مراكش على المقرئ أبي الحسن علي بن محمد المرادي البلنسي أن يضع لهم تأليفا في الرسم، فنظّم لهم في أيام قليلة رجزا في رسم المصحف سماه "المنصف" ودعاء في مطالعته السلطان عبد المؤمن بن علي وأبناءه[5].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت الكيزاني الظاهري المقرئ (ت562هـ/1166م). ومن الظاهرية قاسم بن محمد الزقاق الأموي (ت559هـ/1163م) الذي كان مقرئا فاضلا تصدر لإقراء هذا العلم بفاس، وأخذ الناس عنه، وكذلك أحمد بن الحطيئة

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 718.

[2] محمد بن حسن بن محمد بن يوسف أبو عبد الله جمال الدين الفاسي (589-656هـ/1193-1258م)عالم القراءات، ولد بفاس وانتقل إلى مصر وتوفي بحلب، له "الآلي الفريدة في شرح الشاطبية". للمزيد ينظر: الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، ج6، ص 86.

[3] أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن عماد العكري الحنبلي(ت1089هـ/1679م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1986، ج5، ص 284.

[4] هو علي بن عبد الغني الحصري، القيرواني، الفهري، الضرير، والحصري نسبة إلى صناعة الحصير وبيعها، وكنيته أبو الحسن ت بطنجة سنة (488هـ/1095م)، والقصيدة الحصرية أو ما تعرف بالرائية وتحوي مئتين وتسعة أبيات في قراءة ورش عن نافع. للمزيد ينظر: علي بن عبد الغني الحصري(ت488هـ/1095م)، القصيدة الحصرية في قراءة الإمام نافع تح: توفيق بن أحمد العبقري، ط1، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، المغرب، 2002م، ص 28.

[5] المنوني، المرجع السابق، ص 46.

اللخمي (ت560هـ/1164م) والذي كان عالما بالقراءات السبع، ومحمد بن يوسف الأنصاري القرطبي الأصل نشأ بفاس(ت610هـ/1213م) وكان مجودا للقراءات عارفا بوجوهها[1].

ما يلاحظ في العهد الموحدي تصّدر علماء أهل الظاهر علم القراءات تدريسا وتأليفا، وما يدل على ذلك كثرة التآليف والشيوخ[2].

2. التفسير

أ. لغة: هو الكشف والإظهار[3] ومنه قوله تعالى ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾[4] أي بيانا وتفصيلا؛ فالتفسير لغة يستعمل للكشف الحسي والكشف عن المعاني المعقولة[5].

ب.اصطلاحا: هو توضيح معنى الآية وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة[6].

يُعدّ علم التفسير من العلوم التي كانت محل اهتمام علماء المذهب الظاهري خلال العهد الموحدي، حيث برز عدد معتبر من المفسرين في عصرهم[7]، وقد استعان علماء المغرب بعلماء الأندلس في تفسير الكتاب العزيز، ونبغ منهم أبو الحسن علي بن أحمد

---

[1] جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448هـ–668هـ/1056.–1269م) دراسة سياسية وحضارية، د.ط، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، دس، ص 262.

[2] للمزيد انظر: الملحق رقم 3.

[3] الجرجاني علي بن محمد الشريف(ت816هـ/1413م)، التعريفات، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص 55.

[4] سورة الفرقان، الآية 33.

[5] الجرجاني، التعريفات، المصدر السابق، ص 55.

[6] نفسه، ص 55.

[7] للمزيد انظر: الملحق رقم 4.

التجيبي الحرالي المراكشي (ت637هـ/1239م) أَقرا الفاتحة في نحو ستة أشهر وابتدع علما جديدا لقواعد التفسير، فكان يلقي في درسه قوانين تتنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام[1]، وعلى أحكام هذه القوانين ألّف كتاب "مفتاح اللب المقفل في فهم الكتاب المنزل"[2].

ومنهم أبو القاسم أحمد بن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمان بن حمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمان بن أحمد بن بقي بن مخلد الأموي القرطبي، الإمام العلامة المحدث المسند قاضي الجماعة في عهد الموحدين، ومن مصنفاته "تفسير الآيات المتشابهات" وقد تأثر بالقاضي شريح بن محمد الظاهري[3]، وبالإمام السهيلي[4]، وعبد الحق الاشبيلي المالكيان ووجد دعما كبيرا من المنصور الموحدي في أحكامه وتفسيراته[5].

---

[1] أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني(ت704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل النويهض، د.ط، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ص ص 85، 86.

[2] هو كتاب في تفسير القرآن الكريم يحتوي على جملة من القوانين تختص بفهم القران وتفسيره فقد حاول الحرالي وضع قوانين في فهم معاني القرآن الكريم، فهو يعتبر تفسيرا دلاليا، وقد اعتمد على طريقة الكشف والإلهام استنادا إلى الإيحاءات والدلالات القرآنية كما راعى التطور الدلالي للألفاظ والسياقات اللغوية والاجتماعية، كما سعى إلى تعميق التلقي الذاتي للكلمات القرآنية والإنصات العميق للكلمات. للمزيد ينظر: أبو الحسن الحرالي(ت638هـ/1241م)، تراث أبو الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، تح: محمادي بن عبد السلام الخياطي، ط1، د.د، تطوان، 1997، ص ص 24، 25.

[3] هو شيخ المفسرين والمقرئين أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي (451-539هـ/1059-1144م) وقد أخذ العلم عن والده أبو عبد الله بكتابه "الكافي" وأخذ عنه علما كثيرا وأجازه مروياته أبو محمد بن حزم الظاهري. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص 142.

[4] هو الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن الخطيب الخثعمي السهيلي (508-581/1114-1185م) محدث وفقيه نحوي أصولي، له تصانيف كثيرة من أهمها: كتاب "الروض الآنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لابن هشام. للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج3، ص 143.

[5] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 622.

وممن ألّف في أحكام القرآن زمن الموحدين أبو محمد عبد المنعم بن الفرس الخزرجي (ت597هـ/1200م) والذي عيّنه الأمير يعقوب المنصور بجزيرة شقر[1]، ثم واد أشي[2] ثم جيان وغرناطة، ثم قربه المنصور وجعله من أجل الحاضرين بمجلسه بأهل العلم، قال فيه ابن عبد الملك، ومن أجلّ مصنفاته مصنفه في "أحكام القرآن"[3].

ومن الذين ألفوا أيضا في أحكام القرآن، عبد الله محمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ/1273م)، وله تفسير "الجامع" الذائع الصيت الذي اعتمد فيه كثيرا على من سبقه في هذا الفن لاسيما بن العربي وسماه "الجامع لإحكام القرآن" المبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان[4].

كما برز في هذا الفن أبو الحجاج يوسف بن عمران المزدغي الفاسي (ت655هـ/1257م) أحد الفقهاء المجتهدين وأئمة الحديث والتفسير الذي عده الدكتور إبراهيم حركات من أعلام المدرسة الظاهرية زمن الموحدين ألف تفسيرا جليلا لم يكمله وصل إلى سورة الملك وهو من أبدع التفاسير[5].

---

[1] هي جزيرة تقع في شرق الأندلس بين شاطبة وبلنسية. للمزيد ينظر: المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3 ص 166.

[2] هي مدينة أندلسية تابعة الإقليم غرناطة. للمزيد ينظر: المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3 ص 165.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 800.

[4] نفسه، ص 802.

[5] عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، د.د، د.م، د.س ،ص 148.

ومن أعلام التفسير المشاهير أبو محمد بن عطية الغرناطي (ت546هـ/1151م) وله "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"[1]، وهو عبارة على مختصر تفاسير التي قبله وتحرى فيه الصحة وكان تفسيره له مكانة في عهد الخليفة يعقوب المنصور[2].

كما برع في التفسير عبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي القصري (ت608هـ/1211م) ألّف كتاب في تفسير القرآن، وفسّر القرآن والسنة قال ابن الزبير: "وتآليفه كلها جليلة مفيدة في بابها لم يُسبق إليها وكلامه في طريق التصوف سهل محرر مضبوط بظواهر الكتاب والسنة". كما عُرف بالتفسير أبو عبد محمد بن علي بالعابد الأنصاري الفاسي (ت662هـ/1263م) الذي اختصر الكشاف للزمخشري وحذف منه مسائل الاعتزال. ونجد أيضا أبو العباس أحمد بن فرتون السلمي الفاسي (ت660هـ/1261م) الذي ألّف "الاستدراك والإتمام"، الذي استدرك فيه على الإمام السهيلي في كتابه "التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام"[3] وقد سار جمهور المفسرين في بلاد المغرب والأندلس عن طريق التفسير بالمأثور وتجنبوا التأويل في التفسير[4].

---

[1] يعتبر كتاب "المُحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز"، من أهم التفاسير بالمأثور التي كان لها شأن عظيم وقد تميز بمنهجه الواضح والسلس وجعل للمفسرين بعده طريقة قائمة على الدقة والاستقصاء. للمزيد ينظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت546هـ/1146م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1، ص19.

[2] المقري، نفح الطيب، ج3، ص 179.

[3] هو كتاب في مبهمات القرآن الكريم ألّفه الإمام السهيلي وهو مختصر ذكر فيه أسماء الإعلام من الأنبياء والأولياء والأماكن والأشجار والحيوانات. للمزيد ينظر: أبو القاسم، عبد الرحمان السهيلي(ت581هـ/1185م)، التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام، مر: محمود ربيع، ط1، مطبعة الأنوار، د.م، 1938، ص ص 4، 5.

[4] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 803.

ثانيا: الإنتاجات العلمية في علم الحديث لعلماء المذهب الظاهري

1. تعريف علم الحديث

أ. لغة: الحديث اسم من التّحديث وهو الإخبار ويجمع على أحاديث وبمعنى الجديد ويقصد به مطلق الكلام سواء صدر من الله تعالى، أو الملائكة، أو من الإنس[1].

ب. اصطلاحا: هو كل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير أو صفة خُلُقية أو خَلْقية وسائر أخباره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها[2].

كغيرها من العلوم الشرعية فقد برز علماء أهل الظاهر في الحديث وعلومه وتخريجه فقد كان الاهتمام به كبيرا، لأن الدليل المباشر من السنة يُعد من ركائز المذهب الظاهري بالتالي اهتم علماء المذهب به اهتماما كبيرا، فقد استدعوا المحدثين من الأندلس وساهموا بتدريسه في بلاد المغرب.

ونال طلبة الحديث مكانة كبيرة في البلاط المراكشي خاصة في أيام يعقوب المنصور جاء في المعجب: "ونال عنده – يعقوب– طلبة الحديث ما لم ينالوه في أيام أبيه وجده هذا إلى أن غير واحد من خلفاءهم وأمرائهم كانوا محدثين حفاظا، فيوسف كان يحفظ أحد الصحيحين"[3]، ويعقوب كان يحفظ متون الأحاديث ويتقنها، والمأمون كان معدودا من حفاظ

[1] ابن المنظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج1، ص 796.

[2] جلال الدين السيوطي(ت911هـ/1505)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ط2 مكتبة الكوثر، بيروت، 1415هـ، ج1، ص 40.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 319.

الحديث لم يزل أيام خلافته يسرد كتب الأحاديث مثل، صحيح البخاري، والموطأ، وسنن أبي داود، وكذا الأمير إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن[1].

ومن كبار المحدثين الظاهريين الذين برزوا بالمغرب، المحدث الكبير محيي الدين بن عربي الطائي الحاتمي، وهو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي يكنى أبا بكر ويلقب بمحيي الدين ويعرف بالحاتمي وابن عربي والشيخ الأكبر[2]. ولد في مرسية ببلاد الأندلس (560هـ/1165م) سمع من شيوخ كثيرين ذكرهم في رسالته إلى بهاء الدين غازي انتقل من مرسية إلى اشبيلية وبقي بها حوالي 20 عاما رحل بها إلى المغرب الأقصى وافريقية – تونس حاليا- عدة مرات[3].

كان أبو محمد والد محيي الدين من أئمة الفقه، والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف، وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها[4]، تبوأ والده منصبا رفيعا عند ابن مردنيش[5] سلطان مرسية، وعندما مات هذا السلطان أخذ الموحدون إمارته، عندها رحل محيي الدين مع أبيه إلى اشبيلية عاصمة الأندلس، وكان عمره لا يتجاوز ثماني سنوات[6]. تلقى بن عربي تعليمه على يد مشاهير شيوخ الأندلس، منهم عالم زمانه أبا بكر بن خلف

---

[1] نفسه، ص 320.

[2] طه عبد الباقي سرور، محي الدين بن عربي، د.ط، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012 ، ص 16.

[3] محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي(638هـ/1243م)، رسائل بن عربي، تح: سعيد عبد الفتاح، ط1 دار الانتشار العربي، بيروت، 2001، ج1، ص 15.

[2] محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي(ت638هـ/1243م)، الفتوحات المكية، فهرسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دس،ج1، ص 3.

[5] محمد بن سعد بن محمد بن مردنيش الجذامي الأندلسي(518-567هـ/1124-1171م)، الملك أبو عبد الله صاحب مرسية وبلنسية(شرق الأندلس)، للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص 20.

[6] ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق، ج1، ص 3.

عميد الفقهاء وتوجه إلى أهل الحديث، منهم العالم بن زرقون، والحافظ بن الجد وأبي وليد الحضرمي والشيخ أبو الحسن[1] بن نصر، وكان يتمتع بمكانة كبيرة في قصر السلطان مع أبيه لكنه لم يؤثر حياة الترف والانبساط وسلك طريق التقشف والزهد ولم يتجاوز عقده الثاني من عمره حتى فتح الله عليه فتحا علميا مبينا، جعل من أهل الأندلس يقصدونه للعلم[2].

وله عدة رحلات علمية نذكرها:

- **مصر**: تعتبر مصر المحطة الأولى عند مغادرة بلاد المغرب فقد خرج الشيخ ابن عربي من المغرب الأدنى باتجاه الشرق نحو مصر سنة (598هـ/1201م)، وقد التقى بكبار علماءها والذين لهم علم بمقامات أسماء الله الحسنى من حيث دلالتها على الذات الإلهية وهي التي حصلها الشيخ عند دخوله إلى الطريق[3]، لم يدم استقرار الشيخ في مصر طويلا غير أنه جعلها مكانا للتكسب والراحة ثم منه إلى مكة المكرمة.

[1] نفسه، ص 3.

[2] محمد علي حاج يوسف، شمس المغرب سيرة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ومذهبه، ط1، للدراسات والترجمة والنشر، حلب سورية، 2006، ص 17.

[3] علي بن عبد الله النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ص 237.

فنظرتـــه بـــالله دون حـجــــــاب فبــــدا ســــره العلــــي المنيــــف[1].

● **مكة:** وفي طريقه إلى مكة مر بعدّة مدن تاريخية في المشرق، على غرار مدينة خليل الفلسطينية، التي دفن فيها نبي الله لوط وإبراهيم الخليل عليهما السلام، وقد ألّف فيها أهم كتبه "كتاب اليقين" والذي يُعدّ من أهم مؤلفاته وتسميته بهذه التسمية نسبة إلى مسجد اليقين الموجود في ذلك المقام. كما مرَّ على بيت المقدس وزار المدينة وصلى في المسجد الأقصى، ثم توجه إلى المدينة المنورة لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، ثم توجه إلى مكة لأداء مناسك الحج والتي بقي فيها سنتين، شرع في كتابة كتابه الشهير "الفتوحات المكية"[2] والذي سوف يكمله في دمشق بعد 30 سنة، ويُعدّ الكتاب من أهم كتب التصوف الإسلامي على الإطلاق، وقد بدأ في تأليف موسوعته الصوفية إثر حادث وقع بينه وبين "الفتى الفائت" وهو روح رآه الشيخ حول الكعبة أثناء طوافه، فأخذ منه كل ما سطره في الفتوحات ويقول في الأبيات :

أحـــب بـــلاد الله لـــي بعـــد طيبـــة ومكـــة والأقصـــى ومدينـــة بغـــدان

ومـــالي لا أهـــوى الســـلام ولـــي بـــها إمـــام هـــدى دينـــي وعقـــدي وأمـــاني

---

[1] ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق، ج1، ص 79.

[2] يُعتبر أهم كتب ابن عربي ويقف على كل ما كتبه في التصوف الإسلامي واستغرق الكتاب تأليفه حوالي ثلاثين عاما بلغ 4000 صفحة، يقول بن عربي: "كنت نويت الحج والعمرة فلما وصلت أم القرى أقام الله في خاطري أن اعرف الولي بفنون من المعارف حصلتها في غيبتي وكان الأغلب هذه منها ما فتح الله علي ثم طوافه ببيته المكرم". للمزيد ينظر: ابن عربي الفتوحات المكية، المصدر السابق، ج1، ص ص 5، 6.

وقـد بكتهـا مـن بنيـات فـارس لطيفـة إمـاء مريضـة أجفـان
تحيـى فتحيـي مـن أماتـت بلحضـها فجـاءت بحسـنى بعـد حـن وإحـان

كما تعلق قلبه "بنظام" بنت المحدث "أبا شجاع"، وكانت ذات حسن وجمال وأدب وفصاحة وعلم غزير والتي أنشد فيها قائلا:

وبعد هذه المدة توجه بن عربي إلى الطائف لزيارة قبر عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، وألّف في طريقه كتاب "حلية الإبدال وما يظهر عنها من معارف وأحوال"[1]، والتي تناول فيها أربعة أركان وتعد عماد الطريق وهي: الجوع، والسهر، والصمت، والعزلة[2].

كما عرف فتحا علميا مبينا أثناء إقامته في مكة، وهذا بفضل قدسية المكان وسمو تصوفه الذي وجد جوا ملائما في ذلك البلد الأمين، وشرع في تأليف كتاب "مشكاة الأنوار فيما روي عن النبي صل الله عليه وسلم من الأخبار"، وقد جمع أربعين حديثا بأسانيدها المتصلة، كما كتب في الطائف كتاب "حلية الإبدال" الذي كان بطلب من أصحابه في الطريق منهم عبد الله بن بدر الحبشي، وإليه أهدي كتاب الفتوحات فيما بعد، وابن خالد الصدفي وكانت علاقاته مع الصوفية في مكة علاقات رسمية منذ اللحظة[3].

[1] هم المرتبة الرابعة من مراتب الأولياء عند الصوفية وهم من رجال الغيب لا يعرفهم أحد ويعرفون بالرقباء، وتتكون الأجزاء الأربعة من فصول، الصمت، العزلة، الجوع، السهر. للمزيد ينظر: ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق، ج2، ص 182.

[2] ابن عربي، حلية الإبدال ما يظهر عنها من معارف وأحوال.

[3] آسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، تر: عبد الرحمان بدوي، د.ط، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، د.س، ص 87.

• **الموصل:** توجه الشيخ محيي الدين إلى الموصل، وعندها التقي بالعديد من الشيوخ منهم: "قضيب ألبان" و"أبو الحسن بن الكناري"، كما لقي الشيخ "أحمد بن مسعود بن شداد المقري الموصلي"[1]. رغم إقامته القصيرة في الموصل وبغداد، فقد تجمع المريدون حوله، نجد من خلال السماعات المدونة على بعض المخطوطات، أن الشيخ محيي الدين قرأ في هذه الزيارة لبغداد كتاب "روح القدس" في مناصحة النفس" على بعض التلاميذ منهم: عبد الوهاب بن علي المشهور بإبن سكينة ،بالإضافة إلى أصحاب بدر الحبشي ومحمود بن إسحاق بن يوسف الرومي، ومحمد بن محمود الملطي[2].

• **دمشق:** زار الشيخ المدينة وحظي بمكانة عالية، كانت كلمته مسموعة عند سلطان حلب الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر لدين الله صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان يرفع إليه من حوائج الناس، وذات مجلس رفع إليه مئة وثمان عشرة حاجة قضاها كلها. كما كتب رسالة "روح القدس في مناصحة النفس" التي شنع فيها على العلماء وبين أن الفقهاء غالبا ما يصدرون الفتاوى خدمة للأمراء وأغراضهم[3].

تعتبر دمشق المستقر الأخير لابن عربي الذي سيقضي به حياته ولمّا دخل إليها وجد في نفسه حبا لم يكن يدرك حقيقته وقد أشعر قائلا:

ولمـــا دخلـــت الشـــام خولطـــت عقلـــي | فلـم أرى قبلـي فـي الهـوى عاشـقا مثلـي
عشــقت ومــا أدري الــذي قــد عشــقته | أخــالقي المحبــوب أم هــو مــن شكلـــي

[1] محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي(638هـ/1243م)، ذخائر الاعلاق في شرح ترجمان الأشواق، د.ط، المطبعة الأندلسية، بيروت، 1313هـ، ص 59.

[2] محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص 316.

[3] نفسه، ص 317.

وقد استقر فيها مدة سبعة عشرة سنة، حيث وجد الأمن والراحة والسعادة وقد قُرب من الملوك الأيوبيين من عائلة بني زنكي، الذين استضافوه وقدموا له الرعاية، وكان له بيتا يجتمع فيه مع المريدين ليقرأ عليهم كُتبه، ويُلقي عليهم الدروس، وفي دمشق أصدر أهم كتبه "فصوص الحكم" وكتاب "ترجمان الأشواق"[1].

بعد حوالي ثماني وسبعين سنة هجرية من العمل والعبادة والسفر والترحال والتدريس والتأليف وفي ليلة الجمعة الثاني والعشرين من شهر ربيع الأخر سنة (638هـ/1240م). توفي الشيخ محي الدين بن عربي، وكانت وفاته في دار القاضي محي الدين بن الزكي ودفن في جبل قاسيون بدمشق.[2] وقبره مشهور مقصود بالزيارة، وله جامع في جواره من بناء السلطان سليم وهو الذي أظهره ولم يكن ظاهرا[3].

ومن المحدثين الطبيب المشهور أبو بكر بن زهر (ت595هـ/1198م) كان يحفظ كتاب البخاري بأسانيده، وفي أيام يعقوب انقطع علم الفروع وأمر بإحراق كتب المذهب وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: الصحيحين- والترمذي- والموطأ- وسنن أبي داود- وسنن النسائي- ومسند البزار- ومسند ابن أبي شيبة- وسنن الدارقطني- وسنن البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها على نحو

---

[1] هي أسرة في الموصل أسست إمارة على يد عماد الدين زنكي، التي توسعت إلى بلاد الشام. للمزيد ينظر: محمد علي حاج يوسف، المرجع السابق، ص 389.

[2] نفسه، ص 389.

[3] يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط1، مركز الهلنسة بركات رضا فور بندر غجرات، الهند، 2001، ص 202.

الأحاديث، التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة، فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم به وانتشر هذا المجموع في بلاد المغرب وحفظه الناس من العوام والخاصة، وكان يقدم المكافأة المكونة من كساء وأموال لمن حفظه[1].

ومن الظاهرية أبو العباس بن شبرين الأنصاري الخزرجي البلنسي الداني (ت532هـ/1137م) شيخ القاضي عياض، وهو ممن ولع بالحديث والرواية ورحل فيها وفهم الطريقة وأتقن الضبط له كتاب "رجال مسلم"[2].

ومن الظاهرية أبو عبد الله بن الحسين الأنصاري المري، من أهل المرية تلميذ أبي علي الغساني كان معتنيا بالحديث ونقله عالما بأسماء رجاله، وكان متبعا للآثار والسنن له كتاب "الحسن في الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم"[3].

ومنهم أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي(ت537هـ/1142م) تلميذ أبو علي الصدفي وكان محدثا راوية عارف بالحديث وأسماء الرجال مشهور بالإتقان والضبط ثقة فيما نقل وروى[4].

ونذكر منهم أبو العباس أحمد بن عبد الملك الأنصاري الاشبيلي اللبلي، المعروف بابن أبي مروان (ت549هـ/1154م) شيخ عبد الحق الاشبيلي كان يسمى ابن معين وقته وبخاري زمانه، له كتاب "المنتخب المنتقى في أحاديث الأحكام" جمع فيه ما افترق من

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 260.

[2] المقرى، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص 248.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 807.

[4] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 807.

أمهات المسندات من نوازل الشرع وعليه بنى عبد الحق كتابه "الاحتكام"، ويعدّ من محدثي الظاهرية الكبار على طريقة بن حزم [1].

ومن كبار الظاهرية أبو محمد بن حوط الله الأنصاري الحارثي الإندي (ت612هـ/1215م) أخو الحافظ أبي سليمان، كان إماما في صناعة الحديث متقنا له وأحد ثقاته حافظا لأسماء الرجال واقفا على المعدّلين والمجرّحين، كما كان فقيها جليلا كان في الفقه يُغلّب طريقة الظاهرية، سمع من ابن بشكوال وقرأ أكثر من ستين تأليفا، وأخذ عن ابن حبيش، والسهيلي، وابن الفخار، وغيرهم ألّف كتابا في سماه "شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي"[2].

ومن الظاهرية أبو القاسم بن بقي بن مخلد القرطبي (ت625هـ/ 1228م)من ذرية بقي بن مخلد شيخ بن قطان الفاسي في الحديث، كان مسند أهل المغرب وعالمهم ورئيسهم كما يقول ابن عماد الحنبلي: "كان قاضي في عهد الخليفة المنصور وكاتبه وأسند إليه الموحدون خطتي المظالم والكتابة العليا، كان يميل إلى المذهب الظاهري"[3].

ومنهم الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي السبتي (ت633هـ/1235م)، كان من كبار المحدثين ومن الحفاظ الثقات، سكن بجاية مدة أبي عبد الله بن يرمور، وكان ولده أبو علي يقرأ عليه، وروى بها وسمع وكان معتني به وكان من أحفظ أهل زمانه باللّغة[4].

---

[1] بن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص 76 .

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 501.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 809. الرعيني، برنامج الرعيني، المصدر السابق، ص 50.

[4] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 269.

رحل إلى مصر وشهد له علماؤها بالتقدم واعترفوا له بالحفظ والإتقان، ألّف كتب كثيرة في علم الحديث منها: "الابتهاج في أحاديث المعراج[1]"، وكتاب "أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين" "وأعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين"[2] و"مصنف في رجال الحديث" و"تعليق على كتاب الشهاب للقضاعي" و"نهاية السول في خصائص الرسول"[3].

وكذلك أبو علي عمر الزبار الأنصاري الاشبيلي (ت637هـ/1239م) قال فيه تلميذه أبو الحسن الرعيني: "الشيخ الأستاذ المحدث الخطيب الفاضل كان مكبا على علوم السنة يحفظها وكان ظاهري المذهب، اختصر صحيح مسلم وأضاف إليه زيادات البخاري في صحيحه بإشارة شيخه أبي محمد بن حوط الله المحدث الظاهري، فجاء من أنبل الاختصارات وأتقنها"[4].

---

[1] هو كتاب عن قصة الإسراء والمعراج، ألفه الحافظ ابن دحية الكلبي يختص الكتاب في دراسة أحاديث الإسراء والمعراج من حيث توثيقها ورد الشبه التي أثيرت حول موضوعاتها، ويتناول في طياته الأحاديث الصحيحة وبين صحتها، ورد الشبه عنها، ويبين أقوال العلماء في حقيقة الإسراء والمعراج، كما استخرج ابن دحية الكلبي فوائد الأحاديث التي نيفت على الستين فائدة. للمزيد ينظر: أبو الخطاب بن دحية الكلبي(ت633هـ/1236م)، الابتهاج في أحاديث المعراج، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996، ص 05.

[2] هو كتاب عن معركة صفين وفضل علي بن أبي طالب على معاوية بن أبي سفيان، ألّفه الحافظ ابن دحية الكلبي، يُعد الكتاب من أنواع الكتب التي شملها التأليف التاريخي لأخبار الفتن والمعارك التي وقعت بين المسلمين في الصدر الأول ومن أشهر هذه المعارك معركة صفين التي وقعت بين علي ومعاوية وأنصارهما، بسبب الفتنة التي اندلعت شرارتها بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان. للمزيد ينظر: أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي(ت633هـ/1236م) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين، تح: محمد أمحزون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 8، 9.

[3] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص ص 269، 270.

[4] الرعيني، برنامج الرعيني، المصدر السابق، ص 51.

ومنهم الحافظ الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن خليل بن مفرج الأموي الاشبيلي النباتي الظاهري الحزمي المشهور بابن الرومية (ت637هـ/1239م) كان مهتم بالحديث ورجاله كثير العناية به، ألّف في الحديث كتب جليلة القدر منها: "الحافل في تذييل الكامل" لإبن عدي وهو استدراك على كتاب الكامل وقد نقل عنه كثيرا الحافظان الذهبي وابن حجر العسقلاني في كتابهما، واعتمد أقواله في الجرح والتعديل وكتاب "بحر الآثار" في الحديث و"المعلم بزوائد البخاري ومسلم" و"كنز الأخبار في الحديث" و"توهين حديث الأربعين"[1] سمع من ابن زرقون وابن الجد[2] المالكيان كان يعرف بالحزمي نسبة لابن حزم صاحب المذهب الظاهري وكان متعصبا له له "اختصار لكتاب الدارقطني في غريب حديث مالك"[3].

وكذا الإمام الحافظ العلامة أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الاشبيلي المعروف، بابن سيد الناس (ت659هـ/1261م)، كان راويا حافظا للحديث عارفا برجاله وأسمائهم، ويذكر أنه كان يستظهر عشرة ألاف حديث بأسانيدها وكان عالم المغرب بلا منازع، قال الحافظ الذهبي: "كان ظاهري المذهب على طريقة أبي العباس النباتي" ألف كتاب "بيع أمهات الأولاد"[4]، وله سعة، وعلم في الرواية ولّي صلاة الفريضة والخطبة بالجامع الأعظم ببجاية، وروى بها وقرأ وأسمع، وكثر الآخذون عنه، والسامعون منه، والمقتدون به

---

[1] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص 596.

[2] هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ الفقيه الخطيب أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحي بن فرج بن الجد الفهري اللبلي، ثم الاشبيلي المالكي، ولد (496هـ/1102م)، سمع بقرطبة أبا محمد بن عتاب وأبا بحر بن العاص وأبا الوليد بن رشد وبإشبيلية أبا بكر بن العربي وأبا الحسن شريح بن محمد وسمع صحيح مسلم من أبي القاسم الهوزني توفي (586هـ/1190م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج21، ص 178.

[3] نفسه، ص 598.

[4] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص ص 292، 293.

ولما كثر علمه وذاع صيته استدعاه المستنصر [1] إلى حاضرة إفريقية بتونس إلى غاية وفاته بها[2].

ومن الظاهرية الحافظ أبو إسحاق ابن هارون المرادي الفاسي(ت663هـ/1264م) المعروف بإبن الكماد، كان أحفظ أهل زمانه لحديث رسول الله صل الله عليه وسلم واذكرهم لتاريخ الرجال والجرح والتعديل والخلاف العالي، يقوم على الكتب الخمسة قياما حسنا ويتكلم على أسانيدها ومتونها لم يكن في عصره مثيل، درس على يد ابن حوط الله الأنصاري وغيره كثير من أئمة الحديث في المغرب لذلك قال فيه السيوطي: "بن كماد الحافظ الحجة الواعظ محدث المغرب" وقال بن القاضي "كان يميل إلى الظاهر"[3].

وممن اشتهر في هذا العصر من فقهاء الحديث بالميل إلى مذهب الظاهرية أحمد بن الطاهر بن علي بن شبرين بن علي بن عيسى الأنصاري (ت 520هـ/1226م) الذي قال فيه القاضي عياض "ممن عني بالحديث والرواية ورحل فيه وفهم الطريقة وأتقن الضبط واتسع في الأخذ والسماع وكان علم الحديث اغلب عليه ويميل إلى الفقه الظاهري"[4].

---

[1] هو أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن أبو زكرياء بن أبو حفص ولد عام (625هـ/1228م)بويع بعد وفاة أبيه سنة (647هـ/1249م)إلى (675هـ/1277م) ويعتبر عهده العصر الذهبي للدولة الحفصية. للمزيد ينظر: أبو العباس أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب بن القنفذ القسنطيني(ت810/1407م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد الزكي، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 117.

[2] نفسه، ص 294.

[3] أحمد بن القاضي المكناسي(ت1025هـ/1616م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، د.ط، دار منصور للطباعة، الرباط ، 1973، ص 84.

[4] أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي(ت544هـ/1249م)، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تح: ماهر زهير جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982، ص 181.

وكذلك محمد بن حسين بن أحمد بن محمد الأنصاري أبو عبد الله (ت523ه/1229م) الذي كان معتنيا بالحديث عالما بأسماء رجاله وحملته، له كتاب حسن في الجمع بين البخاري ومسلم أخذه الناس عنه، كان دينا عفيفا متواضعا متبعا للآثار والسنن ظاهري المذهب[1].

تميزت حركة التأليف في فقه الحديث خلال العهد الموحدي، بالاشتغال بفقه حديث صحيح مسلم وسنن النسائي وسنن الترمذي رغم دخولها قبل هذا الوقت، إلا أن الاشتغال بها كان في هذه المرحلة التي تم فيها رفض كتب الفروع والتوجه إلى كتب الأحاديث، وقد بيّن الإثراء التأليفي لعلماء الظاهرية في هذا المجال، لكن الشيء الذي لابد من التنويه إليه هو نشاط علماء المالكية واهتمامهم بالحديث في هذا العصر على غيره من العصور السالفة وهذا راجع إلى عدة أسباب . حسب رأينا. متمثلة في:

- اهتمام الدولة بهذا الجانب فقد تم حرق كتب الفروع وفرض الاشتغال على كتب الأصول كما رواها المراكشي في كتابه البيان المغرب، أنها كانت تحمل الأحمال من كتب الفروع وتحرق.
- تأثير علماء الظاهرية على المالكية.
- مسايرة الدولة الموحدية وخوف العلماء من بطش السلطان، وهناك كثير من العلماء المالكية تجدهم في المصادر من الصعوبة أن تفرق بينهم وبين علماء الظاهر وقد تضاربت كثير من الدراسات في الفصل في كثير من العلماء

[1] ابن بشكوال، الصلة، المصدر السابق، ج2، ص 581.

- التفرغ والميل إلى فقه الحديث خاصة من بعض العلماء؛ أي هناك علماء مختصين في فقه الحديث وهم طبقة الحفاظ والمحدثين الذين تصدروا لتدريس الحديث مثل الإمام المازري(ت536ه/1241م) صاحب كتاب المعلم بفوائد مسلم وهو مالكي المذهب، وكذلك أبو بكر بن العربي (ت543ه/1248م) له كتاب عارضة الاحوذي في شرح جامع الترمذي وهو مالكي المذهب[1].

ثالثا: الإنتاجات العلمية في الفقه وأصوله لعلماء المذهب الظاهري

1. الفقه

أ. لغة: الفهم والفطنة، وفَقُهَ الأمر فقها، وفقها أحسن إدراكه، وتفقّه صار فقيها وجمعها فقها[2]. ومنه قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾[4]

---

[1] للمزيد انظر: الملحق رقم 5.

[2] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، ط5، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة مصر، 2011، ص 698.

[3] سورة هود، الآية 91.

[4] سورة النساء، الآية 78.

ثم غلب على علوم الدين، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [1]. وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم " **من يرد الله به خيرا يفقه في الدين**"[2].

ب. اصطلاحا: وقد تطور المصطلح الدلالي للفقه وجعل منه يطلق على الفروع، وقد عرفه أبو حنيفة بأنه، "معرفة النفس ما لها وما عليها" والمعرفة هي إدراك الجزئيات عن الدليل، والمراد بها هنا سببها وهو الملكة الحاصلة من تتبع القواعد مرة بعد أخرى[3].

وقد عرفه الإمام الشافعي: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"[4].

واعتمادا على هذه التعريفات، يمكن القول إن الفقه له قواعد أصولية وكل مذهب من المذاهب السنية له تأصيلاته التي يعتمد عليها في بيان أحكام الشريعة، ويرتكز المذهب الظاهري على الأصول التالية: الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، والدليل[5].

لقد كان المذهب الظاهري مذهبا رسميا للدولة الموحدية، فازدهرت معه الدراسات الفقهية بالمغرب، ولم تكن معروفة قبل عهدهم، وكان الأندلسيون يرحلون إلى عاصمة الدولة الموحدية مراكش والعاصمة العلمية فاس، لدراسة أصول المذهب الظاهري وتأصيل الأحكام

---

[1] سورة التوبة، الآية 122.

[2] أخرجه الترمذي في سننه، حسن صحيح، 2645.

[3] وهبة زحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط2، دار الفكر، دمشق، 1985، ج1، ص 16.

[4] وهبة زحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط2، دار الفكر، دمشق، 1985، ج1، ص 16.

[5] نور الدين الخادمي، الدليل عند الظاهرية النص الإجماع القياس الاستصحاب مفهوم الموافقة مفهوم المخالفة الحكم الشرعي العموم والخصوص الترادف المشترك اقل ما قيل، ط1، دار بن حزم، لبنان، 1993، ص 30.

الشرعية، ودراسة القواعد التي تُمكّن من استخراج الأحكام من أصولها وهو الأمر الذي تبناه المذهب الظاهري ورجاله[1].

وقد بدأ ابن تومرت بتحقيقه في كتابه "اعز ما يطلب"[2] حيث تحدث على معرفة الأصل وحقيقته والطريق إلى إثباته، وتحدث أيضا عن الفرع وعن استحالة ثبوت الفرع دون الأصل ثم طبق مسألة التأصيل الشرعي في كتابه هذا فكان يعرض للمسألة ويسوق لها الحجج التي تثبتها من القران والسنة والإجماع دون الخوض في الفروع والآراء المتعددة[3].

وقد ظهرت مرجعية الرجوع إلى الأصل التي اتبعها المهدي كما روى المراكشي في كتابه حينما تحدث على رجوع ابن تومرت إلى المغرب وجدله مع فقهاء دولة المرابطين الذين وجدهم يهتمون بالفروع دون الأصول في قوله: "لأنه وجد جوا خاليا وألفى قوما صياما عن جميع العلوم النظرية خلا علم الفروع"[4].

وقد كان لهذا النهج الذي اتبعه الموحدون في الأصول أثره على الفقهاء المالكية الذين قاموا بدور مهمٍ في تأصيل الفقه والانتقال به إلى الدراسات التقليدية المعتمدة على الفروع ونقل الأقوال إلى الاستنباط والاعتماد على الحجج والبراهين في إصدار الأحكام، خاصة بعد أن اشترط الموحدون لمن يتولى المناصب العليا في الدولة أن يكون لديه علم بالأصول

---

[1] محمد المنوني، المرجع السابق، ص 35.

[2] هو عنوان لمجموع امتلاءات ابن تومرت وعنوانه الكامل، اعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأنفس ما يذخر وما أحسن ما يعمل، يضُم اعز ما يطلب مجموع المختصرات والموضوعات والرسائل التي كانت موضوع أسس دعوة المهدي بن تومرت يربطها خيط رفيع تتفرع منه مواضيع مختلفة، في الفقه، والحديث، والأصول، والتوحيد، والسياسة، والجهاد، والدعوة إلى الإصلاح، والحث على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. للمزيد ينظر:

[3] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 310.

[4] المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 270.

والحديث والجدل وعلم الكلام، الأمر الذي دفع المالكية إلى الإقبال على هذه العلوم، ومن هؤلاء أبو الحسن علي بن محمد المعروف ابن الاشبيلي(ت567ه/1171م) الذي أتقن علم أصول الفقه وبرع فيه، ومن ثمة حظي لدى كل من عبد المؤمن بن علي، وابنه يوسف الذي ولاه منصب شيخ طلبة الحضر[1]، وكذلك ابن خروف اللغوي(ت609ه/1212م) [2] الذي برع في علم الأصول وكان قريبا من حكام الموحدين، ونال منهم العطايا، ونذكر ابن قطان[3](562-628ه/1167-1230م) الذي نهج في مؤلفاته نهجا تأصيليا بعيدا عن نهج أصحاب الفروع متأثرا في ذلك بشيخه المنصور الموحدي الذي كان يوجهه ويعلمه حتى قربه من مجلسه[4].

ومن الفقهاء الظاهرية الذين كان لهم دور بارز في العهد الموحدي نذكر: أبو بكر محمد بن الحسين بن أحمد بن يحي بن بشر الأنصاري (ت537ه/1142م) أحد زعماء المريدين

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، السابق، ص ص 311، 310.

[2] علي بن محمد بن خروف، نظام الدين أبو الحسن بن خروف الأندلسي، حضر من اشبيلية وكان إماما بارعا في اللغة محققا مدققا ماهرا في علم الأصول، صنّف شرحا لكتاب سبوية جليل الفائدة، وكتابا في الفرائض، وله رد على أبي زيد السهيلي وعلى جماعة العربية. للمزيد ينظر: محمد بن شاكر الكتبي(ت764ه/1362م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، ج3، ص 84.

[3] هو القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحي، بن إبراهيم الحميري الكتامي المغربي الفاسي المالكي المعروف بابن قطان(562-628ه/1167-1230م) أحد الحفاظ الحديث له تصانيف كثيرة، منها نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، النظر في أحكام النظر. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج22، ص 307.

[4] عبد الملك بن صاحب الصلاة(ت594ه/1197م)، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين ط3، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ص 164.

ضد دولة المرابطين المالكية نزيل غرناطة ومولده بميورقة[1]، رحل حاجا سمع بمكة من أبي الفتح عبد الله بن محمد البيضاوي، و أبو نصر عبد الملك بن أبي مسلم النهاوندي كما سمع من الطرطوشي بمصر وكان فقيها ظاهريا[2]. كان عارفا بالحديث وأسماء الرجال تتلمذ على يد الحافظ السلفي وعاد إلى المغرب بعد رحلة علمية مكللة بالتحصيل[3].

ومنهم أبو عمر بكر بن خلف بن سعيد بن عبد العزيز بن كوثر الغافقي من أهل اشبيلية، ويكنّى أبا عمرو له رواية عن مشيخة بلده، وكان فقيها من أهل الظاهر لا يرى التقليد، كما كان فقيها أديبا شاعرا له قصيدة في الأخذ بالحديث وإطراء الرأي والتقليد رواها عنه ابنه عبد الله وسمعها ابن الآبار من بعض أصحابه، وكان لأبي عمر بكر مجلسا باشبيلية وفي مسجده وأرخ الأخذ عنه[4].

ونذكر منهم عبد الله بن بكر بن خلف بن سعيد بن عبد العزيز بن كوثر الغافقي روى عن أبيه وحدث عنه سعد السعود بن عفير الظاهري كان مجاهد يحضر المعارك والغزوات ومات شهيدا في حربه ضد النصارى[5].

ومن الظاهريين أبو محمد سفيان بن أحمد بن عبد الله بن الإمام، من أهل بستة سكن مرسية ولد سنة (495هـ/1101م) وكان زاهد يميل إلى الظاهر روى عن الحافظ أبي الوليد

---

[1] بالفتح ثم الضم جزيرة في شرق الأندلس وهي إحدى جزر البليار(ميورقة ومنورقة ويابسة).ياقوت الحموي، معجم البلدان ج5، ص 246.

[2] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص 155.

[3] نفسه، ج2، ص 155.

[4] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 177.

[5] نفسه، ج2، ص 230.

يوسف بن عبد العزيز وكان من أهل العناية بالحديث حافظا واقفا على المصنفات ظاهري المذهب توجه من مرسية إلى مكة سنة (566هـ/1170م)[1].

ومنهم أبو الحسن خضر بن محمد بن نمر التجيبي الكفيف (ت571هـ/1175م) من أهل اشبيلية كان مناظرا على مذهب أهل الظاهر توفى في مسجد الخولانيين ودفن في قريته[2].

ومن علماء المذهب الظاهري اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي (ت575هـ/1179م) صاحب تآليف وأدب وفنون كثيرة، كان يمتدح ابن حزم في مجالسه واعتبرهم أحد من حفظ على المسلمين علومهم روى عن أبيه، وابن إسحاق بن خفاجة[3] الشاعر وأجاز له بن عتاب وابن أبي تليد، وانتقل إلى الإسكندرية ثم رحل إلى القاهرة، فأكرمه السلطان صلاح الدين وله تصنيف سماه "المُغرب في محاسن المغرب"وروى عنه أبو عبد الله التجيبي وأبو الحسن بن المفضل وأبو القاسم بن الصفراوي وغيرهم[4].

وكذلك أبو الحسن على بن محمد بن خيار البلنسي فاسي الأصل ولد سنة (541-605هـ/1146-1208م) سمع من ابن بشكوال، وبن خير الله، وكان فقيها حافظا مجتهدا

---

[1] السيد عبد الباقي عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 258.

[2] نفسه، ص 259.

[3] أبو إسحاق إبراهيم ابن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي ولد سنة (450هـ/1058م) في بلدة شقر من أعمال بلنسية إحدى عواصم الأندلس وعاش في أيام ملوك الطوائف إبان دولة المرابطين كان من فحول الشعراء بالأندلس له ديوان شعر كما تعاطى النثر وبرع فيه. للمزيد ينظر: أبو الحسين علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، 1997م، مج2، ص 5.

[4] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 311.

بعيدا على التقليد له باع في علم الكلام والفقه والأصول والعربية والتصوف ومنتحلا القول بالظاهر[1].

ومنهم محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمان بن خليل الأندلسي الظاهري كان حيا في عصر المنصور الموحدي، ألّف كتاب "القدح المعلى في إكمال المحلى"[2] إذ إن بن حزم توقف عند المسألة رقم 2023، فأتم ابنه أبو رافع الفضل المحلى من كتاب أبيه "الإيصال" لكن تكملة الفضل لم تعجب بن خليل الأندلسي[3]، حيث وجد فيه اختلالا كثيرا فأراد ابن خليل أن يكمل "المحلى" على نفس الترتيب والمنهج الذي سار عليه ابن حزم، حتى إذا رآه العارف الناقد لم ير فرقا بينه وبين ما ابتدأ به بن حزم، كما كان ابن خليل منافحا مدافعا على الظاهرية وابن حزم ضد علماء المالكية ووجد تأييدا كبيرا من الموحدين[4].

---

[1] المنوني، المرجع السابق، ص 39.

[2] هو كتاب ألّفه ابن خليل الأندلسي الظاهري ردا على أبي رافع بن حزم في تكملته كتاب المحلى لأبيه الذي سمّاه الإيصال، فنهج ابن خليل منهج ابن حزم في التأليف ،وفي هذا يقول ابن خليل: "ولما ألفت الزيادة هكذا ووقع إليّ من كتب (الإيصال) جملة كبيرة، فيها موضع الحاجة، رأيت أن أكمله على ترتيبه ووضعه حتى إذا رآه العارف الناقد لم ير فرقا بينه وبين أبو محمد". للمزيد ينظر: محمد إبراهيم الكتاني، حول كتابين هامين المورد الأحلى في اختصار المحلى لابن حزم والقدح المعلى في إكمال المحلى لابن خليل، مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين، ميونخ ، 1957، ص 5.

[3] هو أبو القاسم الأندلسي المالكي أصبغ بن خليل فقيه قرطبة ومفتيها، أخذ عن الغزي بن قيس وعن يحي بن يحي ،برع في علم التوثيق. للمزيد ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج 13، ص 202.

[4] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 262.

يقول ابن خليل: "وغير خاف من ذي تعلق يسير بنصوص الأحاديث، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي عضوا عليها بالنواجذ**"[1].

وكذلك أبو الاصبغ عبد العزيز بن علي اللخمي الاشبيلي (ت621هـ/1224م) يعرف بابن صاحب الرد، برع في فقه الظاهرية سمع من ابن الجد وابن زرقون من علماء المالكية[2].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري البجائي الأصولي العالم المجتهد الجليل المشتهر بالأصولي(ت612هـ/1224م) وكان عالما بالفقه والأصول والجدل وُليَّ قضاء المدن الأندلسية، واستخلف بمراكش كما وُلِيَّ قضاء بجاية ثلاث مرات وله "تقييد على المستصفى لأبي حامد الغزالي"[3]، وكان شديدا على ولاة الأمر الذين يكونون معه ببلد قضاءه لا يسامحهم في شيء من أمورهم ويجاهدهم بما يكرهون في حق الله وفي حقوق المسلمين وقد جرى يوما بينه وبين والي بجاية كلام كانت فيه غلظة فقال له الوالي: والله لقد أصاب سيدنا أمير المؤمنين المنصور فيكم، فقال له: "إن كان أصاب أمير المؤمنين المنصور فقد اخطأ فينا أمير المؤمنين الناصر" فأفحمه فرجع واسترضاه لأن أمير المؤمنين المنصور قد كتب فيه وفي أبي الوليد بن رشد، فلما جاء الناصر أرجعه وأكرمه[4]، وكان يتميز بالذكاء وله

---

[1] أخرجه مالك في الموطأ، (2/899).

[2] شيخ المالكية أبو الحسين محمد بن الكبير أبي عبد الله محمد ابن سعيد بن أحمد لأنصاري، الاشبيلي بن زرقون، كان أديبا كثير النظم والنثر له كتاب : "فقه حديث بريرة" و كتاب "قطب الشريعة". للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج16، ص 231.

[3] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص ص 608، 609.

[4] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 610.

قصة طريف مع السلطان المنصور الموحدي، أنه حضر مجلس واستحضرت به لآليء نفيسة في طبق وعرضت على حاضري المجلس فاستحسنوها، وعدت ففقدت منها واحدة فهمّ أمير المؤمنين يفتشهم فأشار عليه بإحضار قلة ماء مملوءة ويدخل فيها كل إنسان يده يستبرأ على الفاعل، فسيقت القلة فلما وصلت إليه ليدخل يده فيها امتنع وقال صبوها فإن وجدتم حاجتكم وإلا فهي عندي فصبوها فوجدوها وخلص من الشك[1].

ومنهم أبو العباس أحمد بن خالد المالقي الفقيه الأصولي (ت660هـ/1262م) الذي درّس بالأندلس ومراكش "الإرشاد" و "المستصفى"[2] لأبي حامد الغزالي والذي كان حاملا للفقه والأصول[3].

ومن الظاهرية أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الازدي البجائي، من أهل القرن السابع، يعرف بابن يبكي من أهل قلعة بنى حماد صاحب الرابطة المعروفة برابطة ابن يبكي ببجاية وبها قبره، وكانت له وجاهة وعلو قدر ورفعة في الدين والعلم، وكان معروفا عند خلفاء بنى عبد المؤمن وإليه كان مرجع الفتيا وعلى قوله العمل وهو من نظراء الفقيه المالكي محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني (ت625هـ/1228م)[4].

---

[1] أحمد بابا التنبكتي(1036هـ/1627م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص 378.

[2] هو كتاب للإمام أبو حامد الغزالي في علم أصول الفقه الإسلامي، وهو يمثل خلاصة علم الغزالي في المسائل الأصولية سار فيه على نظام ترتيبي جديد واضح يدركه الدارس من أول وهلة. للمزيد ينظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت505هـ/1111م)، المستصفى من علم الأصول، تح: ناجي سويد، د.د، د.م، د.س، ج1، ص 5.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري ، المرجع السابق، ص 831.

[4] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 213.

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يوسف الأنصاري من أهل القرن السابع الهجري من أهل اشبيلية، يعرف بابن المالقي كان فقيها على مذهب أهل الظاهر، ولعله حمل القول بالظاهر من شيخه أبى أسامة يعقوب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم حدث عنه بن نباته الظاهري[1].

وكذلك أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر المالقي اللخمي العشاب النباتي ولد سنة (562هـ/1166م) اشتغل بالنبات وبرز في معرفته سمع من السهيلي بمراكش "السير" و"روض الأنف" وسمع من علي بن زرقون "سنن أبي داود" و"سنن الدارقطني" وأجيز منها ومن غيرها ومن تلاميذه أبو الحسن الرعيني الذي أجيز منه بجميع مروياته وسمع عليه جملة من الأحاديث العوالي مستخرجة من موطأ مالك وصحيح البخاري[2] قال فيه الرعيني: "وهو شيخ سني يقول بالظاهر". وقال ابن عبد الملك "كان شيخا سنيا ظاهري المذهب"[3]

وكذلك أبو عمرو عثمان بن حسن بن علي بن الجميل الكلبي السبتي (ت634هـ/1236م) اخو أبو الخطاب عمر بن دحية ولد سنة (546هـ/1151م) سمع من أبي القاسم ابن بشكوال وأبى بكر بن خير الاشبيلي، وكثير من علماء الأندلس ورحل إلى مراكش، والتي فيها تتلمذ على العديد من مشايخها، ومنها رحل إلى افريقية، ومصر وبلاد الشام والحجاز والعراق وبلاد فارس. وألّف كتاب من طلب أميرها سماه "التنوير في مولد السراج المنير"[4] الذي ختمه بقصيدة طويلة، قال بن مسدي: "أربى على آخيه بكثرة السماع

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 732.

[2] نفسه، ص 732.

[3] الرعيني، برنامج الرعيني، المصدر السابق، ص 154.

[4] يعتبر هذا الكتاب من الكتب المختصة في سيرة خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم قسمه صاحبة إلى أربعة أبواب: الباب الأول: افرده في ذكر شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدث فيه على نسبته وأجداده، الباب الثاني: في النسب

كما أربى أخوه عليه بالفطنة"، وكان متزهدا وكان شيخه بن الجد يصله ويعطيه، وقال ابن خلكان: "كان أبو عمرو أسنّ من أخيه أبي الخطاب وكان حافظا للغة والعربية قيما بها وذكر أنه كان ظاهريا"[1].

نذكر أبو محمد عبد الله بن قاسم بن عبد الله بن محمد بن خلف اللخمي الحريري(591-646هـ/1195-1248م) كان من أخص تلاميذ بن نباته الظاهري وتتلمذ على يد بن حوط الله الأنصاري الظاهري، وأبى القاسم أحمد بن يزيد بن بقي الظاهري[2]. وسمع منه الموطأ ثلاث مرات، ومن مصنفاته معجم شيوخ سماه "الدرر والفرائد في نخب الأحاديث وتحف الفوائد"[3] و"حديقة الأنوار في تذييل اقتباس الأنوار" و "التماس الأزهار" للراطاشي في الأنساب "المنهج الرضى في الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي"[4] بزيادة عليهما[5].

كما ساهم كثير من العلماء الظاهرية في إثراء الحياة العلمية منهم الحافظ إبراهيم بن خلف السنهوري الدمشقي (ت620هـ/1223م) دخل المغرب والأندلس والتفّ حوله جماعة

وفضل قريش، الباب الثالث: خصصه في ذكر اجتماع القبائل العربية مع رسول الله في عبد المطلب، الباب الرابع: وهو جوهر الكتاب فقد عقده في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غاية وفاته، قال فيه ابن خلكان"قدم من المغرب فدخل الشام والعراق واجتاز اربل سنة أربع وستمائة، فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد النبوي فعمل له كتاب(التنوير في مولد البشير النذير) فقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار. للمزيد ينظر: جلال الدين السيوطي(ت911هـ/1505م)، حسن المقصد في عمل المولد، د.ط، موقع مسلم، 2005، ص 7.

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج3، ص ص 449، 450.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 275.

[3] وهو معجم لشيوخه. للمزيد ينظر: عبد الفتاح عايش، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ج4، ص 96.

[4] الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، ج4، ص 254.

[5] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص ص 270، 275.

من الظاهرية تتلمذوا على يديه وروا عنه، مثل بن حوط الله الظاهري، وابنه محمد أجازهما بجميع ما رواه شيوخه، وأبو العباس النباتي الظاهري[1]، وابن قطان الفاسي المالكي صاحب النزعة الظاهرية، وولد بن قطان الذي درس على يديه[2].

وقد شارك حكام الدولة الموحدية فقهاء الظاهرية في النشاط العلمي والتمكين للمذهب الظاهري، ومنهم يعقوب المنصور الموحدي، الذي كان على رأس الفقهاء الذين يستنبطون الأحكام من القران والسنة، وكان يتكلم في الفقه، وكانت له فتاوى يرجعون إليها، وصنف كتاب جمع فيه متون أحاديث الصحاح تتعلق بالعبادات سماه "الترغيب"، كما دعا إلى الاجتهاد والاستنباط من مصادر التشريع[3].

---

[1] للمزيد انظر: الملحق رقم 6.

[2] اعبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 315.

[3] المنوني ، المرجع السابق، ص ص 38، 39 .

الفصل الثالث:

الإنتاجات الأدبية لعلماء المذهب الظاهري في العهد الموحدي

أولا: إنتاجات الظاهريين في الشعر الفصيح

ثانيا: انتشار الموشحات والأزجال في العهد الموحدي

ثالثا: ثورة الظاهريين في النحو خلال العهد الموحدي

انتشرت العلوم الأدبية في العصر الموحدي انتشارا كبيرا وعرفت ازدهارا باهرا، وذلك راجع إلى اهتمام الدولة بالعلم والعلماء، وقد عرفت الحواضر الكبرى مثل فاس، ومراكش والمدن الأندلسية، حركة أدبية منقطعة النظير ظهر فيها إبداع العلماء والشعراء من شتى أطيافهم المذهبية على غرار المالكية والظاهرية، هذه الأخيرة التي ظهرت بشكل لافت في هذا العصر، فقد كان الأدب والشعر يسيرا وفقا لمبادئ الفقه الظاهري.

نريد في هذا الفصل أن نبيّن ونبرز هؤلاء العلماء الظاهريين الذي كانت لهم مساهمة في المجال الأدبي بشقيه النثري والشعري، وكانت لهم مساهمة فعالة في عصر الدولة الموحدية التي انتعش فيها المذهب الظاهري انتعاشا كبيرا، مستاقين المادة من المصادر والمراجع التي تناولت وتكلمت على هذه الفئة من العلماء الذين كان لهم انتشارا في هذا العصر.

أولا: إنتاجات الظاهريين في الشعر الفصيح

عرفت الدولة الموحدية انتشار الشعر والشعراء الذين كان لهم صيت في العهد الموحدي، وكان الشعر متعدد الأغراض والأهداف، فقد بلغ العلماء والأمراء والخلفاء المنتحلين المذهب الظاهري شأوا كبيرا في الشعر والقوافي نذكر منهم:

المهدي بن تومرت (515 -524هـ/1121- 1129م) ومن شعره في دعابة أصحابه:

أخـــــذت بأعضـــــادهم إذا نـــــأوا   وخلفـــــك القـــــوم إذا ودعـــــوا
فكـــم أنـــت تنهـــي ولا تنتهـــي   وتســـــمع وعظـــــا ولا تســـــمع
أيـــا حجـــر السّـــن[1] حتـــى متـــى   تســـين الحديـــد ولا تقطـــع[2].

وأبياته في مدح عبد المؤمن بن علي الذي فضله على غيره لذكائه وإخلاصه وعقله وجعله خليفته من بعده[3]:

تجمعـت فيـك أشـياء خصصـت بهـا   فكلنـــا بـــك مســـرور ومغتـــبط
الســن ضـــاحكة والكـــف مانحـــة   والصـــدر متســـع والوجـــه منبســـط[4].

---

[1] حجر السّن أو حجر الشّحذ هو نوع من الأحجار الطبيعية أو الصناعية يستخدم مادة آكلة لسن أطراف الأدوات القاطعة يستخدم جافا أو مبللا بالماء أو الزيت.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 169.

[3] عبد الواحد المراكشي(ت647هـ/1250م)، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافية الدينية مصر، 1997، ص 81.

[4] السيد عبد الباقي عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 53.

ومنهم الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي (524-558هـ/1129-1162م).

ومن شعره الذي وجهه إلى أهل بجاية يحظّ فيه إلى الجهاد ضد النصارى الأندلسيين، وقد لجأ إلى سياسة استنفار العرب واستدعائهم وتحريضهم، فالشاعر يناشد بني هلال ويحثهم على الجهاد وهو بذلك يستثير النخوة والحمية في نفوسهم فيشيد بعلو همتهم وشجاعة فرسانهم ويُذكِّرهم بأمجادهم القديمة[1].

أَقيمــوا إلــى العليــاء هــوج الرّواحــل ... وقــودوا إلــى الهيجــاء جــرد الصــواهل

وقومــوا لنصــر الــدين قَومَــةِ ثَــائِرِ ... وشــدّوا علــى الأعــداء شــدّة صــائل[2]

فمــا العــز الأظهَــرُ اجــرد ســابح ... يفــوت الصــبا فــي شــده المتواصــل

وابــــيض مــــأثور كــــأن فِرِنْـــــدَه ... علــى المــاء منســوج ولــيس بســائل

بنــي العــم مــن عليــاء هــلال بــن ... ومــا جمعــت مــن باســل وابــن باســل

تعــالوا فقــد شــدت إلــى الغــزو نيــة ... عواقبهــــا منصــــورة بالأوائــــل

هــي الغــزوة الغــراء والموعــد الــذي ... تنجــز مــن بعــد المــدى المتطــاول

بهــا تفــتح الــدنيا بهــا تبلــغ المنــى ... بهــا ينصــف التحقيــق مــن كــل باطــل

---

[1] شفيق محمد عبد الرحمان الرقب، شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، الأردن، 1984، ص 70.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 305.

[3] بنو عامر قبيلة هلالية عربية قيسية مضرية عدنانية، هاجرت القبيلة من جزيرة العربية إلى بلاد الشام ثم صعيد مصر ومنه انتقلت إلى شمال إفريقيا، عقوبة من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله لأمير بني زيري المعز بن باديس بعد تمرد هذا الأخير على الخلافة وسكنت هذه القبائل بلاد افريقية. للمزيد ينظر: محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين ابن الخطيب(ت776هـ/1374م)، أعمال الأعلام، تحقيق سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ/ 2003م، ج2، ص 324.

أهبنــا بكــم للخيــر و الله حسبنـــا وحســـبكم والله اعـــدل عـــادل

فمـــا همنـــا إلا صـــلاح جمـــيعكم وتسـريحكم فـي ظـل اخضـر هاطـل

وتســـويغكم نعمـــى تـــرف ظلالهـــا علـيكم بخيـر عاجـل غيـر آجـل

فـــلا تتوانـــوا فالبـــدار غنيمـــة وللمـدلج السـارى صـفاء المنـاهج[1]

فالشاعر يدعو العرب إلى نصرة الدين الحنيف والدفاع عنه، وقد قدم بين يدي دعوته أساليب استثارة مستوحاة من القيم العربية، حيث زيّن لهم النتائج التي يحققونها من الغزو فهو يحقق لهم المجد الحربي الذي يفخرون به ويطمحون إليه، كما أشاد بأصالة نسبهم وشجاعة فرسانهم وذكّرهم بصلة القرابة التي تربط الموحدين بهم، وقد كان الشاعر لبقاء في هذه الناحية حيث خاطب العرب بقوله: بني العم[2]

وفي قول عبد المؤمن أثناء انتصار الجيوش الموحدية على النورمانديين[3] في المهدية سنة (555هـ/1160م).

وأشـــرقت الشـــمس المنيـــرة فوقنـــا وأصـبح صـوت الحـقّ غيـر محجـب

وطهـر هـذا الصـقع مـن كـل كـافر وعـــاد بـــه الإســـلام بعـــد تقلـــب

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 305.

[2] شفيق محمد عبد الرحمان الرقب، المرجع السابق، ص 70.

[3] وهم الشعوب الاسكندينافية– سويديين، ونوربجين، والدانماركيون، وهم الذين هاجموا سواحل انجلترا وفرنسا والأندلس والمغرب وتزعموا حركة القرصنة في البحار والبلاد السواحلية. للمزيد ينظر: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص 100.

وكســـرت الصـــلبان فـــي كـــل بيعـــة   ونـــاد منـــادى الحـق فـي كـل مرقـب[1].

وفي مساجلته مع وزيره أبي جعفر بن عطية، كانا مارين في أحد شوارع مراكش فأطلت من الشباك جارية بديعة الجمال فقال:

قدت فؤادي من الشباك إذا نظرت.

فأجاب الوزير:

حوراء ترنو إلى العشاق بالمقل.

فقال عبد المؤمن:

كأن لحظها في قلب عاشقها.

وأجاب الوزير أيضا: سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي[2].

وأنشد رجل من أهل اشبيلية يعرف بابن السيد ويلقب باللص[3]:

---

[1] أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي(ت695هـ/1296م)، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1985، ص 64.

[2] عبد الله كنون، أمراؤنا الشعراء، د.ط، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ص 20.

[3] هو أحمد بن السيد الاشبيلي أقرأ العربية والآداب واللغات وكان قائما عليها متحققا بصناعتها شاعرا كبيرا (ت578هـ/1182م) . للمزيد ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص217. وأيضا المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ص325. أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي(ت598هـ/1201م)، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، تح: عبد القادر محداد، د.ط، بيروت، 1358هـ، ص 64.

غمض عن الشمس واستقر مدى زحل   وانظر إلى الجبل الراسي إلى جبل
أن استقر به أن استقل به   أني رأى شخصه العالي فلم يزل[1].

فقال له عبد المؤمن: لقد أثقلتنا يا رجل فأمر به فجلس[2].

وقد أنشد الرصافي[3] قصيدة في مدح الخليفة وهي قصيدة طويلة نذكر منها:

لو جئت نار الهدى من جانب   قبست ما شئت من علم ومن نور
وكل زهراء لم ترفع ذوبتها   ليلا لسار ولم تشبب لمقرور
فضية القدح من نور النبوة أو   نور الهداية تجلو ظلمة الزرو
مازال يقضمها التقوى بموقدها   صوّام هاجرة قوام دياجور
حتى أضاءت في الإيمان عن   قد كان في رماد الكفر مكفرو
نور طوى الله زند الكون منه على   سقط إلى زمن المهدي مذخور
وآية كآيات الشمس بين يدي   غزو على الملك القيسي منذور[4].

فكان عبد المؤمن مغرما بالأدب شغوفا بالشعر بصيرا بجِدّه، فلما كان بجبل الفتح وهو جبل طارق سماه بهذه التسمية الشعرية عبد المؤمن نفسه، ووفدت عليه وجوه أهل الأندلس

---

[1] ابن عبد الملك، المن بالإمامة، المصدر السابق، ص 98.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 296.

[3] هو محمد بن غالب أبو عبد الله الرفاء الأندلسي الرصافي البلنسي نسبة إلى رصافة ببلنسية بالأندلس شاعر مشهور أحد أحد أعلام الأدب (536-639هـ/1141- 124م). للمزيد ينظر: خالد شكر محمود صالح الفراجي، **شعر الرصافي الرفاء البلنسي دراسة موضوعية- فنية**، رسالة ماجستير قدمت لجامعة ابن رشد بغداد، إشراف عبد الرحمان كريم عذاب اللامي 2003م، ص 22.

[4] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 300.

للبيعة جلس للناس في يوم مشهود، فقال الشعراء في ذلك قصائد فأنشده في ذلك رجل من ولد الشريف الطليق المرواني، كان شريفا من جهة أمه[1].

ما للعداء جنة أوقى من الهرب[2].

فقال: عبد المؤمن رافعا بها صوته إلى أين.

أين المفر وخيل الله في الطلب[3].

ولابنه الأمير أبي عمران وكان استخلفه أخوه يوسف على مراكش فاعتل وغاب ثلاثة أيام لم يره أحد فكتب إليه القاضي أبو يوسف الحجاج.

يغيـــب البـــدر يومـــا ثـــم يبـــدو　　　وأنـــت تغيـــب عـــن عينـــي ثلاثـــا
لـــئن بلغـــت ثـــلاث لا أراكـــم　　　فلســـت بمـــدرك يـــوم الثلاثـــا[4]

---

[1] ويسميه المقري بالأصم المرواني وسمي الشاعر بالطليق لأن رسول الله أطلق جده ويبيّن المراكشي تسميته بالطليق بأن جده كان طليق أبي عامر محمد ابن أبي عامر الملقب بالمنصور.

[2] وقد ذكر ابن عبد الملك في المن بالإمامة على المستضعفين القصيدة كاملة، والمتكونة من 55 بيتا، ألقاها على أمير المؤمنين وعند إكمال هذه القصيدة تهلل وجه أمير المؤمنين، وذلك لحسن أغراضها وبساطة لفظها ومعانيها. للمزيد ينظر: ابن عبد الملك، المن بالإمامة، المصدر السابق، ص 73.

[3] عبد الله كنون، أمراؤنا الشعراء، المرجع السابق، ص 21.

[4] مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص 153.

فأجابه الأمير أبو عمران بديهة.

أتتنـــــا مــــــنكم درر فجلــــــت عجـــالي وأوجبـــت منـــا انبعاثـــا
ولـــولا العـــذر مـــن ســـبب قـــوي لســـرنا نحـــوكم عزمـــا حثاثـــا
لكنـــــــي أســـــــير بحـــــــال ود إلـــيكم مضـــبحا يـــوم الثلاثـــا[1]

ومنهم أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي.

وقصيدة المنصور لقبائل سليم[2] العربية النازلة بافريقية.

يـــا أيهـــا الراكـــب المزجـــي مطيتـــه علـــى عـــذافرة تشـــقى بهـــا الأكـــم
بلـــغ ســـليما علـــى بعـــد الـــديار بهـــا بينـــي وبيـــنكم الرحمـــان فـــي الرحـــم
يـا قومنـا لا تشـبو الحـرب إن خمـدت واستمســـــكوا بعـــــرى الإيمـــــان
كـم جـرب الحـرب مـن قـد كـان قبلكم مـــن القـــرون فبـــادت دونهـــم الأمـــم
حاشـا الاعـارب أن ترضـى منقصـة يـــا ليـــت شـــعري هـــل تـــراهم علمـــوا
يقـــودهم ارمنـــــي لا خـــــلاق لـــــه كأنـــــه بيـــــنهم مـــــن جهلهـــــم علـــــم
الله يعلـــــم أنـــــي مـــــا دعـــــوتكم دعـــــاء ذي قـــــوة يومـــــا فينـــــتقم
ولا لجـــأت الأمـــــر يســـتعان بـــه وهـــــذا الخلـــــق قـــــد علمـــــوا
لكـن لأجـزي رسـول الله عـن نسـب ينمـــى إليـــه وترعـــى تلكـــم الـــذمم
فــإن أتيــتم فحبــل الوصــل متصــل وإن أبيـــتم فعنـــد الســـيف نحـــتكم[3]

[1] عبد الله كنون، أمراؤنا الشعراء، المرجع السابق، ص ص 22، 23.

[3] عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، المرجع السابق، ص 642.

ومنهم الأمير أبي الحسن علي بن عمر بن أمير المؤمنين عبد المؤمن يمدح المنصور ويطلب منه ما يقضي به ديونه:

وجـــوه الأمــــاني بكـــم ســـفرة	وضــــــاحكة لــــــي مستبشــــرة
ولـــــي أمـــــل فـــيكم صـــادق	قريـــــب عســـــى الله أن يســــتره
عليـــــا ديـــــون وتصـــــحيفها	وعنـــــدكم الجــــود والمغفـــــرة[1]

ومن شعر الخليفة أبو العلاء المأمون إدريس بن المنصور (581-630هـ/1185-1232م)[2] عند قتله أشياخ الموحدين وتعليق رؤوسهم بأسوار مراكش وأشجارها[3].

أهــل الحرابـــة والفســـاد مـــن الـــورى	يعزونــــا فـــي التشـــبيه المـــذكار
ففســـاده فيـــه الصـــلاح لغيـــره	بـــــالقطع والتعليـــــق بالأشجـــــار[4]
فرؤوســـهم ذكـــرى إذا مـــا أبصـــرت	فـــوق الجـــذوع وفـــي ذرى الأشجـــار
وكـذا القصـاص حيـاة أربـاب النهـى	والعـــــدل مــــألوف بكـــل جـــوار

[1] عبد الله كنون، أمراؤنا الشعراء، المرجع السابق، ص 31.

[2] ولد الخليفة أبو العلاء المأمون إدريس بن المنصور بمدينة مالقة سنة (581هـ/1185م) وكان شبيه أباه المنصور في صفته العلمية فقد كان فقيها حافظا ضابطا للرواية، متمكنا من علوم الدين إماما في اللغة أديبا واسع المعرفة والأدب والسير وشاعرا فحلا. للمزيد ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص418.

[3] وهو الذي أمر بزوال اسم المهدي من السكة وغيرها ومن الخطبة وأزال اسمه من جميع رسوم الموحدين مما كان العمل به في سائر دولتهم، وكتب في ذلك رسالة إلى الطلبة والأشياخ و الأعيان ومن معهم من المؤمنين والمسلمين، يبين فيها ادعاء المهدي وخلطه، وفي سنة 627هـ في شهر رمضان بفتوى من القاضي المكيدي، قتل المأمون أعدادا كبيرة من الموحدين بلغ عددها 14 ألف وقيل أكثر وعلقها في أسوار مراكش حتى انتشرت رائحتها الكريهة في البلدة. للمزيد ينظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص ص 165، 166.

[4] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 165.

لـــو عـــم حلـــم الله ســـائر خلقـــه ــــــــ مـــا كـــان أكثـــرهم مـــن أهـــل النـــار[1].

ومنهم الخليفة عمر المرتضى ابن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن (646-665هـ/1248-1266م)[2] ومن شعره:

ذليـــــل دمـــــع مقلتـــــه دليـــــل ــــــــ علـــى أن الحشـــا فيهـــا غليـــل
ألـــم ببـــابكم يبغـــي شـــفاء ــــــــ لـــداء البعـــد فهـــو لـــه قتيـــل
أنيلـــوني رضـــا مـــنكم وقربـــا ــــــــ وحاشـــا مجـــدكم أن تنيلـــوا
لـئن قطعـت سـبيل الوصـل عنـي ــــــــ خطـــوب شـــرحها عنـــدي يطـــول
فشـــافع مـــا اقترفـــت هـــوان ذلـــي ــــــــ وأعظـــم شـــافع أنـــي ذليـــل
فحســـبي أننـــي عبـــد قطـــوع ــــــــ وحســـبك انـــك المـــولى الوصـــول[3]

وكان هذا الخليفة عالما أديبا بارع الخط فاضلا عفيفا خيرا وله أبيات في الدعاء

دعـــــوت لـــــي الله مســـــتعطفا ــــــــ ليصـــلح منـــي مـــا قـــد فســـد
ويصـــــلح نفســـــي أخلاقهـــــا ــــــــ ويـــذهب عنهـــا الريـــاء والحســـد
فســـوق الريـــا بهـــا نافـــق ــــــــ وســـوق العفـــاف بهـــا قـــد كســـد[5].

---

[1] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 166.

[2] هو أبو حفص المرتضى عمر بن أبي إبراهيم إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن خليفة الموحدين بين عامين (646-665هـ/1248-1266م) وهو الخليفة قبل الأخير في سلسلة الخلفاء الموحدين إذ خلفه إدريس الواثق الذي انتهت بمقتله الدولة الموحدية.

[3] عبد الله كنون، أمراؤنا الشعراء، المرجع السابق، ص ص 34، 35.

[4] نفسه ، ص ص 34، 35.

[5] عبد الله كنون، أمراؤنا الشعراء، المرجع السابق، ص 35.

ومن الشعراء الذين ذاع صيتهم أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي يعتبر من العلماء الكبار والمحدثين الحفاظ والفقهاء الجهابذة والبلغاء والشعراء الذين لا يشق لهم غبار سكن بجاية مدة عبد الله بن يرمور وكان ولده أبو علي يقرأ عليه، وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا عليه، ولا يحفظ الإنسان من اللغة حواشيها إلا وذلك أضعاف أضعاف محفوظة من مستعملها، وكان يرغب بالانفراد بأسلوب خاص به يميزه على غيره كما فعل بعض الأدباء، ومن شعره ما كتبه إلى تلميذه الحسن بن أحمد بن عبد الرحيم البيساني عند إجازته الرواية، وكتب إلى السلطان الأجل الملك الكامل أبي المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب قائلا[1]:

مـــالي أســـائل بـــرق بـــارق عـــنكم ... مـــن بعـــد مـــا بعـــدت ديـــاري مـــنكم
وبمنحنـــــى الأضـــــلاع بـــــل وادي ... مـــن مهجتـــي يـــا راحلـــين نـــزلتم
فمحلكـــم قلبـــي وانـــتم بالحشـــا ... لا بـــــالعقيق ولا برامـــــة أنـــــتم
وأنـــا المقـــيم علـــى الوفـــاء بعهـــدكم ... يـــا ملكـــين وفيـــتم أو خنـــتم
أضـــننتم أنـــي ســـلوت وأننـــي ... خنـــتم العهـــود فخنـــتم وغـــدرتم
هيهـــات هـــل يســـلو بالـــذكر مالـــك ... مـــن حـــبكم مـــن للغـــرام متيـــم
أمنـــازل الأحبـــاب أيـــن أحبنـــي ... فهـــم إذا جـــن الظـــلام الأنجـــم
ولقـــد وقفـــت بربـــع عـــزة منشـــدا ... يـــا ربـــع أيـــن تـــرى الأحبـــة يممـــوا[2]

[1] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 334.
[2] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 273.

وكتب السلطان جوابا في ورقة عن القصيدة الحمد لولي الحمد، كما أجاز الحسن بن أحمد بن عبد الرحيم بقصيدة يمدح بها السلطان:

شجتني شواج في الغصون سواجع ... ففاضت هوام للجفون هوامع
وهيجن شوقا للأراجع باللوى ... وأين اللوى مني وأين الأراجع
مرابع لو أن المرابع أنجم ... لكان نجوم الأرض تلك المرابع
وعى الله أياما لها ليت أنها ... إلي وقد ولى الشباب رواجع
ليالي لا ليلى إذا رمت وصلها ... يلوح لها من صبح شيي مواقع
وما محنتي في الحب غير ... هي البدر في ليل النوائب طالع[1]

ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن يحي بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري وكان من الشعراء الذين ينظمون الشعر، وله قصيدة دفع بها إلى ابنه الفقيه أبو الحسن يحثه على الحج وهي[2]:

أيا سائر نحو الحجاز وقصده ... إلى الكعبة البيت الحرام بلاغ
ومنه إلى قبر النبي محمد ... يكون له بالروضتين مراغ
فبلغت ما أملت كم ذا اراغه ... أناس نسوا قصد السبيل فراغ

[1] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 275.

[2] كان لابن سيد الناس رحلات عديدة في طلب العلم والسعي إليه كغيره من العلماء، فكانت رحلته إلى بلاد الشام والإسكندرية، وقد أشارت المصادر أنه أخذ العلم على أكثر من ألف عالم قراءة وسماع وإجازة، حتى أهلته أن يكون واحدا من أبرز علماء عصره وكان في مقدمتهم الإمام قطب الدين القسطلاني. للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج4، ص 208.

فــألان وقــد خــط المشــيب بمفرقــي   وكلــل رأســي مــن حلــى وصــياغ
أعلـــل نفســـي بـــالمنى وتصـــدني   ذنـــوب لهـــا عنـــد الفـــراق مصـــاغ
إذا مــا أجلــت الــدهر فيــه فكيــف لــي   يســـــوغ شـــــراب أو يلـــــذ مصـــــاغ
عســـى توبـــة قبـــل الممـــات وزورة   فينضـــح مـــن شـــين الـــذنوب رداغ
وألقــي شــيوخا يــؤنس المــرء مــنهم   أحاديـــث صـــدق تجتلـــي وتصـــاغ[1]

ومن الشعراء أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي (528-609هـ/1133-1212م) بربري من قبيلة جراوة[2] من أحد أفخاذها بني غفجوم كانت منازلهم بتادلا[3]، كان الجراوي شاعرا فحلا من شعراء البلاط المراكشي، في الوقت الذي كانت البلاد تعجّ بالشعراء الفحول ذوي المواهب الكبيرة لكنه تفوق عليهم وكسب ثقة السلطان الموحدي درس الشاعر بمراكش وفاس والأندلس وأخذ ثقافة العصر المتمثلة في حفظ القرآن والأحاديث النبوية واللغة العربية وكان من بين شيوخه الشاعر الأندلسي أحمد بن سيد الكناني، وكان أول اتصاله بعبد المؤمن كان سنة(553هـ/1187م) عندما مدحه برائية في استعمال العنصر العربي

[1] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 295./ حسن جلاب، الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، المرجع السابق، ص 120.

[2] وهم أبناء جراو الديرت بن جانا، وقد برز دور جراوة منذ بداية الفتح الإسلامي وذلك من خلال المقاومة التي تزعمتها هذه القبيلة بقيادة الكاهنة، وقد تفرق شمل جراوة وتوزعوا بين القبائل الامازيغية الأخرى في سواحل المغرب الأقصى، حيث أقاموا في المدينة المنسوبة إليهم ومنهم البطن المشهور بعلمائه وهم بنو غفجوم. للمزيد ينظر: بوزيان الدراجي، القبائل الامازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، د.ط، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج1، ص248/ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج8، ص ص 17، 18.

[3] الجغرافيون يصفون تادلا كسهل ويصفها حسن الوزان، أنها تُعد أحد الأقاليم السبعة التي تحتويها مملكة مراكش ثم يشير في مكان أخر من كونها من أجود السهول الممتدة ما بين المحيط الأطلس. للمزيد ينظر: حسن الوزان(ت957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، د.ط، د.د، الرباط، 1983، ص 176.

فقد قال فيه عبد المؤمن بن علي: "يا أبا العباس إنا نباهي بك أهل الأندلس" رغم قصر فترة التي كانت مع الخليفة عبد المؤمن[1].

وبتولي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي السلطة خلف أبيه وطد الشاعر علاقته بالسلطان وكان شاعره المبجل الذي يعتمده في حله وترحاله ورده على الخصوم من الشعراء الداخليين والخارجين فكان بحق شاعر المرحلة[2]

ولما تولى أبو يعقوب المنصور الخلافة، وجد الشاعر نفسه متبوئا مكانة علية لا يزعزعها أي شاعر موحدي، فقد أسند إليه المنصور مجالسة رسول صلاح الدين الأيوبي أبا الحارث عبد الرحمان بن منقذ لأنه لم يجد شخصية تليق بالاستقبال غير الجراوي[3].

ومن قصائده في مدح المنصور أثناء توليه الخلافة وانتصاره على مناوئيه الذين رغبوا في الحكم، كأبي حفص عمر وسلمان عمه، لينتقل بعدها إلى تبيان التعدي الذي كان من علي بن إسحاق[4] على الموحدين واعتدائه على مناطق نفوذهم، وكانت نهايته وخيمة على أنصاره الذين غرر بهم ليختم القصيدة بدعاء النصر للخليفة الموحدي.

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 112. حسن جلاب، الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، المرجع السابق، ص 121.

[2] حسن جلاب، الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، المرجع السابق، ص 122.

[3] نفسه، ص 122.

[4] يُعتبر علي بن إسحاق بن غانية رابع حكام بني غانية وأمير الجزائر الشرقية بعد أن خلع أخيه محمد بن إسحاق بن غانية الذي اعترف بطاعة الخليفة الموحدي والدعوة له في الخطبة فهذا الأمر لم يروق لأخوته وخلعوه وعينوا علي الذي زاد في تصعيده ضد الدولة الموحدية وهاجموا افريقية بجاية والجزائر بني مزغنة ومليانة ومازونة وأشير وقلعة بني حماد بعد هذه السيطرة بعث الخليفة المنصور بجيوشه لإعادة فتح المدن المسلوبة وتم له ذلك وتراجع إلى الصحراء وبلاد الجريد.

لِـــواؤك منصـــور وســـعدك غالـــب　　　وحزبـــك للأعـــداء عنـــك محـــارب
لقـــد ثكلـــت أم المنـــاوئ وغـــررت　　　مبـــادئ مـــن أحوالـــه وعواقـــب
ســـما الاســـتراق الســـمع مـــن وهداتـــه　　　ودون ســـماء الملـــك شـــهب ثواقـــب
مغيـــب وجـــه الـــرأي والوجـــه حـــائر　　　يـــرى حاضـــرا فـــي أمـــره وهـــو غائـــب
دعـــاهم إلـــى آجـــالهم فتهـــافتوا　　　كمـــا جمـــع الأعـــواد للنـــار حاطـــب
هـــو الأمـــر أمـــر الله لـــيس يفوتـــه　　　منـــاو لا ينـــأى عليـــه مناصـــب
لـــــه نســـــبة قيســـــية قرشـــــية　　　تقـــر لهـــا بالمعلومـــات المناســـب
حقيـــق بمـــراث النبـــوة والهـــدى　　　ولا عجـــب أن المزايـــا مواهـــب
يقـــيم أميـــر المـــؤمنين وســـعدكم　　　وتهزقنـــي منـــه وتنضـــى قواضـــب[1]

ومن قصائده الرائية المشهورة في ذكر معركة الأرك[2] الخالدة بين الموحدين والاسبان الذين وصلوا إلى الجزيرة الخضراء فبعثوا برسالة إلى المنصور مستفزا إياه فرد عليه ابن الخليفة محمد قال الله العظيم: "ارجع إليهم فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون" صدق الله العظيم ، فندب المنصور الجيوش للمعركة التي وقعت بين مملكة قشتالة وأرض الأندلس، ذلك عام (591هـ/1195م) وحقق الموحدين فيها نصرا مؤزرا يوازي انتصار المرابطين في معركة الزلاقة فكان للشاعر الجراوي نصيبا منه ظهر في شعره:

---

[1] حسن جلاب، الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، المرجع السابق، ص 119.

[2] وقعت معركة الارك في سنة (591هـ/1195م) نسبة إلى قلعة الارك بين قوات الموحدين بقيادة السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور وقوات ملك قشتالة ألفونسوا الثامن وكان للمعركة دور كبير في توطيد حكم الموحدين بالأندلس وتضاهي المعركة معركة الزلاقة التي وقعت في عهد المرابطين.

هو الفتح أعيا وصفه النظم والنثرا ... وعمت جميع المسلمين له البشرى

ونجد في الدنيا وغار حديثه فراقت ... به حسنا وطابت به نثرا

تميز بالأحجال والغرر التي ... أقل سناها يبهر الشمس والبدرا

وسهلت المرقى إليه صوارم كثير ... بها القتلى قليل بها الأسرى

واثمره الصبر الذي لم تزل به ... حماة الهدى والدين تستنزل

لقد أورد الأدفتش شيعته الردى ... وساقهم جهلا إلى البطشة الكبرى

حكى فعلة إبليس بأصحابه الآلي ... تبرا منهم حين أوردهم بدرا

اطارته شدات تولى امامها ... شريدا وانسته التعاظم والكبرا

وأسلم مما اثلثه جدوده ... نجوم قلاع تزحم الأنجم الزهرا

من نيرات الزهر ضوءا ورفعة ... وإن لم يسموها سماكا ولا نسرا

تعوذ من الركض الحثيث من ... فلو سابق الأرواح غادرها حسرى

رأى الموت للأبطال حوليه ينتقي ... فطار إلى أقصى مصارعه ذعرا

وقد أوردته الموت طعنة ثائر ... وآن لم يفارق من شقاوته العمرا

ما صبر من أفنى الزمان حماته ... وجرعه من فقد أنصاره صبرا

حكت أخت صخر في الرزايا ... كما قد حكا أبطالهم في الردى صخرا[2]

ذكرنا نموذجين من شعر أبو العباس الجرواوي وله ديوان شعري في مسايرة الدولة الموحدية متعدد الأغراض، وقد انتصر في شعره للعقيدة الموحدية والالتزام اتجاه الدولة بالتعظيم والتضخيم، وجاءت قصيدته مجانسة للحضارة الموحدية عموما ونتيجة اهتمام

---

[1] حسن جلاب، الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، المرجع السابق، ص 142.

[2] نفسه، ص 142.

الشاعر ببعض العلوم لاح انعكاسها على شعره هذا مظهرا من مظاهر التفتح العلمي الذي عرفه الموحدون[1].

ومن شعراء عصر الموحدي الذين تأثروا بالفكر الموحدي، أبو عبد الله محمد بن حسين بن حبوس الفاسي مولى بني أبي العافية، الذين ملكوا المغرب الأقصى وأصلهم من تازا ولد الشاعر سنة (500-570هـ/1106-1174م) بفاس ونشأ فيها ووصفه الصفدي: "ببديع النظم سائر القول امتدح الأمراء واشتهر"[2] تميّز بالشعر وكان يتقن الفقه وكان من شعراء دولة المرابطين مافتئ أن هرب إلى بلاد الأندلس بسبب حمقاته وعدم مسايرته لهم وفكره الحر الذي دفعه إلى الثورة ضد الجمود المرابطي بصفة عامة وتحجر عقلية الفقهاء بصفة خاصة، ولما ظهرت الدعوة المهدية كان من أوائل من ناصره لذا "وصف بشاعر الخلافة المهدية الموحدية، له ديوان شعر جمعه بعض اصحابه مما بقي محفوظا منه"[3] إلى غاية توطد حكم الموحدين على يد عبد المؤمن بن علي، وكانت أول قصيدة قالها في فتح بجاية مطلعها ومن قصائده:

مـــن القـــوم بـــالغرب تصـــغي   إلـــى حـــديثهم أذن المشـــرق

---

[1] حسن جلاب، الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، المرجع السابق، ص 142.

[2] أبو الصفاء خليل بن أيبك صلاح الدين الصفدي(ت764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تح: محمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان، ط2، جمعية المستشرقين الألمانية، د.م،1962، ج3، ص 16.

[3] التجيبي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، المصدر السابق، ص 91.

وكان يعرف بشاعر الخلافة المهدية، لأنه كان مخلصا منافحا على الدعوة المهدية ومن قصائده التي أنشدها بمناسبة نصر عبد المؤمن بن علي وتحريره لمدينة المهدية من الروم سنة 555هـ قائلا:

بلــغ الزمـــان بهــديكم مـــا أمـــلا	وتعلمـــــت أيامـــــه أن تعـــدلا
وبحســـبه أن كـــان شـــيأ قـــابلا	وجـــد الهدايـــة صـــورة فتشـــكلا
فلأنـــتم الحـــق الـــذي يمتـــرى	فيـــه ولـــيس بجـــائز أن يجهـــلا
ولأنـــتم ســـر الإلـــه وأمـــركم	مـــلأ العـــوالم مجمـــلا ومفصـــلا
عزلـــت ولاة الحســـن عـــن إدراكـــه	فهـــو المنـــزه حســـبه أن يعقـــا
كـــاثرتم زهـــر النجـــوم أســـنة	وأدرتـــم فلكـــا عليهـــا القســـطلا
ومنعـــتم الـــريح الهبـــوب لأنكـــم	أرســـيتم الحلـــق المضـــاعف أجـــبلا
صـــدت تمشـــي القهقـــرى ولـــو أنهـــا	خاضـــت رمـــاحكم لعـــادت مـــنخلا[1]

ومن الشعراء أبو عمر بكر بن خلف بن سعيد بن عبد العزيز بن كوثر الغافقي، الذي ذكرناه في الفقهاء وله قصيدة في العمل بالأحاديث والتعويل عليه وإطراء الرأي واجتناب العمل قصيدة طويلة رواها عنه عبد الله بن بكر، وقد سمعها ابن الآبار من بعض أصحابه في مسجد اشبيلية، وكان من السامعين أبو علي الغساني بكر بن خلف بن محمد بن كوثر العبدري[2].

---

[1] عبد الله كنون ،النبوغ المغربي في الأدب العربي، المرجع السابق، ص 102.

[2] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 177.

ومن الشعراء الشاعر الصوفي الكبير صاحب التآليف الكثيرة والمتنوعة وصاحب فكرة وحدة الوجود محيي الدين بن عربي الذي سبق التعريف به في الفصل السابق.

يعتبر ابن عربي أهم صوفية المغرب الإسلامي صاحب نظرية وحدة الوجود وهي الفكرة التي ناد بها في خطابه الشعري، وقد أشار بن عربي إلى هذا المذهب في فتوحاته حين قال:"سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها"[1] وقال شعرا تعبيرا لهذه المقولة:

فمـــا أنـــا فـــي الوجـــود غيـــري فمـــا أعـــادي ومـــا أوالـــي
فـــإنني مـــا عشـــقت غيـــري فعـــين فصـــلي هـــو اتصـــالي[2]

يُعد بن عربي أحد من وضع أسس وحدة الوجود في التصوف الإسلامي وهو مذهب يقوم على دعائم ذوقية أساسا كما يؤمن ابن عربي في نظريته في الوجود بالفيض أي بأن الله أبرز الأشياء من وجود علمي إلى وجود عيني ويفسر بن عربي وجود الموجودات بالتجلي الإلهي الدائم[3].

---

[1] محيي الدين بن عربي(ت638هـ/1240م)، كتاب الخلوة، تح: بكري علاء الدين، د.ط، د.د، د.م، ص 36.
[2] محيي الدين بن عربي(ت638هـ/1240م)، الديوان الكبير، د.ط، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، 1954، ص 34.
[3] محمد علي حاج يوسف، شمس المغرب سيرة الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي ومذهبه، ط1، للدراسات والترجمة والنشر، حلب، 2006، ص 11.

وهذه الفكرة ليست بالجديدة لدى المتصوفة فقد سبق انتشارها في المشرق، ولابن عربي سلف في ذلك وهو الحلاج[1] (أنا الحق) التي لم يتراجع عنها حتى صلب والشاعر هنا يربط بين تجربته الشعورية وتجربته الصوفية في قالب شعري يجمل فيه مذهبه في الحلول والاتحاد حيث قال:

فـأنظره فـي شـجر وأنظـره فـي	وأنظـره فـي كـل شـيء ذلـك الله
كـل الأسـامي لـه إن كنـت تعقلـه	هـو المسـمى بهـا فكـا الله[2]

تعتبر التجربة الصوفية بشكل عام تجربة ذوقية تعتمد الكشف كمصدر للمعرفة، ورغم لحظات الانبساط التي يعيشها الصوفي في كنف ربه ينهل صافي المعرفة إلا أنه ما ينتابه شعور يحس فيه أن الطريق الصحيح هو ذلك الطريق المبني على التسليم بأوامر الشرع على ظاهرها دونما حاجة إلى الخوص في الأفكار وإتباع الأسانيد نلتمس هذا من قوله وهو يحن إلى دين العجائز:

ديـن العجـائز[3] مأوانـا ومـذهبنا	وهـو الظهـور بـه فـي كـل معتقـد
بـه أديـن الله فـإن الله رجحـه	علـى التفكـر فـي كشـف وفـي سـند[4]

---

[1] هو الحسين بن منصور بن محمي بن عبد الله ويقال أبو المغيث الفارسي البيضاوي الصوفي صحب سهل بن عبد الله التستري وصحب ببغداد الجنيد، وأبا الحسين النوري، وصحب عمرو بن عثمان المكي. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، ص 314.

[2] ابن عربي، الديوان الكبير، المصدر السابق، ص 216.

[3] دين العجائز أو مذهب العجائز هي عبارة ترددت على جماعة المتكلمين منهم: أبو المعالي، وأبا الوليد بن أبا الكرابيسي والشهرستاني الذي قال:"عليكم بدين العجائز فإنّه اسنى الجوائز" وابن رشد الحفيد، وغيرهم.

[4] ابن عربي، فصوص الحكم، المصدر السابق، ص 48.

مع إقراره بهذا فهو لا يتخلى على ما أوتي عن طريق الكشف، فهو علم من العلوم التي يمن الله بها على عباده الصالحين لذا فهو يقوم بنشرها بين الخلق، مما جعله يتنقل بين الأمصار ويقول :

علـوم لنـا فـي عـالم الكـون قـد سـرت ... مـن المغـرب الأقصـى إلـى مطلـع

تجلـى بهـا مـن كـان عـاقلا مجـردا ... عن الفكر والتخمين والوهم والحـدس[1]

والخلق عند ابن عربي بالنسبة إلى الله ظل لا حقيقة له إلا بمقدار ما يفيض على الظل من صاحب الظل، وهم السبيل الوحيد لمعرفة الخالق، ومما انشده حول هذه الفكرة قوله:

تترهـت ذات مـن قـد حـار طالبهـا ... سـبحانه جلـى أن تحظـى بـه الفكـر

هـو الوجـود الـذي فـي كونـه سـند ... لخلقـه ولـه سـمع وهـو البصـر

إنـي لعبـد لمـن كانـت هويتـه عينـي ... ومـا أنـا عـين الحـق فـاعتبروا

لـو كنتـه لـم أكـن بـالعجز متصفـا ... عن كـون مـا تظهـر الأسباب والقدر

إنـي لعبـد فيـر فـي تقلبـه هـذي ... نعـوتي أمـا اسـمي هـو البشـر

ووالـدي آدم والكـل متصـف ... بعجـزه الـذي إليـه يفتقـر

فغـايتي الفقـر والتنزيـه غايتـه ... عـن غـايتي والغنـى هـو الـوزر

أعطيتـه الوصـف مـن أتـي فلـي ... شـرف بـه تترلـت الآيـات والسـور[2].

---

[1] ابن عربي، فصوص الحكم، المصدر السابق، ص 48.

[2] ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق، ج2، ص 502.

وفي الشعر جُمعت دواوين كثيرة، مثل ديوان بن حبوس الفاسي، وديوان عتيق بن علي الصنهاجي، وديوان سلمان بن عبد الله بن عبد المؤمن، وديوان أبي العباس الجراوي، وديوان بن خبازة وغيرها كثير، وكان للمنصور الموحدي دور في كيل المغاربة إلى البحوث القصيرة إذ أنه كان يقترح على الشعراء عروضا يسمى الخبب وممن برع في ذلك بن حزمون وأبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الجياني[1].

ثانيا: انتشار الموشحات والأزجال في العهد الموحدي

ازدهر فن التوشيح في عهد الموحدين وكان محببا عند الحكام من أمثال الناصر والمرتضى، وعند الأفراد من أمثال أبو علي القصري[2]، الذي اقترح موشحة على الشاعر الأندلسي الكبير بن الهيثم الإشبيلي(ت630هـ/1232م) من طلائع المهتمين بالموشحات علي بن إبراهيم بن سعد البلنسي[3]، ويوسف بن أحمد بن على المريبطري، وأبو بكر بن زهر الحفيد، وابن حزمون وكان نصيب أشبيلية من التوشيح والوشاحين وفيرا ومتميزا، وقد ساعد على ذلك وفرة الغناء والموسيقى وتعدد المتنزهات وسلوكيات المجتمع الاشبيلي الذي كان ساحة للهو واللعب والسرور والطرب، وقد حدثت مناظرة بين ابن رشد الحفيد وابن زهر الحفيد بحضرة المنصور حول المفاضلة بين قرطبة واشبيلية، وذكر ابن رشد أن المطرب إذا

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 354.

[2] هو الشيخ الفاضل العارف العابد الزاهد الولي أبو عبد الله بن علي القصري أحد خواص الشيخ أبي الحسن الحرالي، كان عالما بالفقه والأصول بارعا في علم العربية متقدما في علم التصوف، سيدا في طريق الانقطاع والعبادة متواضعا موصوفا بالعبادة. للمزيد ينظر: الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 186.

[3] علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاري أبو الحسن(510-571هـ/1116 1175م) من أهل بلنسية ولد بها له مختصر العقد "مشاهير الموشحات بالأندلس"

مات بقرطبة حملت آلاته لتباع في أشبيلية أما العالم إذا مات بأشبيلية فتحمل كتبه لتباع في قرطبة[1].

كما ازدهر الزجل في عهد الموحدين، وكان عبد المؤمن بن علي يباري الزجالين في إنشاد الزجل، ومن الزجالين علي بن حجدر الذي وصف انه إما الزجل في عصره وابن ناجية اللورقي[2] الذي وصف من أئمة الزجالين وأنه شيخ الزمان وخليفة الإمام ابن قزمان وقد حرص الموحدون على أن يكون الشعر في قالب عن الإباحة والتشبيب بالنساء وما إلى غير ذلك سيرا على نهج ابن حزم الذي وضعه من قبل،[3] فهذا عبد المؤمن بن على لما انشد احد العلماء في مجلسه أبياتا يتغزل فيها في فتى من أهل اغمات منعه عبد المؤمن من حضور مجلسه وصرف بنيه على القراءة عليه، وتشدد يوسف بن عبد المؤمن فاعتبر من يسلك هذا المسلك من الفساق وضربهم بالسياط[4].

وكذلك كان المنصور الموحدي، ورغم ذلك نجد من الشعراء من تغزل بالمذكر ومنهم من شبب بالمرأة ووصفها وصفا حسيا، ومنهم من تغنى بالخمر ويبدو أن ذلك كان في فترات ضعف الدولة[5].

---

[1] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 155.

[2] من الأئمة الزجالين كان رقاما بالمرية، وقال في ذكره الدباغ في كتاب الأزجال شيخ الزمان وخليفة الإمام بن قزمان وأنشد له قولا من الزجل: كلما ذكرت فيه ...والذي بقي لي أبدع. للمزيد ينظر: أبو الحسن بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق، ج2، ص 283.

[3] السيد عبد الباقي عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 354.

[4] نفسه، ص 355.

[5] نفسه، ص 355.

وكما كان أهل المغرب يحبون التوشيح وكان الاهتمام به عند ملوك الموحدين، وقد مُدح به الناصر منهم، مدحه به أبو الحجاج يوسف بن احمد بن علي المريبطري وأهدى كثير من الأدباء للمرتضى الموحدي من أواخر ملوكهم تأليفا يتضمن الكثير الطيب من التوشيح[1].

ثالثا: ثورة الظاهريين في النحو خلال العهد الموحدي

لم يقتصر تأثير المذهب الظاهري في العهد الموحدي على الفقه فقط، بل تعداه إلى علوم اللغة العربية وكان العلماء متأثرين بالمذهب الظاهري: الذي كان يأخذ بظاهر النص ولا يتعمقون في معانيه، وهنا بدأت فكرة الثورة على النحو تظهر بالأندلس فخرجت جيلا من علماء اللغة حاولوا التغيير في صياغة النحو ومحو جميع تعقيداته كما زعموا في محاولة لتيسيره وجعله مادة علمية سهلة المنال وبخاصة لطلاب العلم، الذين لا يتقنون اللغة العربية ومن ابرز هذه الثورات ثورة ابن حزم الأندلسي و ثورة ابن مضاء القرطبي.

وقد اهتمت الدولة الموحدية بعلوم اللغة كاستكمال لمشروعهم الطموح، الذي كان يهدف إلى إعادة الاعتماد على الأصول وترك ما دونها والذي ما هو إلا إعادة للنهج الظاهري[2].

ومن ثم نجد أن حكام الدولة الموحدية كانوا من المهتمين بالعلوم اللسانية مثل اهتمامهم بعلوم الشرع ويستخرج منها الأحكام، لذا نجد يوسف بن عبد المؤمن بلغ في اللغة والنحو مبلغا عظيما حتى كان من أحفظ الناس للغة وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو وأعرف الناس بكلام العرب، وكان كل من عبد المؤمن بن علي وحفيده المنصور

---

[1] المنوني، المرجع السابق، ص 147.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 349.

أديبا بارعا، ويكفي للتدليل على عظمة النهضة الأدبية في عهد الموحدين أن عبد المؤمن بن على كان يقيم ندوات أدبية يتبارى فيها الأدباء المغاربة والأندلسيون[1]، واجتمع لابنه عثمان من وجوه الشعراء وأعيان الكتاب ما لم يجتمع لأحد من بعده، وكانت الشعراء في عهد المنصور لا يمكن للواحد منهم أن ينشده إلا البيتين أو الثلاثة لكثرتهم، وكانت رقاع القصائد تحول بين المنصور وبين من أمامه لكثرتها[2].

كما تجدر الإشارة أن النحو بلغ غاية في قرارة حكام الموحدين الظاهرية، باعتباره أداة لتقويم اللسان، ومن ثمة اهتموا بإحضار المؤدبين لأبنائهم وتربيتهم على النطق السليم الصحيح، وكان على رأس من يدرس لأولاد عبد المؤمن وأحفاده ابن مضاء النحوي الظاهري الذي كانت تدرس كتبه النحوية للطلبة في المدارس والمساجد، وقد ترتب على عناية الموحدين بالنحو أن ظهرت عدة مدارس نحوية، مثل مدرسة فاس ومدرسة سبته ومدرسة تلمسان ومدرسة طنجة ومدرسة اشبيلية [3].

وقبل الخوض في الأدب الظاهري والتعريف بعلمائه في العهد الموحدي وطريقة تأليفهم لابد من التعريف للأدب عند ابن حزم زعيم المدرسة الظاهرية في المغرب والأندلس بلا منازع، لأن الأدباء الظاهريين في ثورتهم كانوا عيال على ابن حزم كما قال الخليفة المنصور الموحدي.

---

[1] المنوني، المرجع السابق، ص 137.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 349.

[3] عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، المرجع السابق، ج1، ص 126.

أثّر المنهج الظاهري على بن حزم في كافة أنحاء حياته العلمية فكان الأدب جزءا منها فكانت الظاهرية بادية في شعره ونثره فقال في أبيات مداعبا بها صديقه ابن عبد البر:

وذي عــذل فــيمن ســباني حســنه يطيـل ملامـي فـي الهـوى ويقـــول
أمـن اجـل وجـه لاح لـم تـر غيـره ولـم تـدري كيـف الجسـم أنـت عليـل[1]

فقلت لـه:

أســـرفت فـــي اللـــوم فاتئــــد فعنـــدي رد لـــو أشـــاء طويـــل
الـــم تـــرى أنـــي ظـــاهري وأنـــي علـــى مـــا أرى حتـــى يقـــوم دليـــل[2]

فلم يستطع التخلي عن ظاهريته في شعره وأدبه ولا يستطع فكاكا منها في العلوم والمعارف من باب أولى.

كان ابن حزم إماما في العربية قبل أن يكون إماما في الفقه، فقد بدأ حياته أديبا ثم انتهى فقيها وكان كل شيء يبشر أن حياة بن حزم ستكون للأدب الخالص، لولا أن قدر الله جعل منه عالما في الشريعة وعلومها، وإماما حمل لواء المذهب الظاهري في الغرب الإسلامي فكان عالمه الأوحد الذي تفرد بعبء توطيده وحمايته فلم يلحقه في ذلك لاحق ولم يبلغ شأوه في سابق[3].

---

[1] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص 83.

[2] نفسه، ج2، ص 83.

[3] سعيد الأفغاني، نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي، ط2، دار الفكر، بيروت، 1969، ص 13.

يُعتبر ابن حزم أول من شق الطريق لظهور المدرسة النحوية الظاهرية، التي لم يكتب لها النجاح حتى عصر بن حزم، ولم تكن الدراسات في المغرب والأندلس لتختلف كثيرا عن مثيلاتها في المشرق، حتى جاء ابن حزم فكان أول من فتح باب الهجوم على العلل في النحو التي تعتبر العمود الفقري للنحو العربي يقول: "إن علم النحو يرجع إلى مقدمات محفوظة عن العرب الذين نريد معرفة تفاهمهم للمعاني بلغتهم إما العلل ففيه فاسدة جدا"[1].

لقد تغلغل المذهب الظاهري في بلاد المغرب، واستبد بعقولهم وأفكارهم، حتى قال إمام النحاة بالمغرب والأندلس المفسر الظاهري أبو حيان الغرناطي، لما سُئل هل تخلى عن مذهب الظاهرية بعد دخوله مصر: "محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه"[2].

وواضح من هذه العبارة أن مذهب ابن حزم في النحو، قائم عن اللغة المسموعة والمحفوظة عن العرب لا على العلل الفاسدة جدا، كما قال وهو عين ما قال به ابن مضاء فيما بعد والأصل الذي بنى عليه كتابه الرد على النحاة [3].

وخلاصة النظرة الظاهرية إلى اللغة عند ابن حزم، تقوم على تقديس النص والخضوع لموجبات لغة العرب في فهم الشرع، وأن أي خرق للنص اللغوي يعتبر خرقا للنص الشرعي فلا ينبغي أن نأخذ من مدلول الكلمة إلا ما أجازته اللغة، وهو أحد معاني الأخذ بالظاهر عند الظاهرية وفي ذلك يقول: "ولا سبيل إلى نقل مقتضى اللفظ عن موضعه الذي رتب

---

[1] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي(ت456هـ/1064م)، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تح: أحمد فريد المزيري، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.س، ص 187.

[2] شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المصدر السابق، ج4 ، ص 304.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 743.

للعبارة عنه وإلا ركبت الباطل وتركت الحق وجميع الدلائل تبطل نقل اللفظ عن موضعه في اللغة ولا دليل صحته أصلا"[1].

ثم رأى ابن حزم أن الذي أفسد اللغة والنحو، هو علل النحاة وأقيستهم التي سبق أن أفسدت الفقه أيضا، فلذلك اشتد في الحكم عليها كل الشدة واعتبرها كلها فاسدة لا يرجع منه شيء إلى الحقيقة البته وإنما الحق من ذلك أن هذا سمع من أهل اللغة الذين يرجع إليه في ضبطها ونقلها وما عدا هذا –نحكم فاسد متناقض– أيضا كذب لأن قولهم كان الأصل كذا فأستثقل فنقل إلى كذا... شيء يعلم كل ذي حس أنه كذب لم يكن قط ولا كانت العرب عليه مدة ثم انتقلت إلى ما سمع منها بعد ذلك[2].

وهكذا نقل ابن حزم المذهب الظاهري من ميدان الفقه إلى ميدان النحو، وفتح على نفسه جبهة ثانية تعرض فيه إلى حملات خصومه ومخالفيه من أنصار النحو صاروا يتربصون به المزالق واللحون في العربية ليشنعوا عليه، فكان الصراع في المجال الفقهي والمجال النحوي الذي يُعد أقل حرارة من الأول لأنه خالي من التكفير والتزندق وإخراج من سنة أو جماعة[3] .

ودليل ابن حزم على فساد علل النحاة وأقيستهم أنه يقول لمن قال" إنما سميت الخيل خيلا لأجل الخيلاء التي فيها وإنما سمي البازي بازيا لارتفاعه والقارورة قارورة لاستقرار الشيء فيها والخابية خابية لأنها تخبئ ما فيها انه يلزمك في هذا وجهان ضروريان لا

---

[1] ابن حزم، التقريب لحد المنطق، المصدر السابق، ص 188.

[2] نفسه ، ص 189.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 744.

انفكاك لك منهما البتة احدهما أن تسمي رأسك خابية لأنك دماغك مخبوء فيه وأن تسمي الأرض خابية لأنها تخبء كل ما فيها وأن تسمي أنفك بازيا لإرتفاعه وأن تسمي السماء والسحاب بازيا الارتفاعهما وكذلك القصر والجبل وأن تسمي بطنك قارورة لان مصيرك مستقر به وأن تسمي البئر قارورة لأن الماء مستقر فيها وأن تسمي المستكبرين من الناس خيلا للخيلاء التي فيهم ومن فعل هذا لحق بالمجانين المتخذين لاضحاك سخفاء الملوك في مجالس الطرب وصار ملهى وملعبا وضحكة يتطايب بخبره وكان بالرحمة ومدواة الدماغ أولى منه بغير ذلك فإن أبى ترك اشتقاقه الفاسد"[1].

الوجه الثاني: أن يقال اشتققت الخيل من الخيلاء أو القارورة من الاستقرار والخابية من الخبء، فمن أي شيء اشتققت الخيلاء والاستقرار والخبء وهذا يقضي الدور الذي لاينفك منه وهوان يكون كل واحد منهما اشتق من صاحبه وهذا جنون أو وجود أشياء لا أوائل لها ولا نهاية وهذا مخرج إلى الكفر والقول بأزلية العالم ومع أنه كفر فهو محال ممتنع وأيضا: فإذا بطل الاشتقاق في بعض الأسماء كلف من قال به في بعضها أن يأتي ببرهان وإلا فهو مبطل[2].

ولو كان ما قالوا لكانت الأسد أولى أن تسمى خيلا، لأنها أكثر خيلاء من الخيل ولكانت النسور أولى أن تسمى بزاة من الصقور، لأنها اشد ارتفاعا منها وقد عارضت بهذا وشبيه هو أذكر من لقينا من شيوخنا في اللغة، وهو أبو عبيدة حسان بن مالك رحمه الله

---

[1] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام ، المصدر السابق، ج8، ص 94.

[2] نفسه، ج8، ص 95.

فيما وجدت عنده مدافعا ولا اعتراضا، وكان رحمه الله النهاية في علم اللغة مع تحرية فيما يورد منها وتثبيته وشدة إنصافه[1].

وهذا النص الطويل لابن حزم يقفنا على منهجه وطريقته في رفض القياس والتعليل والاشتقاق في النحو واللغة، كما في الفقه والشريعة، وهو المنهج الذي يلتمس بعض خيوطه البليغة عند ابن مضاء ونظراته في النحو واللغة، وقد استفاد من المنهج الظاهري في رفضه للعوامل والعلل والاقيسة في النحو على غرار المذهب الظاهري في إنكار القياس الذي لم يستند إلى دليل نصي[2].

وقد أحصى أحد الباحثين المحدثين مشاهير الأدباء في عهد الموحدين فوصلوا خمسين أديبا مشهورا، منهم ثلاثة عشرة من الطبقة الحاكمة، فقد برع في اللغة من علماء الظاهرية أبو الخطاب بن دحية الكلبي وأخوه أبو عمر بن دحية [3].

وكان أبو الخطاب ابن دحية يسعى للإنفراد بنوع من اللغة يشتهر به ومن ثمة قال عنه الغبريني: " كان من أحفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا عليه ولا يحفظ الإنسان من اللغة حوشيها إلا وذلك أضعاف أضعاف محفوظه من مستعملها وكان قصده أن ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره من الناس كما فعل كثير من الأدباء حتى تركوا طريق المغرب وانفردوا بالطريق الأخر لأنهم انفردوا به واشتهروا فيه"[4].

---

[1] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 746.

[2] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 746.

[3] المنوني، المرجع السابق، ص 44.

[4] الغبريني، عنوان الدراية ، المصدر السابق، ص 270.

كما شارك أبو الخطاب ابن دحية في الأدب بكتابه الشهير المطرب في أشعار أهل المغرب وأخوه عثمان بن حسن بن دحية بن خليفة الظاهري، كانت له رسائل استعمل فيها حوشي اللغة وكان من أئمة اللغة حتى لقب باللغوي لكنه أولع بالتقعير في كلامه ووسائله فمقت[1].

فمن أعلام النحو بالمغرب إبان العصر الموحدي، أبو البركات عبد الرحمان كمال الدين بن محمد الانباري(ت577هـ/1181م) من أوائل من صنف في أصول النحو كتاب سماه "لمع الأدلة في أصول النحو"[2] حذا فيه حذو علماء أصول الفقه وقرر بصراحة أنه ألف أصول النحو على حد أصول الفقه فإن بينهما من المناسبة ما لا يخفى لأن النحو معقول من منقول، كما أن الفقه معقول من منقول ويعلم حقيقة هذا أرباب المعرفة بهما[3].

ويعرّف أصول النحو بقوله" اعلم أن أصول النحو هي أدلة النحو التي تفرعت عنها فروعه وفصوله كما أن معنى أصول الفقه التي تفرعت عنها جملته وتفصيله"[4].

---

[1] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 334.

[2] يتناول هذا الكتاب عدة فصول: الفصل الأول في السؤال، الفصل الثاني في وصف السائل، الفصل الثالث في وصف المسؤول به، الفصل الرابع في وصل المسؤول منه،الفصل الخامس في وصف المسؤول عنه، الفصل السادس في الجواب، الفصل السابع في الاستدلال، الفصل الثامن في الاعتراض على الاستلال بالنقل، الفصل التاسع في الاعتراض على الاستدلال بالقياس، الفصل العاشر في الاعتراض على الاستدلال باستصحاب الحال، الفصل الحادي عشر في ترتيب الأسئلة، الفصل الثاني عشر في ترجيح الأدلة. للمزيد ينظر: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد بن الانباري(ت577هـ/1181م)، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، ط2، دار الفكر، بيروت، 1971، ص 40.

[3] أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد بن الانباري(ت577هـ/1181م)، نزهة الالباء في طبقات الأدباء تح: السامرائي، ط3، مكتبة المنار، الأردن، 1985، ص 170.

[4] الانباري، الأغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، المصدر السابق، ص 55.

وهكذا حاول ابن الانباري أن يضع للنحو العربي أصولا تماثل الأصول التي وضعها الفقهاء للفقه، فمضى يتأثر بهم في المنهج والمصطلحات بل في تعريف العلم نفسه وتسميته[1].

منهم ابن مضاء القرطبي هو أحمد بن عبد الرحمان بن محمد ابن مضاء بن عمير اللخمي القرطبي أبو العباس، ولد بقرطبة سنة (513هـ/1119م) أصله من قرية شذونة بالأندلس تلقى العلم على يد علماء قرطبة وتأثر بالمذهب الظاهري تابعا لشيخه بن حزم فأصبح فقيها ظاهريا وعالما بالطب والهندسة والحساب واللغة العربية والشعر وأخبار العرب انتقل إلى المغرب فأخذ الحديث عن القاضي عياض اليحصبي[2] وأكثر من الرواية عن شريح الرعيني وابن العربي المالكي[3]، وحصل العربية على ابن بشكوال والسهيلي، ومن تلاميذه محمد بن محمد بن سعيد بن زرقون وابن حوط الله أبو سليمان وأبو محمد[4] وانتهى المطاف به أن أصبح حجة في الفقه الظاهري، وهو مذهب دولة الموحدين فولوه قضاء فاس ثم بجاية

---

[1] محمود أحمد نحلة، أصول النحو العربي، د.ط، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، د.م، 1987، ص 24.

[2] هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي،(476-544هـ/1083-1149م) رحل في طلب العلم وألّف تصانيف كثيرة ويعتبر من أهل التفنن والفهم له عدة مؤلفات منها الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، الغنية في شيوخ القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج2، ص 212.

[3] أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، أبو بكر بن العربي (468-543هـ/1069-1148م) من حفاظ الحديث رحل إلى المشرق وبرع في الأدب وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين له مؤلفات كثيرة منها: العواصم من القواصم، الناسخ والمنسوخ، الإنصاف في مسائل الخلاف عشرون مجلد. للمزيد ينظر: سعيد أعراب، مع القاضي أبو بكر بن العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 10.

[4] السيد عبد الباقي عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 167.

ثم ما لبث أن عينه الأمير يوسف بن عبد المؤمن أن جعله قاضي الجماعة في الدولة كلها وظل بمنصبه إلى أن توفي يوسف (ت595هـ/1199م)[1].

سلك بن مضاء في النحو قواعده مسلك المدرسة الظاهرية في الفقه وأصوله فكان أول من طبق أصول الظاهرية على علم النحو ومخالفا في ذلك مذاهب جميع النحاة منفردا بمذهبه غير مألوف عن أهل العربية، وفي هذا يقول ابن عبد الملك المراكشي كان مقرئا مجودا محدثا مكثرا واسع الرواية عاليها ضابطا لما يحدث به ذاكرا لمسائل الفقه عارفا بأصوله متقدما في علم الكلام ماهرا في كثير من علوم الأوائل كالطب والحساب و الهندسة حافظا للغات بصيرا للنحو مختارا فيه مجتهدا في أحكام العربية منفردا فيها بآراء ومذاهب شذ بها عن المألوف أهلها[2].

اجتهد ابن مضاء في وضع مذهب جديد في النحو كما اجتهد الموحدون في وضع مذهب جديد في الفقه والآراء والمذاهب، فلما شُرع الاجتهاد في الفقه ظهر مجتهد يريد هدم كتاب سيبويه والنحو المعهود، وكان النحاة قبل ابن مضاء جميعهم يدورون في فلك سيبويه فإن اجتهد أحد كإبن مالك وأبي حيان نسميه اجتهاد مذهب لا اجتهاد مطلق إنما الذي خرج واجتهد اجتهاد مطلق هو ابن مضاء الأندلسي القرطبي[3].

---

[1] الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، ج1، ص 146.

[2] المراكشي، الذيل والتكملة ، المصدر السابق، ج1، ص 217.

[3] توفيق أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 751.

ومن أجل إبراز المنهج الظاهري الجديد في النحو ألف ابن مضاء ثلاث كتب:

الأول: "المشرق في النحو" وهذا الكتاب تطبيق عملي للمذهب الجديد الذي ارتضاه في النحو والأصول اللغة التي كان يعتقدها[1].

الثاني: "تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان" وهو رد على النحويين أيضا وقد ناقضه في هذا التأليف معاصره أبو الحسن على بن محمد بن خروف (ت609هـ/1212م) والذي كان مقلدا في النحو لسيبويه ونحاة البصرة ورد عليه بكتاب سماه "تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطأ والسهو"، وذكر أن ابن مضاء لما بلغه مناقضه ابن خروف له قال "نحن لا نبالي بالكباش النطاحة وتعارضنا أبناء الخرفان"[2].

ثالثا: أما الكتاب الثالث فهو كتاب "الرد على النحاة" أو الرد على النحويين كما سماه السيوطي في بغية الوعاة[3] وهو الأثر الوحيد الذي وصل إلينا من تراث ابن مضاء وفيه أعلن ثورته على المشرق والنحو المشرقي التقليدي وعلى كتاب سيبويه ونحو البصرة والكوفة وقد بدا اثر المدرسة الظاهرية واضحا في الكتاب[4].

يُعد الكتاب تطبيق حرفي لأصول المذهب الظاهري على النحو العربي، وهو أمر انفردت به المدرسة الظاهرية المغربية واستقلت به واختصت به دون أختها المشرقية وخرجت بذلك عن مألوف أهل العربية وعما اعتاده النحاة، وقد وجد بن مضاء الأبحاث النحوية

---

[1] توفيق أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 752.

[2] ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، المصدر السابق، ص 47.

[3] جلال الدين السيوطي(ت911هـ/1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص323.

[4] ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، المصدر السابق، ص 8.

كأبحاث الفقه تتضخم بتقديرات وتأويلات وتعليلات وآراء لا حصرة لها، فمضى يهاجمها في ثلاث كتب هي "المشرق في النحو" و"تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان" و"الرد على النحاة" وهذا الأخير هو الذي انتهى إلينا من أثاره، وقد أُقيم الكتاب على أسس تعكس مذهب ابن مضاء الفقهي، و يمكن أن نوضح تلك القواعد على النحو التالي:

- **إلغاء العوامل النظرية ونظرية العامل:** بدأ بن مضاء ثورته هذه بإلغاء العوامل النحوية حيث يرى أنه لا فائدة من التدخل في العامل الذي يؤثر على الحركة فيجعلها في حالة رفع أو نصب أو جزم يقول بن مضاء: "قصدي من هذا الكتاب أن احذف من النحو ما يستغنى النحو عنه وأنبه على ما اجمعوا على الخطأ فيه"[1] ويقول ابن مضاء في النصب والخفض: "فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي وان الرفع منها يكون بعامل لفضي ومعنوي وعبروا عنه بعبارات توهم في قولنا (ضرب زيد عمرا) أن الرفع في زيد وزيد الذي في عمرو إنما أحدثه ضرب"[2] وقد ذكر سيبويه رحمه الله قال في صدر كتابه "الكتاب"[3] "وإنما ذكرت ثمانية مجاز لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه وبين ما بني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء، احدث ذلك فظاهر ذلك أن العامل احدث الإعراب وذلك بين

---

[1] ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، المصدر السابق، ص ص 76، 77.

[2] ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، المصدر السابق ، ص ص 76، 77.

[3] هو عمرو بن عثمان بن قنبر(135.-188هـ/ 752 796م)، عالم من علماء النحو اهتم بتعلم الفقه والحديث لمدة ثم انصرف إلى تعلم اللغة العربية فأتقنها وأبدع فيها، وله عدة تواليف أهمها كتاب "الكتاب" وهو هو كتاب جمع فيه سيبويه قواعد النحو والصرف، فحمله ونشره بين الناس تلميذه الأخفش سعيد بن مسعده، ومات سيبويه قبل الانتهاء من إخراجه بشكله النهائي فلم يتسنّى له أن يسميه، فسماه الأخفش "الكتاب" للمزيد ينظر: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت180هـ/796م)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، 1988، ص 5.

الفاسد"[1]. ومن هنا يُظهر ابن مضاء أن العوامل يجب الاستغناء عنها تيسيرا للنحو آخذا بذلك ظاهر النص، وأن العوامل غير بيّنة ولا يمكن التأكد منها.

- **إلغاء العلّة النحوية:** لقد كان المذهب الظاهري دائما يدعو إلى إلغاء العلّة الفقهية والتخلص منها، وكان بن حزم يصف العلة بالفساد الذي يجب أن نتخلص منه، وكذا يدعو بن مضاء إراحة الناس من العبث الذي يصيب جراء العلة الفقهية والنحوية عن طريق إلغائها نهائيا، لكنه دعا إلى الأخذ بالعلة الأولى فقط وإما غيرها فهو باطل في نظره وعلم لا يضر الجهل به وفي قوله: "أن يسقط من النحو العلل والثواني و الثوالث، وذلك مثل سؤال السائل عن زيد في قولنا (قام زيد) لِم رفع الفاعل؟ فيقال[2]: لأنه فاعل وكل فاعل مرفوع فيقول ولما رفع الفاعل؟؟؟ فالصواب أن يقال له: كذا نطقت به العرب ثبت ذلك بالاستقراء من كلام المتواتر[3].

- **إلغاء القياس:** تعتبر هذه الدعوة من دعوات الأساس التي دعا إليها ابن مضاء في نظريته العامة من أجل تسهيل النحو وتخليصه من التعقيدات، حيث يقوم على قياس عامل بعامل آخر، وهو ما رفضه جملة وتفصيلا على أساس انه رفض في البدء نظرية العامل فلا يقاس على الشيء إلا إذا كان حكمه مجهولا والمقيس عليه معلوم الحكم وكانت العلة الموجبة للحكم في الأصل موجودة في الفرع[4]، وهي قاعدة فقهية قبل أن تكون نحوية ويعود

[1] ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، المصدر السابق، ص ص 76، 77.
[2] نفسه، ص 77.
[3] ابن مضاء القرطبى، الرد على النحاة، المصدر السابق، ص 130.
[4] ابن مضاء القرطبى، الرد على النحاة، المصدر السابق، ص 130.

السبب في ذلك على حسب قول شوقي ضيف في مقدمة الكتاب" والعرب أمة حكيمة فكيف تشبه شيأ بشيء وتحكم عليه بحكمه وعلى حكم الأصل غير موجودة في الفرع"[1].

- **الاعتراض على تقدير العوامل المحذوفة:** استند ابن مضاء في هذه القاعدة على القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه فهو المصدر الأساس في العلوم النحوية وغيرها من العلوم الشرعية والقواعد الفقهية على اختلافها، فيرى ابن مضاء أنه حينما ترى أن القرآن فيه المحذوفات فقد خالفت ووقعت في الممنوع الذي يحشر صاحبه في النار، ومثله مثل الذي ينوي الزيادة في القرآن بلفظ كمن اعتقد أن القرين يعتريه النقص قال بن مضاء"[2]... ومما يدل انه حرام الإجماع وعلى انه لا يزاد في القرآن لفظ غير مجمع على إثباته وزيادة المعنى كزيادة اللفظ بل هي أحرى لان المعاني هي المقصودة والألفاظ دلالات عليها ومن أجلها"[3] . فابن مضاء رفض كل التقديرات والمحذوفات ووقف إلى جانب النص اللغوي، والتقديرات في نظره لا تستند إلى دليل علمي واضح بل هي ضرب من الظن والتخيلات، وفي هذه القاعدة بالضبط يظهر تأثر بن مضاء بالمذهب الظاهري الذي يرفض الزيادة في النصوص دون أي دليل وهو ما لا يقبله أهل الظاهر فالزيادة عندهم حرام[4].

---

[1] ابن مضاء القرطبى، الرد على النحاة، المصدر السابق، ص 09.

[2] بلقاسم بن عودة، الحركة العقلية في المذهب الظاهري وأثرها على اللغة على عهد ملوك الطوائف ابن مضاء القرطبي أنموذجا 511-592هـ/1118- 1196، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، مجلد الأول، العدد الثاني، سبتمبر 2018، ص 14.

[3] ابن المضاء القرطبي، الرد على النحاة، الرد على النحاة، ص 88.

[4] معاذ السرطاوي، ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، د.ط، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1988، ص 156.

• **إلغاء التمارين غير المفيدة وغير العملية:** دعا ابن مضاء في هذا المبدأ إلى جميع التمارين التي لا تفيد وتزيد من تعقيد النحو وتجعله صعب المنال، ويرى أن هذه التمارين ما تزيد إلا ثقلا للنحو وجهدا مضنيا وتعبا وعليه فإنه يجب أن نخلصه من كل هذه الرواسب لإعادته لمجده الأول[1]، وقد ساق ابن مضاء الكثير من آراء النحويين في هذا الباب وأوضح فسادها من وجهة نظره[2].

إن دعوة بن مضاء إلى إلغاء التمارين وتخليص النحو منها من الركائز الأساس التي تخفف النحو على المتعلمين لكي يتمكنوا من حفظ اللغة العربية، ودعوة واضحة لتقبلها وعدم النفور من الثقل الذي يصيبها وهذا ما يدعوا إليه الظاهريون في مذهبهم

• **الدعوة إلى كل مالا يفيد نطقا:** دعا ابن مضاء إلى إسقاط النحو إلى كل ما لا يفيد نطقا في شتى مراحل العملية التعليمة للنحو، كالتنازع الذي تركه لمقتضى الحال بدل الخوض فيه وسائر ما اختلف فيه النحاة مما لا يفيد نطقا، ويؤكد على احترام النص وعدم الخروج على ظاهره والاكتفاء بما قدمه النص فقط دون زيادة أو نقصان[3].

الظاهرية النحوية عند إبن حيان، كان ابن حيان الغرناطي ظاهري المذهب متعصبا لابن حزم الظاهري[4]، وثمة نحوي أندلسي أخر وهو محمد بن محمد بن سهل بن مالك أبو القاسم الازدي الغرناطي (ت730هـ/ 1330م) وهو غير ابن مالك صاحب الألفية المشهورة

---

[1] بلقاسم بن عودة، المرجع السابق، ص 14.

[2] ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، المصدر السابق، ص 142.

[3] ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، المصدر السابق، ص 147.

[4] تقي الدين المقريزي(ت845هـ/1442م)، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1991، ج7، ص 505.

في النحو كان ظاهري المذهب نقل ابن قاضي في طبقات الشافعية عن الشيخ كمال الدين الادفوي قال قرأ الفقه على مذهب الشافعي وكان يميل إلى مذهب أهل الظاهر[1].

وقال الحافظ الذهبي: "محمد بن محمد بن سهل بن مالك بن سهل الإمام العالم المقرئ المحدث النحوي المتفنن... من بيت سيادة ووزارة ولد سنة(672هـ/1273م) قدم علينا فقرأ الصحيحين وكان اثريا ظاهريا بصيرا بالعربية ويعلم الفلك له تقوى وكمال وعقل (ت730هـ/1330م) بمصر"[2].

تأثر ابن حيان بمنهج ابن مضاء الظاهري في النحو، لكن هذا الأثر لم يكن قويا شاملا لمذهب أبي حيان النحوي وإنما اخذ بطرف مهم منه مع استفادته من المدرسة المشرقية في النحو فكان بذلك وسطا بين منهج المشرق ومنهج ابن مضاء.

ذلك أننا نجد في كتبه مواضع يقف فيه مع ابن مضاء ويأخذ بآراءه، ومواضع أخرى يوافق فيها النحو المشرقي، فحاول أن يستفيد من المدرستين المشرقية والمغربية الظاهرية المتمثلة في شخص ابن مضاء، وقد تأثر ابن حيان بمنهج الظاهرية تأثرا واضحا في غير موضع من كتبه وتبويباته وتصانيفه العلمية منها.

بيّن بن حيان رأيه في نظرية إلغاء العامل في النحو العربي، كما دعا إلى ذلك ابن مضاء ولكنه دعا إلى إلغاء الخلافات في تقدير العامل لعدم ترتب فائدة أو حكم، فالعامل

---

[1] المقريزي، المقفى الكبير، المصدر السابق، ص 505.

[2] شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين، تح: محمد الحبيب العيلة، ط1، مكتبة الصديق، المملكة العربية السعودية، 1988، ص 257.

عنده موجود وله أثر لكنه لا يؤثر أثرين في محل واحد ثمّ إنه لا يجتمع عاملان على معمول واحد إلا في تقدير النحو[1].

وقد اختلف النحاة في العامل والمعمول، فذهب كل واحد منهم مذهبا فهذا يجعل العامل معنويا، وذاك يجعله لفظيا، وذاك يجعله ما قبله من فعلا أو كلام أو أداة، وقد دعا ابن مضاء كما تقدم إلى إلغاء العامل ليريح النحاة ودارسي النحو من التعقيدات والخلافات التي تبعث في نفس القارئ الضيق والضجر، أما أبو حيان فإنه كان يرمي إلى إلغاء الخلافات في تقدير العامل بين النحاة وتكرر ذلك عنده في عدة مواضع[2].

منها باب الفعل المضارع والرافع له، فبعد أن عرض خلاف النحاة حول عامل الرفع في الفعل المضارع أهو معنوي أم لفظي قال: "فهذه سبعة مذاهب في الرفع للفعل المضارع ذكر منها المصنف مذهبين... والكلام على هذه المذاهب بالاحتجاج له والإبطال يستدعي ضياع الزمان فيما ليس فيه كبير جدوى لأنه الخلاف في ذلك لا ينشأ عنه حكم نطقي والخلاف إذا لم ينشأ عنه حكم نطقي فينبغي أن لا يتشاغل به"[3].

وذهب إلى أبعد من ذلك في نهج السالك عند بحثه باب المستثنى، فصرح بما ذهب إليه ابن مضاء من أن الرفع والنصب والجر إنما هو للمتكلم لا لشيء غيره، يقول ردا على ابن مالك في قوله:" ما استثنت إلا مع تمام بتنصيب" وقوله "ما استثنت إلا" فيه تجوز لان إلا ليست التي تستثنى إنما يستثنى بها والمستثنى هو المتكلم[4].

---

[1] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 777.

[2] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 777.

[3] نفسه، ص 777.

[4] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 777.

الفصل الرابع:

موقف رجال الظاهرية من المالكية والفرق الإسلامية والمتصوفة وأهل الذمة

أولا: الصراع الفكري بين الظاهرية والمالكية

ثانيا: موقف رجال الظاهرية من الفرق الإسلامية ـ الشيعة ـ المعتزلة ـ الأشاعرة

ثالثا: موقف رجال الظاهرية من المتصوفة

رابعا: موقف رجال الظاهرية من أهل الذمة

الفصل الرابع: موقف رجال الظاهرية من المالكية والفرق الإسلامية والمتصوفة وأهل الذمة

أولا: الصراع الفكري بين الظاهرية والمالكية

1. تأصيل المذهب المالكي

عجز الموحدون على محو مذهب الإمام مالك و إزالته من المغرب بالكلية[1]، بل راموا ذلك وسعوا بكل الوسائل، إلا أن المذهب المالكي كانت جذوره عميقة في بلاد المغرب لكنهم استطاعوا بدعوتهم إلى الأثر والظاهر، وهو ما جعل المذهب المالكي يتلقح بمادة الفقه الأصلية، فلم يبق الفقه المالكي ذلك الفقه البسيط الذي يقارن أقوال أئمة المذهب ببعضها البعض ويرجعها في النهاية إلى رواية ابن القاسم[2] عن الإمام مالك، أين صار ينظر في الأدلة والخلاف العالي[3].

أفاد عمل يعقوب المنصور في إحراق كتب الفروع والتضييق على فقهائه الحركة الفقهية فائدة عظمى، مما جعل فقهاء المالكية يقلّلون من الانكباب على كتب الفروع المجردة وينصرفون إلى دراسة الفقه من أصوله، الكتاب والسنة[4].

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 266.

[2] ابن القاسِم (132-191هـ/ 750-806م)، عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقيّ المصري، أبو عبد الله، ويعرف بابن القاسم، فقيه، جمع بين الزهد والعلم. وتفقه على الإمام مالك ونظرائه. مولده ووفاته بمصر. له كتاب "المدونة" في ستة عشر جزءا، وهي من أجلّ كتب المالكية، رواها عن الإمام مالك. للمزيد ينظر: محمد بن محمد مخلوف(1941م) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، د.ط، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص 58.

[3] عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، المرجع السابق، ص 124.

[4] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 803.

فظهر الاشتغال بعلم التفسير وشرح القرآن الكريم وأحكامه والتأليف في الأحاديث النبوية، ونتيجة للمضياقات التي لقيها المالكية جعلهم يؤلفون في كتب فقه الحديث والسنن للدفاع على مذهب مالك، وردّ دعاوي الظاهرية والموحدين، الذين يزعمون أن الفقه المالكي ليس فقها مؤصلا، فشرع أبو الحسن بن زرقون في تأليف كتاب "أزهار السنن وإيضاح السنن" ثم تركه حين امتحن لما سُئل على ذلك قال:

أن الخليفـــــــــة قـــــــــد أبـــــــــى وإذا أبـــــــــى شـــــــيئا أبيتـــــــــه[1].

ومن علماء المغرب الأوسط الذين ألّفوا في الحديث الإمام الكبير والعالم الشهير ابن قرقول، وهو إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد القائدي الوهراني والمشهور بالحمزي، ولد بمدينة المرية بالأندلس سنة(505هـ/1111م) كان رحالا في طلب العلم، زار مالقة، وسرقسطة، وسبته، ثم سلا، ثم فاس، كان حريصا على لقاء الشيوخ، فقيها نظارا أديبا حافظا يُبصر الحديث ورجاله[2].

تتلمذ ابن قرقول عن عدة شيوخ، فقد سمع من جده لأمه أبا القاسم بن ورد ومن أبي الحسن بن نافع، وروي عن جماعة كبيرة وطائفة جليلة منهم: أبو عبد الله بن زغيبة

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 266.

[2] بن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 131.

وأبو الحسن بن معدان، ويعرف بابن اللوان، وأبو الحجاج القضاعي، وأبو الحسن بن أبو العباس بن العريف، وأبو بكر بن العربي وغيرهم كثير[1].

كان لابن قرقول بجامع مالقة الأعظم مجلسا عاما، سوى مجلس تدريسه يتكلم فيه عن الحديث إسنادا ومتنًا بالإضافة إلى شرح الصحيحين والموطأ بطريقة عجز عنها الكثير من أكابر أهل زمانه، ولما انتقل إلى فاس التفّ حوله الناس وطلبوا على يديه الحديث من أشهرهم[2]:

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحي بن عبد الله الأنصاري المالقي القرطبي الأصل يكنى أبا محمد ويعرف بابن القرطبي (ت611هـ/1215م)، كتب إليه ابن قرقول وحضر مجلسه بمالقة[3]، وكذلك عمر بن عبد المجيد بن عمر الازدي المعروف بالزندي من أهل زندة يكنى أبا علي، محمد بن مسعود الخشني الأندلسي الجياني المعروف بمصعب الخشني، الحافظ الأديب بن دحية صاحب "الكتاب المطرب من أشعار المغرب"، وأبو بكر بن خلف الأنصاري القرطبي القاضي أبو يحي ويعرف بالمواق الفقيه المستبصر من أهل قرطبة وسكن مدينة فاس كان حافظا حافلا في علم الفقه والخلاف فيه ملازما للتدريس[4]

[1] بن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 131.

[2] بن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 131.

[3] نفسه، ج1، ص 180.

[4] نفسه، ج1، ص 181.

وأحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن الصقيل الأنصاري اللورقي كان معينا بالحديث[1].

ومن الآثار العلمية لابن قرقول كتاب سماه "مطالع الأنوار على صحاح الآثار" وقد سماه صاحبه "مطالع الأنوار على صحائح الآثار"، وهو كتاب في تفسير غريب الحديث وضبط ألفاظه والروايات وخصه بالموطأ والصحيحين، يقول الإمام بن قرقول مبينا موضوع كتابه: "ولا اعلم أن أحدا قبلي ألّف على مجموع هذه المصنفات كتابا مفردا تقلّد عهده ما تقلدته من بيان مشكلها وتقليد مهملها ووسم مغفلها وشرح ألفاظ غريبها وضبط أسماء رجالها وإزاحة إشكالها إلى ما بيّنت فيه من اختلاف نقلها في الفاظ متونها وروّاتها"[2].

كان سبب تأليفه لكتابه هو كثرة التصحيفات والتحريفات التي طالت أمّهات الكتب مبيّنا مكانة الأمّهات الثلاثة الموطأ والصحيحين فقال: "واقتصرت على هذه المصنفات المذكورات إذ هي الأصول المشهورات المتداولات بالرواية المتعقبات بالتفقه فيها والدراية فهي أصول كل أصل ومنتهى كل غاية في هذا الباب وفضل عليها مدار أندية السماع و بها

[1] بن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 180.

[2] أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي الوهراني بن قرقول(ت569هـ/1173م)، مقدمة مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتها وبيان مختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها، تح: أحمد عويس الجنيدي، ط1، دار الفلاح، قطر، 2012م، ج1، ص 156.

عمارتها وهي مبادئ علوم الآثار وغايتها ومصاحف السنن ومذكراتها وأحق ما صرفت إليه العناية وشغلت به الهمة"[1].

ومن العلماء المغاربة رزين بن معاوية بن عمار العبدري نسبته إلى عبد الدار بن قصي بطن من قريش الأندلسي السرقسطي، يُكنى أبا الحسن سكن مكة وحدّث بها عن أبي مكتوم عيسى ابن أبي ذر وغيره، كان رجلا فاضلا عالما بالحديث وغيره وله تآليف حسان[2].

ومن شيوخه عيسى ابن أبي ذر الهروي وابن عبد الله الطبري[3].

توفي الإمام رزين بن معاوية سنة (535هـ/1140م) بمكة، ومن أثاره العلمية كتاب "التجريد للصحاح والسنن"، وكتاب في "أخبار مكة"، و"المدينة وفضلها"، وله "مختصر تفسير بن جرير الطبري"[4].

يُعتبر كتاب التجريد للصحاح والسنن من أهم كتبه، الذي عرفه أبو بكر الاشبيلي بقوله: "الكتاب الجامع لما في كتاب الموطأ البخاري ومسلم والنسائي وأبي داود والترمذي من الحديث وهو المسمى بتجريد الصحاح، ألّفه أبي الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدري

[1] ابن قرقول، مطالع الأنوار، المصدر السابق، ج1، ص 156.

[2] ابن بشكوال، الصلة ، المصدر السابق، ص 163.

[3] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، المصدر السابق، ج3، ص 406.

[4] أبو عبد الله شمس الدين محمد بن القيم الجوزية(ت751هـ/1350م)، مختصر الصواعق المرسل على الجهمية والمعطلة ط1، دار الحديث، القاهرة مصر، 2001م، ص 383.

الأندلسي –رحمه الله– حدثني به الشيخ الصالح أبو حفص عمر بن عياد بن أيوب بن عبد الله اليحصبي –رحمه الله– قراءة مني عليه لبغضه ومناولة لجميعه والشيخ الفقيه القاضي أبو الحسين محمد بن خلف بن صاعد الغساني ويعرف باللبلي –رحمه الله– مناولة منه لي والشيخ الفقيه أبو القاسم خلف بن فرج بن الروذي القنطري –رحمه الله– لكن أبا بكر الاشبيلي اعتبر أن للإمام رزين كتابين، الأول ما ذكرناه، والثاني كتاب "تجريد صحاح أصول الدين" مما اشتمل عليه الصحاح الستة الدواوين بحذف الأسانيد وتوقيف المسائل مع استقصاء مضمون الحديث مما عني به الشيخ الفقيه الفاضل الزاهد أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار الأندلسي السرقسطي في المسجد الحرام[1].

أما ما يخص موضوع الكتاب فقد جمع فيه الإمام رزين بن معاوية الكتب السنة المعتمدة المشهورة للائمة علماء الحديث النقاد، فجمع بين الصحيحين أي صحيح البخاري ومسلم والموطأ الإمام مالك وجامع الترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي، فذكر الأحاديث المجردة عن الأسانيد، كما أضاف أثار الصحابة وأورد فقه الإمام مالك وتراجم أبواب كتاب البخاري"[2].

---

[1] أبو بكر محمد بن خير بن عمر الاشبيلي، فهرسة ابن خير الاشبيلي ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف(ت575هـ/1179م)، تح محمد فوائد منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م، ص ص 145، 146.

[2] مجد الدين مبارك بن محمد بن الأثير الجزري(ت606هـ/1209م)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح عبد القادر الارناؤوط، ط1، دار بن كثير، بيروت لبنان، 2011، ج1، ص 19.

كما نجد أن الإمام رزين رتب الأحاديث دون أن يورد الشرح والتفسير، يقول بن الأثير: "إلا أن هؤلاء جميعهم لم يودعوا كتبهم إلا متون الحديث عارية من الشرح والتفسير حسب ما أداهم إليه الغرض وأحسنوا في الصنع"[1].

وصنف أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك المعروف بابن أبي جمرة الأندلسي المرسي المالكي (ت599هـ/1202م) كتاب "نتائج الأبكار ومناهج النظار في معاني الآثار" قال الإمام الذهبي: "ألفه عندما أوقع السلطان بالمالكية وأمر بإحراق المدونة"[2].

كان من أثر توجه الدولة الموحدية نحو فقه الظاهر والأثر أن تأثرت حركة التأليف في فقه الحديث، وكان كتاب "نتائج الأبكار ومناهج النظار في معاني الآثار" نتيجة لهذا التوجه يقول ابن الآبار في "التكملة" التي خص بها ابن أبي جمرة المرسي بترجمة حين قال: "وله تآليف منها كتاب "نتائج الأبكار ومناهج النظار في معاني الآثار" ألفه بعد الثمانين والخمسمائة عندما أوقع السلطان حينئذ بأهل الرأي وأمر بإحراق المدونة وغيرها من كتبه"[3].

ويشكل تأليف ابن أبي جمرة لكتابه هذا تحولا في مسيرته العلمية، حيث عُرف عنه أنه ناظر في المسائل أعواما وتدرب مع أبي محمد عاشر بن محمد وسمع منه جُملة من تأليفه منها "الكبير في شرح المدونة" وعني بالرأي وحفظه وولي خطة الشورى وقُدم للفتيا، ثم لما

---

[1] ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، المصدر السابق، ص 14.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 21، ص 399.

[3] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص 79.

وقع التحول في توجه الدولة العلمي على عصر الموحدين ألّف كتابه هذا بالمقابل اعتزل ميدان القضاء والشورى[1].

كما ألّف في خصم الظاهرية اللدود القاضي أبو بكر بن العربي المعافري (ت543هـ/1148م) كتاب "المسالك في شرح موطأ مالك" وبين في مقدمته الباعث له على تأليفه فقال: "إنما حملني على جمع هذا المختصر بما فيه –إن شاء الله– كفاية وتنوع أمور ثلاثة وذلك أني ناظرت يوما جماعة من أهل الظاهرية الحزمية الجهلة بالعلم والعلماء وقلة الفهم على الموطأ مالك بن انس فكل عابه وهزأ به"[2].

فقلت: ما السبب الذي عبتوه من أجله. فقالوا أمورا كثيرة.

أحدهما أنه: خلط الحديث بالرأي.

الثاني أنه: أدخل أحاديث كثيرة صحيحة وقال ليس العمل على هذه الأحاديث.

والثالث أنه: لم يفرق فيه بين المرسل والموقوف والمقطوع من البلاغ وهذا من إمام صحت عندكم إمامته في الفقه والحديث[3].

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص 79.

[2] أحمد بن توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 847.

[3] أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي(543هـ/1147م)، المسالك في شرح موطأ مالك، تق، يوسف القرضاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2007، ج1، ص 171.

بسبب هذه التهم رمى بها الظاهرية الحزمية موطأ مالك، انبرى لهم ابن العربي ليثبت لهم إمامة مالك في الأحاديث والسنن، وإمامته في الفقه ولم يكتف بهذا الكتاب بل ألّف كُتبا كثيرة في الرد على الظاهرية الحزمية كما يسميهم، ولكن هذا الكتاب اختص بتأصيل الفقه المالكي في ضوء الآثار والسن[1].

ومن العلماء المغاربة الذين اهتموا بالتأصيل للمذهب المالكي الإمام الكبير القاضي عياض (ت544هـ/1149) وهو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض أبو الفضل اليحصبي السبتي المراكشي، فقيه محدث عارف أديب عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته ولد بمدينة سبته في(476هـ/1083م). يقول بن بشكوال: "ثم كتب إلى القاضي أبو الفضل بخطه يذكر أنه ولد في منتصف شعبان سنة(476هـ/1083م) كان إماما بالحديث وعلومه عالما بالتفسير فقيها أصوليا حافظا لمذهب مالك وُلي قضاء سبته ثم قضاء غرناطه، وقد ترجم له الإمام المقري في كتاب سماه "أزهار الرياض في أخبار عياض"[2].

ألّف القاضي عيّاض مصنفات جليلة نذكر منها: كتاب "إكمال المعلم بفوائد مسلم" وهو كتاب أكمل فيه شرح شيخه أبي عبد الله المازري (ت536هـ/1141م) على صحيح مسلم

[1] أحمد بن توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 847.

[2] ابن بشكوال، الصلة، المصدر السابق، ج2، ص 359.

ومن مميزات الكتاب، أنه من أعظم شروح المغاربة على صحيح الإمام مسلم بل هو عمدة لكل من جاء بعده لمكانته في الإبداع والإتقان وقد تميز هذا الكتاب[1]:

- أن صاحبه من أعلام الحديث في المغرب والأندلس.
- تآليفه ذاعت في الآفاق المغربية والمشرقية.
- أنه كتابه شرح ثاني أصح كتاب على وجه الأرض بعد كتاب الله تعالى.

تقدم هذا الكتاب العظيم، من حيث الشروح لصحيح الإمام مسلم لكونه إكمال لشروح شيخه أبي عبد الله المازري[2] (ت536هـ/1141م).

يُعدّ هذا الكتاب من أقدم وأوسع وأشمل الشروح لصحيح مسلم[3]، وقد إعتمد جل من شرح صحيح مسلم على كتاب "إكمال المعلم"، وهذا إطلاع القاضي عياض على أغلب روايات صحيح مسلم[1].

---

[1] أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي القاضي(ت544هـ/1148م)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تح: الحسين شواط، د.ط، دار بن عفان، المملكة العربية السعودية، 1994، ص ص 27، 28.

[2] هو الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي ولد بالمهدية بإفريقية له عدة مؤلفات منها: "المعلم بفوائد شرح مسلم" و"إيضاح المحصول" وله شرح كتاب التلقين لعبد الوهاب المالكي، بلغ رتبة الاجتهاد أخذ عن الإمام اللخمي وأبو محمد عبد الحميد السوسي، ولم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض افقه منه ولا أقوم بمذهبهم توفي عام (ت536هـ/1141م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج20، ص ص 105، 107.

[3] القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، المصدر السابق، ص 29.

شرح القاضي عيّاض مقدمة صحيح الإمام مسلم شرحا وافيا، مستخرجا ما فيها من فوائد ودرر في شتى علوم الحديث تلك المقدمة التي شهد من خلالها العلماء بعبقرية الإمام مسلم من خلال إرسائه لقواعد علم أصول الحديث، وبذلك يكون القاضي عياض قد أضاف على شرح شيخه أبي عبد الله المازري[2].

إن أهمية هذا الكتاب -كما قصد صاحبه له- ترجع أولا إلى كونه إشكالا لما أبداه الإمام المازري في كتابه المعلم، حيث أن كتاب المعلم على نفاسته وجودة موضوعه لم يكن تأليف استجمع له مؤلفه، وإنما هو تعليق ما تضبطه الطلبة من مجالسه وأنه أول كتاب يتناول شرح الصحيح لمسلم بالتحرير والتقييم والشرح والتهذيب وقد أوفي القاضي عياض – رحمه الله- على هذه الغاية، مما جعل من الكتاب مرجعا في خدمة كتاب صحيح مسلم لم ينافس من المتقدمين وذلك لما تضمنه من الفوائد البالغة بعد هذه الفائدة والتي لم يأت بغيرها لكفته في تقدمه أمره على كثير من المراجع الحديثة التي اشتهر ذكرها وذاع صيتها[3].

وعن حركة التأصيل يقول الفقيه الحجوي[4] في كتابه السامي:" اعلم أنه برقت بارقة على الفقه في سنة (550هـ/1155م) تحركت بها حركة أشبه بحركة الموت وذلك أن عبد المؤمن بن علي لما غلب المغرب وجد العلماء انهمكوا في الفروع راضين خطة التقليد التي تقضي

---

[1] القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، المصدر السابق، ص 29.

[2] نفسه، ص 24

[3] نفسه، ص 29.

[4] محمد بن الحسين الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي، د.ط، د.د، د.م، د.س، ص8

على الفقه، ففكر فكرة في إلزام الفقهاء بالاجتهاد وترك التقليد، وقيل إنه أبرزها إلى حيز العمل فحرق كتب الفروع كلها وأمر بوضع كتب أحاديث الأحكام، ويقول عن حفيد عبد المؤمن يعقوب فظهر في وقته حفاظ وعلماء مجتهدون يلحقون الفرع بأصله[1].

2. مظاهر وآثار الصراع الفكري بين المالكية والظاهرية.

من الملاحظ أن العهد الموحدي قد اشتعل فيه الصراع بين المالكية و الظاهرية واضطر المالكيون للدفاع عن مذهبهم، واضعين في اعتبارهم الحماية التي أصبح المذهب الظاهري يحظى بها من طرف السلطة، ويُعتبر إبطال الظاهرية للعمل بالقياس، حيث شكل في حد ذاته أسباب التناقض بين المذهبين، كما مثل تحدي أصولي قوي للمالكية لم يسع الفقهاء السكوت عنه لأنه يؤدي نظريا إلى رفض كل التراكم الاجتهادي لفقهاء المذهب، وقد زاد من حدة المعركة التعاطف الذي كان الخلفاء يبدونه تجاه علماء المذهب الظاهري، وقد نتج عن المعركة الفكرية بين المذهبين مجموعة من الكتب والمؤلفات منها :

المسائل المنتقدة على بن حزم، جمعها الفقيه أبو يحي بن المواق أعلم فقهاء وقته بالحديث والمسائل وقدمها للمنصور عندما أراد حمل الناس على كتب ابن حزم وقد تتبع المؤلف في كتابه مزالق بن حزم وتقدم إلى الخليفة المنصور[2]. وكان ذا جلالة عنده بارا له فقال له : يا سيدي لقد كنت في خدمتكم لما سمعتكم تذكرون حمل الناس على كتب ابن

---

[1] أحمد بن توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 848.

[2] أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي بالبرزلي(ت841هـ/1438م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة ، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2002، ج6، ص 378.

حزم وفيها أشياء أعيذكم بالله من حمل الناس عليها، وأخرج له دفترا فلما أخذه الأمير جعل يقرأه[1].

ومن كتب الرد على الظاهرية "كتاب النبراس في الرد على منكر القياس" لقاضي بجاية الحسن بن علي بن محمد لمسيلي (ت580هـ/1184م) كان صوفيا ولقب أبا حامد الصغير وهو من أُكره على بيعة بني غانية لما دخلوا بجاية حيث وجدوه قاضيا بها[2].

"كتاب في إثبات القياس" لعمر بن طوير الصنهاجي السوسي(ت622هـ/1225م) زار الأندلس صحب أبي إسحاق بن المنصور الوالي عليها، ورد في هذا الكتاب على أبي الحسن بن القطان في كتبه "النزع في قياس المناضلة من سلك غير المهيع في إثبات القياس"[3].

كتاب في "الرد على بن حزم" لقاضي الجماعة عبد الحق بن عبد الله الأنصاري (ت631هـ/1233م) وليس معروفا هل كتبه بعد تعيينه قاضيا للجماعة بعد ذلك[4].

كتاب "حجة الأيام وقدوة الأنام" في الرد على بن حزم للفقيه البجائي أبي زكريا الزواوي وقد أثار هذا الكتاب حفيظة بعض أصحاب الميول الحزمي فرفعوا أمره إلى الخليفة المنصور ولم تهدأ الزوبعة إلا بعد أن أرسل المؤلف أحد قرابته، وهو الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الكريم

---

[1] البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، ج 6، ص 378.

[2] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 33.

[3] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج8، ص 23.

[4] ابن الآبار، التكملة، المصدر السابق، ج3، ص 253.

بن عبد الواحد الحسني إلى مراكش عاصمة الخلافة فحمل الكتاب معه، فعرضه على مجلس الخليفة والفقهاء وقام بتوضيح الافتراءات التي وضعت في الكتاب، وتأكد الجمع من صحة حجج أبي زكريا العلمية وتدل هذه الواقعة على تدخل السلطة لإنصاف الظاهرية والاستجابة للشكوى التي رفعوها لكن في إطار بعيد على ما يظهر في الترهيب رغم أن المانع الذي حال دون قدوم مؤلف الكتاب بنفسه إلى مراكش كان هو الخوف من الأذية[1].

ومن الفقهاء المغرب الأوسط المالكية الذين ثاروا ضد الموحدين ومرجعيتهم الفقهية، الإمام الحافظ عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله بن الحسين بن سعيد بن إبراهيم الازدي البجائي الاشبيلي أبا محمد يعرف بابن الخراط، محدث وفقيه مشهور الأديب الشاعر العالم بالحديث وعلله والعارف بالرجال(510-581هـ/1116-1185م) الذي استوطن بجاية ألّف تآليف ودوّن دواوين، وُلي الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم وجلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية[2]. ومن شيوخه:

أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح بن يوسف الرعيني الإشبيلي المالكي خطيب إشبيلية وشيخ المحدثين والمقرئين بها، كان قاضي إشبيلية ومسندها وكان خطيبا بليغا محسنا فاضلا[3].

[1] الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 247.

[2] نفسه، ص 18.

[3] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج3، ص ص 33، 34.

أبو القاسم القرشي، هو عبد الرحمان بن يحي بن الحسن بن محمد القرشي الأموي من أهل اشبيلية يكنى أبا القاسم، روي عن أبي القاسم الهوزني وأبي الحسن بن الأخضر وأبي محمد بن عتاب وأبي الحسن بن شريح بن محمد وعباد بن سرحان له كتاب في جمع الصحيحين[1].

أبو الحكم بن برجان (ت536هـ/1141م) وهو الشيخ الإمام العارف القدوة أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمان اللخمي المغربي الإفريقي ثم الأندلسي الاشبيلي شيخ الصوفية، كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث له تصانيف مفيدة روى عنه عبد الحق الاشبيلي[2].

ومن تلاميذه: أخذ عنه عدد كثير نذكر:

الحافظ أبو عبد الله التجيبي (540-610هـ/1145-1213م) محمد بن عبد الرحمان بن على بن محمد بن سليمان التجيبي المرسي، محدث تلمسان الإمام العالم الحافظ، أخذ القراءات وجودها عن أحمد بن معطي المرسي وقد جمع في أسماء شيوخه على حروف

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج3، ص ص 33، 34.

[2] شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي(ت945هـ/1538م)، طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمير، ط2، مكتبة وهيبة، القاهرة، 1994، ص 169. جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي(ت911هـ/1505م)، طبقات الحفاظ، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1983، ص 68.

المعجم تأليفا مفيدا أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار سماه "المعجم" سمع بمكة من علي بن عمار صحيح البخاري وسمع من بجاية من عبد الحق الحافظ[1].

أبو عبد الله الصنهاجي (ت628هـ/1231م)، هو محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي نزيل بجاية، يكنى أبا عبد الله قاضي مؤرخ أديب أصله من قرية حمزة قرأ بالقلعة وإليه نسبته، وببجاية وُلي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم سلا، ثم استوطن مراكش وتوفي بها من مؤلفاته "النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة" "والإعلام بفوائد الأحكام" "وشرح مقصورة بن دريد" وله برنامج في ذكر شيوخه ومقروآته من الكتب[2].

أبو عبد الله الجزائري (ت606هـ/1209م) محمد بن علي بن يخلف بن يوسف بن حسون من أهل الجزائر يُكنى أبا عبد الله روى عن أبي محمد عبد الحق الاشبيلي وأبي زكرياء يحي بن الياسمين المعروف بابن اللؤلؤ، دخل الأندلس وأخذ عن أبي إسحاق بن ملكون وأبي محمد بن مجوال وأبي بكر بن محمد بن عيسى البطليوسي باشبيلية وعن أبي زيد السهيلي بمالقة وله عدة شيوخ روي عنهم وسمع منهم[3].

ومن مؤلفاته في الحديث، كتاب "الجمع بين الصحيحين" وجمع فيه الإمام عبد الحق الاشبيلي بين كتاب الإمام البخاري وبين كتاب الإمام مسلم ورتبه على كتاب صحيح مسلم

[1] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص 379.

[2] أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(ت748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام، دار الكتب المصرية، مصر، ج45 ، ص 324.

[3] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص 162.

وألتزم به بألفاظ الأصلين، ولم يزد عليها ولم يغير وقال فيه الإمام الذهبي: "وعمل الجمع بين الصحيحين بلا إسناد على ترتيب مسلم وأتقنه وجوده"[1].

جمع عبد الحق الاشبيلي في كتابه هذا بين كتابي، الإمام مسلم والبخاري، وعمد إلى حذف الأسانيد وإسقاط المكرر كما أضاف إلى ذلك الأحاديث الموقوفة والمعلقة عند الإمام البخاري التي ترجم بها أبواب كتابه وغيرها[2].

ومن مؤلفاته: كتاب الأحكام الكبرى: وهو كتاب جليل قيّم ذكر فيه كل من ترجم له في ثلاث مجلدات انتقاه من كتب الأحاديث ويختص الكتاب بالأحاديث المتعلقة بأحكام أفعال المكلفين.

قال الكتاني: "وهو كتاب حسن أخذ الناس عنه"[3].

وقال ابن الأبار: "كتابه في الأحكام وهو نسختان كبرى وصغرى سبقه إلى مثله صاحبه أبو العباس ابن أبي مروان الشهيد بلبلة فحظي هذا دون ذلك بالاستعمال كما سماه كذلك التأليف الكبير في الأحكام الشرعية"[4].

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج21، ص 199.

[2] عبد الحق الاشبيلي، الجمع بين الصحيحين، المصدر السابق، ج4، ص 338.

[3] محمد بن جعفر بن إدريس الحسني الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تح: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد جعفر بن الكتاني، د.ط، دار البشائر الإسلامية، د.م، ج1، ص 173.

[4] ابن الأبار، التكملة ، المصدر السابق، ج4، ص 219.

كتاب الأحكام الوسطى من حديث النبي صلى الله عليه وسلم وهو بأربعة مجلدات.

كتاب الأحكام الصغرى والكتاب مطبوع باسم الأحكام الشرعية الصغرى الصحيحة وهو موجود في مجلدين[1].

كتاب المرشد يتضمن هذا الكتاب حديث الإمام مسلم كله وما زاد الإمام البخاري على الإمام مسلم وأضاف إلى ذلك أحاديثا حِسانا وصحاحا من كتب أبي داود وكتاب النسائي وكتاب الترمذي وغير ذلك، وما وقع في الموطأ مما ليس في مسلم والبخاري وهو أكبر من صحيح مسلم[2].

وكذلك الطاهر اعمارة بن يحي بن اعمارة، كان حيا سنة(585هـ/1189م) وكان قاضيا في نواحي بجاية فلما غزاها بنو غانية امتدحهم وانشد بين أيديهم وكان خطيبهم يوم الجمعة وقال: "الحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غصابه" فلما استعادوا الموحدون بجاية قبضوا عليه وسجنوه ثم عفوا عنه بعد مدة[3].

كما اهتم العالم الكبير علي بن أبي قنون أصله من تلمسان وبها درس الفقه المالكي (ت577هـ/1181م) وكان بحرا في حفظ الفقه، له كتاب في أصول الفقه سماه "المقتضب

---

[1] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3 ، ص 180.

[2] ابن فرحون، الديباج المذهب، المصدر السابق، ص 176.

[3] أحمد بن خالد الناصري السلاوي(ت1315هـ/1897م)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء المغرب ،1954، ج2، ص 143.

الأشفى في اختصار المستصفى"، وهو كتاب نبيل ومستجاد ومن المعروف أن هذا الكتاب الأخير هو لأبي حامد الغزالي ومختصر في أصول الفقه وله تآليف أخرى أيضا[1].

في المقابل هذه الكتب المتعددة نجد كتابا واحدا في الدفاع عن القياس ألّفه الشيخ طلبة الحضر أبي الحسن بن قطان سماه "النزع في القياس لمناضلة من سلك غير المهيع في إثبات القياس"[2].

ومنهم ميمون بن جبارة كان مختصا في أصول الفقه (ت584هـ/1188م) بتلمسان وصالح بن خلف الأنصاري الأوسي (ت586هـ/1190م) نزيل تلمسان من ملقة يكنى أبا الحسن كان فقيها متمكنا[3].

كما كان الفقيه المالكي أحمد بن العتيق بن الحسن بن زياد بن جرج (ت601هـ/1204م) أبو جعفر البلنسي الذهبي ويكنى أبو العباس، كان يراعي أصول المذهب المالكي فيفتي بما تقتضيه وتدل عليه وقيد عنه من أجوبته على المسائل الفقهية وغيرها كثير الحسن البديع[4]، ولما امتحن أبو عبد الله بن إبراهيم وأبو محمد بن احمد بن رشد محنتهما المشهورة اختبأ بقرية قاشرة بقرطبة أو لبلة بالأندلس ولم يعرف مكانه حتى خلصا

---

[1] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص 685.

[2] ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج8، ص 237.

[3] يحي بن خلدون(ت788هـ/1386م)، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ط1، مطبعة بيير فونطانا، الجزائر، 1903، ص 128.

[4] ابن فرحون، الديباج المذهب، المصدر السابق، ص 12.

فظهر لكن المنصور استدعاه واستخلصه وبسط امله ولم تزل مكانته لديه تترقى وله من الكتب في الفقه "حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة" وله فتاوي بديعة[1].

ومنهم الفقيه المالكي نزيل تلمسان محمد بن عبد الرحمان التجيبي أبو عبد الله (ت610هـ/1214م) الذي ترك مؤلفات مهمة في الفقه المالكي منها "فضائل الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان" وكتاب "الترغيب في الجهاد" فيه خمسون بابا في مجلد وكتاب "المواعظ والرقائق" أربعون مجلسا وهو سفران[2].

وقاضي تلمسان الفقيه محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني (ت625هـ/1227م) الذي ألّف كتابا مهما في الفقه رغم أنه لم يكمله فأشار إليه عبد الملك المراكشي وهو بعنوان "مستصفى المستصفى" وهذا الأخير للغزالي كما ترك كتابا أخر بعنوان "حدود أنواع الحكم الشرعي" "وكتاب التذكرة للنوادر المتخيرة" في نحو ثلاثة أسفار رغم أنه لم يكمله وكتاب "الأجوبة المحررة على المسائل المغيرة"[3].

وفي نفس السياق رفض القياس نجد موقفا واضحا للفقيه الفيلسوف أبي الوليد بن رشد (ت595هـ/1199م)، الذي اقترب كثيرا من الظاهرية في المسألة معتبرا من الناحية المنطقية

[1] صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات(ت764هـ/1363م)، تح: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج7، ص 117.

[2] ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص 319.

[3] ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج8، ص 319.

أن قياس الفقهاء "إذا تؤمل هذا المعنى الذي يعنونه بالقياس في هذا الموضع ظهر أن ذلك ليس بقياس وأنه من جنس إبدال الجزئي بالكلي"[1].

3. ازدهار علم الجدل والمناظرة بين المالكية والظاهرية.

اعتمد فقهاء المذهب الظاهري في تنشيط الحياة العلمية والفكرية بالمغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي على التأليف، والمناظرات العلمية باعتبارها من أهم الوسائل المعتمدة في نشر مختلف العلوم خاصة النقلية منها[2].

وقد بيّن علماء المغرب دور المناظرة في مجال العلم والمعرفة، وفي هذا يقول الإمام أبو وليد الباجي: "وهذا العلم من أرفع العلوم وأعظمها شأنا لأنه السبيل الى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"[3].

عرفت بلاد المغرب عدّة مذاهب على غرار الشافعي والأوزاعي لكنهما لم يستطعا تهديد المذهب المالكي تهديدا حقيقيا، ويعتبر المذهب الظاهري المذهب الذي هدد المالكية، خاصة

---

[1] محمد المغراوي، الموحدون والمذهب الظاهري، المرجع السابق، ص 203.

[2] مبارك بشير، **ادوار المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى السابع الهجريين العاشر الثالث عشر ميلاديين**، رسالة دكتوراه، إشراف شقرون الجيلالي، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، ص 198.

[3] أبو الوليد الباجي (474هـ/1081م)، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي ،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص 8.

مع مؤسسيه في الأندلس ابن حزم الظاهري، ومنذر بن سعيد البلوطي، هذا الأخير سبق بن حزم في المذهب ووصفه ابن الفرضي بذلك فقال: "وكان مذهبه في الفقه مذهب النظار والاحتجاج وترك والتقليد وكان عالما باختلاف العلماء وكان يميل إلى داود بن علي بن خلف العباسي ويحتج له"[1].

لا شك أن ابن حزم الظاهري كان له صولة وجولة في فن المناظرة والرد على المذاهب عامة والمالكية خاصة، وقد حفلت كتب التراجم والطبقات بهذه المناظرات لا سيما مع الإمام الباجي، وابن عبد البر، وغيرهم كثير، لكن في هذا العنصر نريد أن نركز على المناظرات التي حدثت في العهد الموحدي، التي تبين موقف الظاهرية من مالكية هذا العصر[2].

لقد عظم أمر الظاهرية في أيام الموحدين، وقويت شوكتهم وامتلأ بهم المغرب كما يقرّ بذلك العالم أبو بكر بن العربي بسبب مناصرة الدولة لهم وأخذها بمذهبهم[3].

وفي أيام يعقوب المنصور كان يعدّ الطعن في ابن حزم طعنا في مقدسات الدولة وبسبب ذلك امتحن عدد كبير من العلماء المالكية، كأبي الحسين بن زرقون، وأبي زكريا الزواوي وغيرهم، فظهر عدد ممن لهم الجرأة على الرد عن الظاهريين وعلى رأسهم ابن حزم

[1] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، المصدر السابق، ج2، ص 846.

[2] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 859.

[3] توفيق بن أحمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 859.

وكان هذا الرد بمثابة الغيث النافع على الفقه المالكي والحركة العلمية فحذق الفقهاء أساليب الجدل والمناظرة، وفتحوا بذلك عهدا جديدا بالمغرب[1].

وكان خلفاء الدولة الموحدية يعقدون المجادلات والمحاورات والمناظرات في مجالسهم ويشرفون عليها بأنفسهم لترجيح المذهب الظاهري الحزمي على المذهب المالكي[2].

ومن أعلام المالكية الذين تصدروا للرد على ابن حزم والظاهرية، القاضي أبو بكر بن العربي المعافري المالكي(ت542هـ/1147م)، كان ألد خصوم الظاهرية على الإطلاق وأفرد تصانيفه للرد عليهم منها كتاب: "المسالك" وكتاب "النواهي عن الدواهي" في الرد على ابن حزم الظاهري[3]، وبيّن في "العواصم من القواصم" سبب تأليفه فقال: "وقد جاءني بعض الأصحاب بجزء لابن حزم سماه نكت الإسلام فيه دواهي فجردت عليه نواهي"[4]، ومنها كتاب "الغرة" كتبه ردا على رسالة بن حزم المسماة "رسالة الدرة في الاعتقاد"[5].

---

[1] المنوني، المرجع السابق، ص 40.

[2] نفسه، ص 40.

[3] أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعافري (ت543هـ/1147م)، أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، د.م،2003، ج 1 ص 18.

[4] أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعافري(ت543هـ/1147م)، العواصم من القواصم، تح: عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ص 338 .

[5] أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، المصدر السابق، ج 1، ص 18.

بالإضافة إلى هذه الكتب التي أفردها للرد على بن حزم والظاهرية فإنّ سائر تآليف القاضي أبو بكر بن العربي لا تخلو من التعرض لهم والتشنيع عليهم ونعتهم بأقبح الصفات مثل: أمة سخيفة، إخوان الخوارج، وأهل الخبال، معتدون على الشريعة، مستخفون بحرمتها، ومبتدعة وجهلة[1].

في ذلك قول ابن العربي معترفا: "وكانت أول بدعة لقيت في رحلتي كما قلت لكم القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ المغرب بسخيف من أهل بادية اشبيلية يعرف بابن حزم"[2].

ومن الذين برزوا في مناظرة الظاهرية، العالم الكبير علي بن محمد بن خروف الحضرمي الاشبيلي (ت609هـ/1212م) كان من كبار النحاة بالمغرب والأندلس، وكان كثير العناية بالرد على الناس فرد على أبي محمد بن حزم في بعض مقالاته، وعلى أبي جعفر بن مضاء وعلى غيرهم من أهل عصره[3].

ومنهم أبو الحسن بن زرقون الأنصاري الاشبيلي (ت621هـ/1224م) ألّف في الرد على بن حزم، لما مال الموحدون إلى مذهب الظاهرية كتابه الكبير الذي سماه "المعلى في الرد على المحلى والمجلى"[4]، وذكر ابن فرحون الباعث على تأليف هذا الكتاب فقال: "ابن

---

[1] أبو بكر بن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك، المصدر السابق، ص 31.

[2] أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، المصدر السابق، ج2 ، ص 336.

[3] ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج5 ، ص 320.

[4] الرعيني، برنامج الرعيني، المصدر السابق، ص 32.

زرقون الأنصاري الاشبيلي كنيته أبو الحسن شيخ المالكية، وكان من كبار المتعصبين للمذهب، فأوذي من طرف بني عبد المؤمن لما أبطلوا القياس وألزموا الناس بالأثر والظاهر"[1].

ثانيا: موقف رجال الظاهرية من الفرق الإسلامية(الشيعة – المعتزلة – الأشاعرة)

1. موقف رجال الظاهرية من الشيعة

تعتبر الشيعة من أوائل الفرق الإسلامية ظهورا وترجع جذورها بالمغرب والأندلس إلى أيام الفتح الأولى، وكانت في عهد ابن حزم، للشيعة تواجد بالأندلس في مدينة المرية وفي المغرب نجد ابن تومرت ينشأ في منطقة كانت مسرحا للصراع المذهبي بين السنة والشيعة حيث كانت منطقة السوس ونواحي درعة على المذهب الشيعي ومن ثمة كانت لإدعاء المهدي ابن تومرت حسني علوي من أهل البيت[2]، أثر في تواجد بعض الأفكار الشيعية في عهد الموحدين خاصة تأثر بن تومرت بفكرة العصمة[3].

ووُجدت تأثيرات شيعية خافته تمثلت في خلع بعض الشعراء الصفات القدسية على بعض الخلفاء، كوصف الخليفة على أنه سر الله والإمام الذي يجب التسليم لقوله ورأيه

[1] ابن فرحون، الديباج المذهب، المصدر السابق، ص 286.

[2] لسان الدين ابن الخطيب(ت776هـ/1374)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط قسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، د.ط، دار الكتاب، دار البيضاء المغرب، ص 266.

[3] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 415.

لكن هذا الأثر الشيعي وجدناه يختلط بالأثر الظاهري عندما يدعو الشاعر الناس إلى خلع الآراء لا أنها ليس لها تحكيم في الدين، كما ظهرت مؤلفات حملت طابعا شيعيا حسينيا منها مناقب السبطين الحسن والحسين لمحمد بن سليمان التجيبي(ت610هـ/1213)[1].

ومن الأفكار الشيعية التي لقيت رواجا وطرحت ولو تنظيرا في عهد الموحدين وقبله مسألة المهدي المنتظر، التي روّج لها الشيعة الإمامية بطريقة تختلف تماما عن ما ورد في السنة؛ إذ جعلوا المهدي عندهم معصوما وأنه موجود لكنه غائب بأمر إلهي حيث اختفى بسرداب سامراء منذ عام(265هـ/878م) وهو الإمام الثاني عشر عندهم واسمه محمد بن الحسن العسكري، ومن ألقابه عندهم إمام الزمان والإمام الغائب والقائم والحجة، ولاشك بأن ابن تومرت تأثر بمثل هذه الأفكار قبل أن يدعي المهدوية والعصمة ومن ثمة كان لادعائه تأثيرا على البعض باعتناق عقيدة الشيعة في المهدي سواء قاربت الشيعة الإمامية في فكرهم أو التزمت بما دعا إليه ابن تومرت فحسب، وهو ما دعا البعض إلى رفض عقيدة المهدي المنتظر كلية مثل بعض الحكام الموحدين[2].

هذا في حين أن بعض الظاهرية نقموا على الشيعة الإمامية ادعاءاتهم المخالفة للسنة النبوية، فراح محيي الدين بن عربي الظاهري يوضح حقيقة المهدي المنتظر حسب ما ورد في نصوص السنة المشرّفة وأن حقيقته ليست كما زعمت الشيعة الإمامية فقال: "أعلم أيدنا الله أن لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا ولو لم يبق من

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 416.

[2] نفسه، ص 418.

الدنيا إلا يوم واحد طول الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله من ولد فاطمة يواطىء اسمه اسم رسول الله جده الحسين بن علي بن أبي طالب يبايع بين الركن والمقام... يقسم المال بالسوية ويعدل في الرعية ويفصل في القضية ... يفتح المدينة الرومية بالتكبير في سبعين ألف من المسلمين من ولد إسحاق..."[1]

يضع الجزية يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلا الدين الخالص أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم فيدخلون كرها تحت حكمه خوفا من سيفه وسطوته ورغبة فيما لديه يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلهي له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونهم هم الوزراء يحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله ينزل عيسى بن مريم بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق... فيتنحى له الإمام من مقامه فيتقدم فيصلي بالناس يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله إليه المهدي طاهرا مطهرا[2].

والأمر الذي لابد من الإشارة إليه أنه رغم وجود من يؤيد المهدي المنتظر من الظاهرية حسب نصوص الشرع، فقد وجد أيضا من يعترض عليها وينتقدها انتقادا شديدا من قبل جماعة من الظاهرية منهم: المنصور الموحدي، وابنه المامون، وقد وقف في وجه عقيدة المهدي وراحوا يكفرون المسلمين ولا يأكلون ذبائحهم ولا يصلون خلفهم ويقولون من لم يؤمن بالمهدي بن تومرت فهو كافر، ويفضلونه على أبي بكر وعمر، ويقولون من لم يعلم اثني

[1] ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق ،ج6، ص 51.

[2] نفسه، ج6، ص 51.

عشر بابا من التوحيد فهو كافر، وينقضون الوضوء بلمس ذوات المحارم، ويقولون من حلق ما تحت اللحية فهو مجوسي ومن ثمة لما رفع أمر هذه الطائفة إلى فقيه تازي أفتى بكفرهم لتفضيلهم المهدي على الصحابة[1]

رغم معارضة بعض حكام الموحدين لعقيدة المهدي المنتظر، فقد راجت في عهد أحد حكامهم حتى أن بن سبعين[2] الصوفي كتب بيعة المستنصر الموحدي واعتبره أنه المهدي المنتظر المبشر به في الأحاديث الذي يحثو المال ولا يعده وإن كان وصفه للمستنصر الموحدي بالمهدي باطلا، إلا أننا نستنتج من اعتقاده بصحة عقيدة المهدي المنتظر فضلا عن رواج الفكرة في عصره وقبولها مما بايع المستنصر على أنه المهدي[3].

أما الشيعة الذين وجدوا معارضة من طرف الظاهرية علماءا وحكاما فقد حاولوا أن يطيحوا بالدولة الموحدية الظاهرية التي ناصبت العداء ومنعتهم من نشر فكرهم فقاموا بالثورات، ومن ذلك ثورة محمد بن عبد الله بن العاضد سنة (601هـ/1204م) ادعى أنه

---

[1] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي(ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي وآخرون، د.ط، دار الغرب لإسلامي، بيروت لبنان، 1981، ج2، ص ص 454 .465

[2] عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين العكي الغافقي الأندلسي (ت614هـ/1217م) قال فيه الذهبي في تاريخ الإسلام: "كان صوفيا على قاعدة زهاد الفلاسفة وتصورتهم (ت669هـ/1269م). للمزيد ينظر: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي(ت874هـ/1469.)، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة د.ط، مطبعة دار الكتب، مصر، ص 380.

[3] السيد عبد الباقي عبد الهادي، الظاهرية والمالكية ، المرجع السابق، ص 421.

حفيد أخر خلفاء الشيعة بمصر بجبار ورغة من احواز فاس، وكان قد قدم الأندلس في عهد المنصور أيام كونه باشبيلية وطلب مقابلته فرفض ثم حبس في عهد الناصر سنة(596هـ/1199م)، وشفع له أبو زكريا الهزرجي فقبل الناصر شفاعته وأطلق سراحه على أن لا يتحرك في أمر يكرهه الموحدين، فخرج إلى صنهاجة والتفت حوله جماعة كانت تعضّمه ثم قصد سجلماسة بجيش عظيم وهُزم الموحدون هناك وظل يتنقل في بلاد البربر من موضع إلى أخر حتى قبض عليه بفاس وقتل وعلق رأسه بباب الشريعة أحد أبواب فاس وأحرق جسده وسط الباب المذكور فسمي الباب باب المحروق بعد أن كان يسمى باب الشريعة. وفي سنة (610هـ/1213م) ثار ولد هذا المحروق بجبال غمارة وأدعى أنه الفاطمي وتبعه خلق كثير من أهل الجبل والبادية فبعث إليه الناصر جيشا فظفر به وقتل[1].

2. موقف رجال الظاهرية من المعتزلة

دخل الاعتزال المغرب أوائل القرن الثاني هجري عن طريق عبد الله بن الحارث فأجابه بعض البربر، ووصلت دعوته إلى أقصى المغرب وقد استفاد بن تومرت من مصدرين في تحصيل الفكر الاعتزالي: احداهما، أثناء رحلته المشرقية وخاصة بغداد والآخر متمثل في كتب ابن حزم التي درّسها على يد الطرطوشي وغيره، وكان بن تومرت حريصا على أن يأخذ من المعتزلة ما يتفق مع نهجه الظاهري ومن ثمة نجد شارح المرشدة ينص على أن ابن تومرت رد على المعتزلة الذين ينكرون الصفات[2].

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 296.

[2] السيد عبد الباقي عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 429.

ونتيجة الاتجاه الدولة الموحدية الظاهرية للاستفادة من الفكر الاعتزالي في بعض الجوانب العقدية[1].

لكن في المقابل هناك من فقهاء أهل الظاهر كان لهم دور في التصدي لأفكار المعتزلة من خلال المناظرة، ومن هؤلاء ابن عربي الصوفي الظاهري الذي انتقل إلى رندة ليجادل أحد شيوخ المعتزلة بها ودخل معه في جدال يوما تلو الأخر بحضور كثير من أتباعه وتلاميذه ونجح ابن عربي في سعيه ورجع الشيخ وتلاميذه عن معتقداتهم الباطلة، أضف إلى ذلك أن ابن عربي انتقد المعتزلة ونهى عن التأويل في آيات الصفات ودعا إلى قبول هذه الآيات كما هي في كتاب الله، وقال هذه كانت طريقة السلف ثم راح يسفه آراء المعتزلة القائمة على التأويل بقوله: "وما جنح العقل إلى التأويل إلا لينصر جانب العقل على جانب الإيمان فإن المؤول ما أول حتى توقف عقله عن القبول[2].

3. موقف رجال الظاهرية من الأشعرية

ساهم ابن تومرت في انتشار الأشعرية بشكلها الواسع والعام مع أنه مؤسس الدولة الموحدية وواضع الأسس الفكرية والعقدية لها، فكانت لسياسة الدولة في عهد المهدي والخلفاء من بعده في نشر أراء المهدي عامة، ومن بينها آراؤه الأشعرية، فقد فرض بن تومرت على قبائل المصامدة توحيده الذي ضمنه في المرشدة، وأخبرهم بأنه من لا يحفظه

---

[1] نفسه، ص 429.

[2] ابن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق ،ج1، ص 51.

فهو كافر، لا تجوز إمامته، ولا تؤكل ذبيحته، فتسابقت القبائل في حفظه، وسار عندهم كالقرآن الكريم[1]، وأصدر عبد المؤمن مرسوما يلزم العامة وغيرهم بحفظ المرشدة المهدي ذات الصبغة الأشعرية وتفهمها، بل تعدى ذلك وفرض على الناس مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول[2].

وقد أدت سياسة الدولة الموحدية في نشر عقيدة بن تومرت ذات الصبغة الأشعرية إلى اهتمام العلماء بها وبالعقيدة الأشعرية في آن واحد، وتكونت مدرسة مغربية ذات صبغة أشعرية اعتنى أعلامها بمؤلفات المهدي العقدية لا سيما الجانب الأشعري منها، ومن هؤلاء عثمان بن عبد الله القيسي المعروف بالسلالجي[3]. (ت564هـ/1168م) الذي تصدى لتعليم عقيدة بن تومرت، وألف كتاب "العقيدة البرهانية[4]" ولقب بمنقذ أهل فاس من التجسيم لأنه

---

[1] ابن أبي زرع، روض القرطاس، المصدر السابق، ص ص 226، 227.

[2] البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، المصدر السابق، ص 140.

[3] هو الشيخ الأصولي الإمام المتكلم الفقيه الصالح عثمان بن عبد الله بن عيسى أبو عمرو السلالجي من بيت بني سلالجي بفاس ولد حوالى (ت521هـ/1127م) نهل الشيخ من العلوم الدينية بفاس بجامع القرويين ودرس النحو والفقه فقرأ رسالة أبي زيد القيرواني، وموطأ الإمام مالك، كما أتقن الحديث وكتاب الإرشاد للجويني، حتى صار يلقب بإمام أهل المغرب في علم الاعتقاد. للمزيد ينظر: أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات(617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبو العباس السبتي، تح: أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء المغرب ص 198.

[4] عقيدة البرهانية في علم الألوهية، الشهيرة بالعقيدة البرهانية أو العقيدة السلالجية، وهي عقيدة مختصرة على طريقة أهل السنة الأشاعرة وقد امتازت العقيدة البرهانية بصغر حجمها وبساطة أسلوبها، وتتشابه أصول القضايا الكبرى في العقيدة البرهانية، إلى حد كبير بآراء المدرسة الأشعرية المشرقية، وهي تقترب إلى حد بعيد من آراء الغزالي وخصوصا من آراء

حولهم من المذهب السلفي في العقيدة إلى المذهب الأشعري تبعا للتيار العام الذي اكتسح المغرب وقتها نتيجة لدعوة بن تومرت[1].

وقد ترتب على ذلك أن وجدت أراء المهدي الأشعرية طريقها إلى الاندماج في التيار العام للمذهب الأشعري وجرى دراستها والاستشهاد بها إلى جانب آراء أئمة الأشاعرة، ومن ذلك ما ذكره أحد تلاميذة بن سبعين عن شيخه، بأن الأشاعرة مجمعة على وجوب تعلم كل مسلم للعلوم الضرورية وهي سبعة، ثم ذكر تلميذ بن سبعين أن المهدي بن تومرت ذكر هذه العلوم السبعة في بعض تآليفه، وقال في أول ما أراد ذكره باب مالا يسع جهله، ومن ثمة يمكن الجزم في أن بن تومرت كان له دورا في نشر الشعرية في ربوع المغرب إذ اقبل العلماء على مرشدته ذات الصبغة الأشعرية، وتناولوها بالشرح والتدريس في كل من افريقية والمغرب الأقصى خاصة فاس والمغرب الأوسط وتلمسان[2].

الجويني في الإرشاد، لدرجة ذهب معها كثير من الباحثين والمتكلمين إلى القول بأن البرهانية ما هي في الواقع إلا مختصر لكتاب الإرشاد. للمزيد ينظر: محمد بن اليلو الجزولي، أبو عمرو السلالجي الفاسي(574هـ) صاحب العقيدة البرهانية مجدد المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي في القرن 6هـ ، **مجلة متون**، المجلد7، العدد2، 2014، ص 89.

[1] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، المرجع السابق، ج1، ص 121.

[2] عبد المجيد النجار، حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 455.

ومن الظاهرية أصحاب النزعة الأشعرية عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري الذي اتبع طريقة الغزالي الأشعرية واهتم بكتبه، لا سيما كتاب "المستصفى" الذي كان يدرسه تلاميذه[1].

شكّلت الأشعرية مجالا آخرا للنزاع الفكري بين نخب العصر الموحدي في الوقت الذي شكل انتشارها في أوساط العلماء النجاح الأكبر للموحدين، غير أن بعض العلماء شنوا عليها حربا شعواء يتعلق الأمر بأحد المقربين من فكر الدولة الموحدية، وهو الفيلسوف أبو وليد بن رشد الذي لم يمنعه قربه من الموحدين من مخالفتهم في عنصر هام في بناء دولتهم وهو الشيء الذي جر عليه محنته المشهورة يقول أبو وليد بن رشد عن الأشعرية " إن الطرق الأشعرية المشهورة في السلوك إلى معرفة الله تعالى ليست طرقا شرعية يقينية، وذلك ظاهر لمن تأمل أجناس الأدلة المنبهة في الكتاب العزيز عن المعنى، أعني بمعرفة وجود الصانع وذلك أن الطرق الشرعية إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جمعت وصفين أحدهما أن تكون يقينية والأخر أن تكون بسيطة غير مركبة أعني قليلة المقدمات فتكون نتائجها قريبة[2].

ذكر محيي الدين بن عربي الحاتمي الذي كان صوفيا ظاهريا المذهب، فقد ذكر بأن علماء علم الكلام ما وضعوه وصنفوا فيه ما صنفوه ليبثّوا في أنفسهم العلم بالله، وإنما وضعوه ردا على الخصوم الذين جحدوا الإله أو الصفات أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أو حدوث العالم أو الإعادة إلى هذه الأجسام بعد الموت أو الحشر أو النشر، وكانوا كافرين

---

[1] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص 416.

[2] محمد المغراوي، الموحدون والمذهب الظاهري، المرجع السابق، ص 209.

بالقرآن[1]؛ مكذبين به جاحدين له، فطلب علماء الكلام إقامة الأدلة عليهم على طريقة التي زعموا أنها أدتهم إلى إبطال ما إدعينا صحته خاصة حتى لا يشوشوا على العوام عقائدهم فمهما برز في ميدان المجادلة بدْعي، برز له أشعري أو من كان من أصحاب النظر[2] ورغم ذلك لم يتردد في مهاجمة علمائه ومنهجيتهم، ونستطيع القول بأن هذه التحفظات لم تنتشر وبقيت نخبوية، لأنها تناقش أصول الاستدلال عند الأشعرية في حين حظيت الأشعرية بالقبول لإجرائية مقولاتها.

مما سبق يتضح أن الموحدين نجحوا في توجيه المغاربة والأندلسيين من المالكية والظاهرية نحو العقيدة على مذهب الأشعري والقضاء على شتى الاختلافات التي كانت امتدادا للمناقشات الأولى في علم الكلام وأصبحت جامعة القرويين قلعة حصينة للمذهب العقدي بالمغرب، إذ صار أئمتها دعاة للمذهب الأشعري منذ العهد الموحدي بعد أن كانوا يدافعون عن مذهب السلف في الاعتقاد على عهد المرابطين، وصارت كتب الاشاعرة تدرس للطلبة بلا حرج في القرنين السادس والسابع هجري وظل المذهب الأشعري منتشرا في كل إفريقيا[3].

---

[1] ابن عربي، الفتوحات المكية ، المصدر السابق، ج1، ص 35.

[2] نفسه، ج1، ص 35.

[3] عبد الباقي السيد عبد الهادي ،الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 438.

ثالثا: موقف رجال الظاهرية من المتصوفة

ترجع نشأة التصوف بالأندلس إلى أيام التابعين الذين دخلوها من أمثال حنش بن عبد الله الصنعاني المتوفي بسرقسطة في أول القرن الثاني للهجرة ودفن بها كأحد من الصالحين وقد إزدهر التصوف على عهد الموحدين، وبدأ انتشاره بالمغرب من مدينة سبته التي ترسخ فيها الفكر الصوفي بما كان لابن عريف من أصداء قوية، نقلها عنه من شرق الأندلس إلى سبته صديقه القاضي عياض الذي كان يكاتبه في العهد المرابطي[1].

وقد فتح الموحدون باب التصوف وأهله لعدة أسباب منها:

- تعلق أهل المغرب بالأيمان بخوارق العادات والكرامات، ومن ثمة وجدنا ابن تومرت يجذبهم لدعوته وفكرته، من خلال أمور تقوم على الخوارق فصدقوها واعتقدوا صحتها[2].

- أن التصوف كان أحد الوسائل التي استخدمها الموحدون لتخليص البلاد من المعارضين لمبادئهم، إذ بالتصوف الحق تنجلي القلوب وتتفتح ومن ثمة تتغلغل أفكار الموحدين، ومنه حرص الموحدون على الاتصال بكبار الشخصيات الصوفية وكانوا يبدون أسفهم على وفاة الواحد منهم مثلما وقع عند وفاة الصوفي أبا محمد المهدوي (ت621هـ/1224م)، بل كان الولاة والملوك يقصدون كبار الزهاد والمتصوفة ويزورونهم مثلما كان يحدث مع الزاهد أبي

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي ،الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 443.

[2] نفسه، ص 439.

عمران موسى بن عمران المارتلي[1] (ت604هـ/1207م) بإشبيلية كما كان النصور الموحدي يُسرّ بزيارة إلى الولي الصالح أبو إبراهيم بن أدهم[2] ويعطيه من خزائنه الجواهر تكريما له ويقبل منه وعظه حتى زهد المنصور في الدنيا[3].

كثرة المتصوفة أواخر العهد المرابطي وأوائل العصر الموحدي بالمغرب وغرب الأندلس وكانوا يخوضون في كتب التصوف وأفكار المتصوفة، كما أن من المتصوفة من راح يطلب العلم على يد علماء الظاهرية مثل ابن الزيات التادلي، الذي طلب العلم على يد كل من القاضي ابن حوط الله الأنصاري سيخ أولاد المنصور وقاضي القضاة أحمد بن بقي الأموي وروى عنهما مما كان لذلك أثره في تأصيل المنهج الظاهري لدى بعض الصوفية[4] ومنهم من

---

[1] أبو عمران موسى بن حسين بن عمران الزاهد، يُعرف بالمِيرتُلي، وأصله من ثغر ميرتله وسكن إشبيلية، وكان لا يعدل به أحد من أهل عصره صلاحا وعبادة مع تصرفه في فنون الأدب وشعره في الزهديات مجموع، روى عنه بن حوط الله توفي سنة(604هـ/1208مـ). للمزيد ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي بن الأبار(ت658هـ/1260م)، تحفة القادم تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 132.

[2] إبراهيم بن ادهم بن منصور بن يزيد بن جابر سيد الزهاد، حدث عنه سفيان الثوري وشقيق البلخي وبقي بن الوليد له كتاب المسند. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج7، ص 388.

[3] أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م)، المغرب في حلى المغرب، تح شوقي ضيف، ط2 دار المعارف، القاهرة مصر، 1964، ج1، ص 406.

[4] أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات(ت627هـ/1230م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبو العباس السبتي، تح أحمد توفيق، د.ط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، 1984، ص ص 10، 11.

نهج نهجا حديثا فراح يطلب الحديث من طريق بقي بن مخلد مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس ليظهر بمظهر أهل الحديث[1]

وفي عهد المنصور ظهر من المتصوفة أبو شعيب الصنهاجي وعثمان السلالجي وأبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي، الذي تصدر لتدريس التصوف في عهد الموحدين وخلف عددا كبيرا من التلاميذ والمريدين قدروا بألف، كانوا امتدادا لطريقته المدينية التي انتشرت في شمال إفريقيا وقد وصل الأمر بالمنصور في توقيره للصوفية أنه لما حضرته الوفاة عهد إلى عيسى بن عبد العزيز الجزولي الصوفي أن يغسله تبريكا[2].

ومن الصوفية إبراهيم بن محمد السلمي البلفيقي(ت616هـ/1219م) اشتهرت كراماته وعظم أمره حتى وشى به بعض الفقهاء الظاهرية لدى المستنصر، فأمر بإحضاره إلى مراكش فلما دخل على المستنصر هابه وسأله الدعة وأحاطوه ليحولوا بينه وبين الذهاب إلى مراكش لكنه قال لهم: طاعة السلطان واجبة فتركوه. ومن حكام الموحدين الذين مالوا إلى التصوف المرتضى، الذي وصفه كتاب التراجم بأنه كان منتميا إلى التصوف وقد كانت لهذه

---

[1] ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبو العباس السبتي، المصدر السابق، ص 57.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 446.

النزعة الصوفية للمرتضى حافزا لأن ينهض أحد المتصوفة بجميع شعر بن الصباغ الجذامي[1] شاعر الموحدين والذي اختلط فيه مدح النبي بالتصوف اختلاطا فريدا[2].

ونتيجة لتقديس الصالحين والأولياء في العهد الموحدي، فإنه ظهرت طائفة من الظاهرية عارضت الصوفية ومن وافقهم من المالكية على وقوع الكرامات ورددت هذه الطائفة أقوال ابن حزم في نفي الكرامة، وذلك للقضاء على ظاهرة تقديس الصالحين والأولياء[3].

وقد كانت لعلماء الظاهرية من الصوفية جهودا كبيرةً في مواجهة الفساد المجتمعي والانحراف الفكري والعقدي، ومن ذلك أن ابن عربي الصوفي الظاهري انتقد صوفية زمانه ووصفهم بقوله: "وصوفية صوف بأعراض الدنيا مرشحون عظمت الدنيا في قلوبهم وصغر الحق في أنفسهم ...حافظوا على السجادات والمرقعات والعكاكيز وأظهروا السبحات المزينة ...اتخذوا ظاهر الدين شركا للحطام ولازموا الخوانق والرابطات رغبة فيما يأتي إليها من حلال وحرام"[4].

[1] محمد بن أحمد بن الصباغ الجذامي أبي عبد الله شاعر صوفي أندلسي عاش من الحقبة الأخيرة من دولة الموحدين في المغرب على زمن الخليفة المرتضى. للمزيد ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ الجذامي(ت477هـ/1084م)، ديوان ابن الصباغ الجذامي، تح: محمد زكريا عناني وأنور السنوسي، ط1، دار الأمين للطباعة، القاهرة، 1999م، ص 9.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، ابن حزم، المرجع السابق، ص 211.

[3] نفسه، ص 211.

[4] ابن عربي، روح القدس، المصدر السابق، ص 34.

كما انتقد بن عربي ابن قسي[1] صاحب كتاب "خلع النعلين"[2] انتقادات لاذعة رغم أنه درس كتاب "خلع النعلين" على ولد بن قسي وصنف "رسالة الانتصار" وأرسل بها إلى عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن هبة الله نظرا لما جرى بين الأخير وبين الشيخ أبي عبد الله محمد الفاسي المعروف بالصيقال، من أسئلة في طريق التصوف، منها الاعتراض على التحدث بالأسرار السنية بين الصوفية، وكيفية الجمع بين قول الرسول من طلب الله وحده وقول أبي يزيد السالك مردود والطريق مسدود[3] كما صنف مصنفات عديدة في التصوف منها كتاب "الأقطاب" وكتاب "ألف المقام الذي يدور حول المنازل الصوفية" وكتاب "أمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من شروط" وفيه يعرض بن عربي للقواعد التي يلزم اتباعها في سلوك الطريق الصوفي وكتاب "الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية" وكتاب "الإمام المبين الذي لا يدخله ريب ولا تخمين" وكتاب "تذكرة التوابين وتبرة الأوابين" وكتاب "ترجمة مقامات الأولياء" وكتاب "الجفر الجامع والنور اللامع"[4].

---

[1] أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي متصوف أندلسي قائد ثورة المريدين وصاحب كتاب خلع النعلين وتميز بالفلسفة وعلم الكلام وكان يتابع مدرسة ابن مسرة الفلسفية. للمزيد ينظر: أحمد بن قسي (ت546هـ/1150م)، خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين، تح: محمد الامراني، ط1، د.ط، اسفي، 1997، ص 8.

[2] كتاب خلع النعلين من أهم كتب التصوف، حيث نقلوا منه الكثير من الإشارات والحكم وناقش الإلهيات والكونيات ومسألة المعرفة مصدرها ومنهجها. للمزيد ينظر: أحمد بن قسي، خلع النعلين، المصدر السابق، ص 12.

[3] ابن عربي، رسائل بن عربي، المصدر السابق، ج2، ص 9، 10.

[4] عثمان يحيى، مؤلفات بن عربي، المرجع السابق، ص ص 196، 197.

وكان الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن يسول الإشبيلي معلما للقراءات، وقد أخذها عن شيخه صاحب النزعة الظاهرية شريح بن محمد بن شريح الرعيني (ت539هـ/1144م) ولعله كان هو الآخر صاحب نزعة ظاهرية مثل شيخه، وكان يدرس القرآن بتلمسان للطلبة دون أجر، وهذا أبو عبد الله التاودي الفاسي المعلم(ت580هـ/1184هـ) كان يعلم الصبيان ويأخذ الأجر من أولاد الأغنياء ويرده على أولاد الفقراء ويغسل أثواب الصبيان في قصعة كانت عنده في المكتب ويخيطها ولا يأخذ على ذلك أجراً[1].

رغم المكانة التي حظي بها المتصوفة في عهد الموحدين خاصة المنصور، فقد وشى بعض أهل الظاهر بأبي مدين شعيب الصوفي للإيقاع به لدى المنصور الموحدي، وقد برروا وشايتهم بقولهم:"إنا نخاف منه على دولتكم فإن له شبها بالإمام المهدي وأتباعه كثيرون بكل بلد"[2] وقد وقع نفس الشيء مع إبراهيم بن محمد بن خلف بن أبي العباس بن مرداس السلمي ويعرف بإبن الحاج(ت616هـ/1219م) من أهل بلفيق من أعمال المرية، فإنه لما مال إلى التصوف وشغف به وأقبل الناس إليه من كل مكان وكثر الازدحام عليه نفاه والي المرية إلى المغرب[3].

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 462.

[2] أبو عبد الله بن محمد بن مريم التلمساني(ت1020هـ/1611م)، البستان في ذكر الأولياء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، د.س، ص 113.

[3] عبد الباقي السيد عبد الهادي، والظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص ص 466، 467.

كما وقعت مناقشات بين كل من المنصور الموحدي وبين بن عربي الظاهري الصوفي سببها وغر الصدور، ومما جاء فيها قال المنصور لابن عربي:"دل من ليس له ظالم يعضده" فرد بن عربي "وصل من ليس عالم يرشده" فقال المنصور لابن عربي:"يا أخي الرفق الرفق" فرد بن عربي: "مادام رأس المال محفوظا أعني الدين" فرد المنصور صدقت وسكت بن عربي[1].

رابعا: موقف رجال الظاهرية من أهل الذمة

أطلق مصطلح أهل الذمة على من يعيش في دار الإسلام من اليهود والنصارى، وقد كان المسلمون يسمحون للنصارى بممارسة شعائرهم الدينية في حرية تامة، وكان النصارى يعيشون في الريف والمدن على حد سواء، وكانوا يتواجدون في عدة مدن أندلسية مثل مالقة بلنسية طليطلة، أما اليهود فكانت فاس أشهر مدن تمركزهم في المغرب، بينما كان إليسانه في الأندلس فضلا عن مدينة طركونة التي عرفت بأنها مدينة اليهود، وقد مارس اليهود العديد من الأعمال في عهد الموحدين، فمنهم من عمل في تجارة العبيد وشراء الأسرى ومنهم من عمل في الصيرفة، ومنهم من عمل كوزير لدى ملك قشتالة مثل إبراهيم بن الفخار، ومنهم من احترف مهنة الطب، ومنهم من كان رئيسا لبعض معاهد الموحدين العلمية شرط أن يكون من أهل النبوغ وهذا يوضح التسامح الديني الذي مارسه الموحدون تجاه أهل الذمة[2].

---

[1] أسين بلاسيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، د.س، ص 46.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 476.

كما اشتهر من الشعراء في العهد الموحدي بالأندلس في عهد الموحدين شاعرة من اليهود، يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودي وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها[1].

كما اشتهر من شعراء اليهود أيضا إبراهيم بن سهل اليهودي، ظل فترة طويلة على يهوديته وأسلم فيما بعد وأصبح ظاهريا، فقد كان قبل إسلامه يضمن شعره آيات قرآنية محرفة عن مواضعها[2].

كما أن مدينة تلمسان كانت بها جماعة من اليهود، وقد نزل قاضي الجماعة ابن مروان التلمساني الظاهري(ت601هـ/1204م) كان قاضيا للقضاة في عهد المنصور وابنه الناصر بدار واحد من اليهود، واحتفل اليهودي به وأحسن وفادته[3].

كما قامت الدولة الموحدية في عام (630هـ/1232م) بقتل جماعة من اليهود في مراكش في ظل حركة تطهيرية قاموا بها، وهذه الحادثة تؤكد أن اليهود كانوا يمثلون جماعة في عصر الموحدين، وكان لهم تواجد حتى في العاصمة مراكش منذ زمن[4].

---

[1] المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص 502.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 481.

[3] ابن سعيد المغربي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، المصدر السابق، ص 33.

[4] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، ص 481.

الفصل الرابع: موقف رجال الظاهرية من المالكية والفرق الإسلامية والمتصوفة وأهل الذمة

من خلال العرض السابق يتضح أن اليهود والنصارى كان لهم وجود في الدولة الموحدية وأنهم نعموا بالحرية والتسامح ماداموا مسالمين للمسلمين، أما من خالف المسالمة وتحالف مع أعداء الدولة وساهم في نشر الفتنة، فهؤلاء كانوا يعاقبون ويتعرضون لسوء العذاب


خاتمة

في ختام معالجتنا لموضوع علماء المذهب الظاهري وأثارهم العلمية خلال العهد الموحدي 6ه 7ه/ 12م 13م يمكن أن نصل إلى الاستنتاجات التالية:

يعتبر المذهب الظاهري من مذاهب أهل السنة والجماعة، تأسس على يد داود بن علي وسمي ظاهريا لأخذه بظاهر النصوص الشرعية ويتميز على غيره من المذاهب التي استمدت أسماءها إلى مؤسسيها مثل المالكي والشافعي، وهو مذهب فقهي كغيره من المذاهب له أصوله التي يعتمد عليها في إصدار الأحكام الشرعية.

عرف المذهب الظاهري انتشارا واسعا في بلاد المغرب في الحقبة الوسيطة، حيث بدأ انتشاره بشكل فردي في بلاد الأندلس في فترة الخلافة الأموية وعهد ملوك الطوائف، وقد اشتهر ابن حزم في هذه الفترة الأخيرة وبقي المذهب محمولا على عاتق أفراد وعلماء إلى قيام الدولة الموحدية الذي أحيته وفرضت العمل به.

يُعد ابن حزم المؤسس الثاني للمذهب الظاهري بعد داود بن علي، فقد ألّف كُتبا كثيرة فيه، منظرا له مقعدا قواعده، فقد ساهم مساهمة فعالة في إرساء قواعده في بلاد المغرب الإسلامي.

بيّنت الدراسة مدى انتشار المذهب الظاهري في العصر الموحدي، فقد كثر علماؤه وطلابه وتزايد عددهم بشكل كبير، نلاحظ هذا في ترجمات الكتب خاصة المالكية منهم، وهذه شهادة على عددهم المعتبر.

أكدت الدراسة على أن حكام الموحدين كانوا ظاهرية، وهذا ما أثبتته المصادر التاريخية وكان ساسة الدولة يتمذهبون به كما كانوا علماء ومحدثين لا يرون التقليد ويدعون للاجتهاد ويرفضون الشك والفقه الفروعي المالكي ويقربون علماء الظاهرية ويسندونهم المناصب الهامة في الدولة، كما أشرفوا على المناظرات بين الظاهرية والمالكية لإعلاء مكانة الظاهرية، وكان من الحكام يستخدم حجج ابن حزم في مناقشة المالكية، وكانت رسائل

حكامهم تدعوا إلى رفض القياس والرأي، ويؤكد على العمل وفق الكتاب (القرآن) والسنة (الأحاديث النبوية الشريفة) والإجماع (إجماع الصحابة) والاجتهاد، وهذه هي أصول المذهب الظاهري.

أوضحت الدراسة مدى كثرة الإنتاج العلمي في عصر الموحدين من طرف علماء أهل الظاهر وهذا راجع إلى الدعم السلطوي لهم والتشجيع الكبير من طرف حكام الموحدين.

ازدهرت الحياة العلمية في تلك الفترة، ومن مظاهرها علم الكلام و والمناظرات، التي راجت بشكل كبير وملحوظ بين المذهبين، الظاهري المفروض من طرف السلطة الموحدية والمذهب المالكي المتجذر والضارب في تاريخ البلاد، والذي يسير على وفقه أغلب عامة أهل المغرب والأندلس وهذا مما زاد في إثراء الحياة العلمية.

استفاد المذهب المالكي من هذه الحركة المذهبية الفقهية، مما أدى بأصحابه إلى تأصيله والتأليف في أمهاته، وعدم الاهتمام بفروعه والتركيز على علوم السنة النبوية من أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ، فقد نشطت مدرسة الإمام البخاري ومسلم، وألّف المغاربة وخاصة من المالكية في هذا الشأن تأليفا كبيرا.

لم تقتصر المذهبية الظاهرية على الفقه فقط، بل تعدى الأمر إلى علوم النحو، فقد ألّف ابن مضاء القرطبي كتابه "الرد على النحاة" محاولا إزالة التعقيدات النحوية التي اعتمدها علماء اللغة في شروحهم لكتاب سيبويه وتبسيطه إلى الطلبة والمتعلمين.

ساهم المذهب الظاهري في التنوع الفقهي خاصة في إصدار الأحكام الشرعية، أدى هذا الأمر إلى إزالة الحرج على كثير من المستفتين، فقد أصبح الخيار متعدد لدى العامة في الفتوى أي فتاوى المذهب الظاهري وفتاوى المذهب المالكي مما يسهل على الناس تطبيق شرع ربهم وهذا كله في إطار الدين الإسلامي الحنيف.

بيّنت الدراسة منهج المنصور الموحدي في طريقة تمكين للنهج الظاهري ومحاولة إقصاء المالكية من خلال حرق كتبهم الفروعية والتركيز على إظهار أقوال بن حزم فيما يخص المهدية والعصمة، فقد أزال بعده الخليفة المأمون اسم المهدي من الخطبة والسكة وهو ما ترتب عليه قيام الثورات ضد الموحدين في حين لقيت معارضة العصمة والمهدية قبولا من فقهاء المالكية والظاهرية.

كشفت الدراسة على الوجود الصوفي الكبير في عهد الدولة الموحدية وثنائية العلاقة بينهم وبين الدولة، فقد قرّبت السلطة عدد كبير من المتصوفة، وفي ذات الوقت فرضت مراقبة على المتنفذين منهم والذين لهم مكانة اجتماعية وشعبية كبيرة خوفا من استقلاليتهم أو إقامة ثورة تحت زعامتهم مما يهددون كيان الدولة، كما عارض بعض الظاهرية المتصوفة وكانوا يُشُون ضدهم عند الحكام.

بيّنت الدراسة أن هناك من الصوفية من كانوا ظاهرية في العبادات مثل محي الدين بن عربي، وقد أدى دورا بارزا في التمكين للظاهرية مغربا ومشرقا من خلال التأليف والتدريس والمناظرة.

كشفت الدراسة على مدى تأثير الظاهرية في الحياة الاجتماعية والعلمية، فقد وافق كثير من العلماء المالكية المذهب الظاهري مثل انتقاد ابن رشد للقياس في مجال علم الكلام والفقه والعمل على ازدهار المنطق والفلسفة حيث وضع ابن رشد مشروعه الفلسفي في ظل الموحدين الظاهرية.

رغم الاختلاف بين الظاهرية والمالكية إلا أن الأمر بقي في مجاله العلمي ولم يتعنتا، بل وتعاضدا على مواجهة المشاكل المجتمعية بكل حزم مثل: نكاح المتعة وظاهرة التسول التي قضاء عليها الموحدون عملا برأي الفقهاء من خلال الكفالة الاجتماعية.

الملاحق

ملحق رقم *1*

بعض الأمثلة المنتقاة من المسائل الفقهية في المذهب الظاهري

- أوني الذهب والفضة يحرم الشراب والأكل فيها ولا يحرم كسبها.
- واجب الاستياك بالأراك أو غيره في الوضوء على رأي إسحاق بن راهويه شيخ دود وإذا توضأ أحد وصلى دون أن يستاك فصلاته باطلة.
- الخمر محرم لكنه غير نجس.
- لا يلزم الوضوء لحمل القرآن أو قراءته.
- لمس المرأة لو كانت طفلة عمرها ساعة يوجب الوضوء لقوله تعالى: "أو لامستم النساء" ولو كان لمسا بأصبع.
- عند قضاء الحاجة لا يكره استقبال القبلة ولا استدبارها خلافا للمالكية.
- في الوضوء غسل اليدين إلى المرفقين ليس واجب بل قريب منها يكفي.
- إذا أجنبت المرأة ثم حاضت، وجب عليها غسلان غسل للجنابة وآخر للحيض خلافا لبقية المذاهب.
- الجنابة لا تمنع قراءة القرآن.
- أحمد بكير محمود، **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1990، ص ص 79، 110.

ملحق رقم *2*

بعض كتب ومؤلفات ابن حزم الظاهري

فنذكر منها في الأدب والفقه والأصول:

- الإيصال في فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع. أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة وعليها والأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح.
- كتاب الإحكام لأصول الأحكام وهو في الأصول كما يدل عليه اسمه.
- كتاب الفصل في الملل و الأهواء والنحل.
- كتاب في الإجماع ومسائله على أبواب الفقه.
- كتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض.
- كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما يحتمل التأويل.
- كتاب التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية فإنه سلك في بيانه وإزالة سوء الظن عنه وتكذيب المخالفين له طريقة لم يسلكه أحد قبله.
- كتاب المحلى على مذهبه في الفقه والعقيدة.
- كتاب الإيصال في فقه الحديث.
- كتاب الصادع والرادع على من كفّر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد.
- كتاب شرح الموطأ والكلام على مسائله كتاب الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على صحتها.

- كتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والسنة.
- كتاب منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يُعرف فيه اختلاف.
- كتاب الإمامة والخلافة في سيرة الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها.
- كتاب أخلاق النفس.
- كتاب طوق الحمامة في الألف والألفة.
- كتاب جمهرة أنساب العرب.
- كتاب كشف الأساس مابين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس.
- كتاب الرد على بن النغريلة اليهودي.

ملحق رقم *3*

جدول يبين المقرئين من المذهب الظاهري خلال العهد الموحدي

المقرئ	تاريخ وفاته	أهم مؤلفاته إن وجدت
الخليفة يوسف	580هـ/1184م	/
أبو بكر يعقوب بن محمد بن خلف الهوزني الاشبيلي	602هـ/1205م	أراجيزه الحسان في القراءات والتجويد والمخارج الحروف
أحمد بن محمد بن مضى النحوي القرطبي	592هـ/1196م	/
أبو عبد الله محمد بن حسن بن محمد بن يوسف المغربي الفاسي له كتاب أبو عبد الله محمد بن حسن بن محمد بن يوسف المغربي الفاسي	656هـ/1258م	كتاب شرح الشاطبية
أبو عمر مرجي بن يونس الغافقي الأندلسي	/	شرح على قصيدة الحصري
أبو الحسن على بن محمد المرادي البلنسي	/	المنصف
ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت الكيزاني	562هـ/1167م	/
ومنهم قاسم بن محمد الزقاق الأموي	559هـ/1164م	/
أحمد بن الحطيئة اللخمي	560هـ/1160م	/
ومحمد بن يوسف الأنصاري القرطبي	610هـ/1213	/

ملحق رقم *4*

جدول يبين علماء تفسير المذهب الظاهري خلال العهد الموحدي

المفسر	تاريخ وفاته	أهم مؤلفاته في التفسير
أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي الحرالي المراكشي	637هـ/1239م	مفتاح اللب المقفل في فهم الكتاب المزل
أبو القاسم احمد بن أبو الوليد يزيد بن عبد الرحمان	/	التفسير الآيات المتشابهات
أبو محمد عبد المنعم بن الفرس	597هـ/1200م	أحكام القرآن
عبد الله محمد الأنصاري القرطبي	671هـ/1272م	الجامع
أبو الحجاج يوسف بن عمران المزدغي الفاسي	655هـ/1257م	له تفسير وصل إلى سورة الملك
أبو محمد بن عطية الغرناطي	546هـ/1151م	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
عبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي القصري	608هـ/1211م	/
أبو عبد محمد بن علي بالعابد الأنصاري الفاسي	662هـ/1264م	اختصار الكشاف للزمخشري
أحمد بن فرتون السلمي الفاسي	660هـ/1262م	لاستدراك والإتمام

ملحق رقم *5*

جدول يبين علماء الحديث من المذهب الظاهري خلال العهد الموحدي

المحدث	تاريخ وفاته	أهم مؤلفاته في الحديث
أبو بكر بن زهر	595هـ/1199م	/
العباس بن شبرين الأنصاري الخزرجي البلنسي الداني	532هـ/1137م	رجال مسلم
أبو عبد الله بن الحسين الأنصاري المري	/	الحسن في الجمع بين صحيحين البخاري ومسلم
أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي	537هـ/1142م	/
أبو العباس أحمد بن عبد الملك الأنصاري الاشبيلي اللبلي المعروف بابن أبي مروان	549هـ/1154م	المنتخب المنتقى في أحاديث الأحكام
أبو محمد بن حوط الله الأنصاري الحارثي الاندي	612هـ/1215م	ألّف كتابا في تسمية الشيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي
أبو القاسم بن بقي بن مخلد القرطبي	625هـ/1228م	/
أبو الخطاب ابن دحية الكلبي السبتي	633هـ/1235م	الابتهاج في أحاديث المعراج
		أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين
		أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين
		مصنف في رجال الحديث
		تعليق على كتاب الشهاب للقضاعي
		ونهاية السول في خصائص الرسول

أبو علي عمر الزبار الأنصاري الاشبيلي	637هـ/1239م	اختصار صحيح مسلم
أبو العباس احمد بن محمد بن خليل بن مفرج الأموي الاشبيلي المشهور بابن الرومية	637ه/1239م	الحافل في تذييل الكامل
		بحر الآثار في الحديث
		المعلم بزوائد البخاري ومسلم
		كنز الأخبار في الحديث
		توهين حديث الأربعين
أبو بكر محمد بن احمد بن سيد الناس اليعمري المعروف بابن سيد الناس	659ه/1261م	بيع أمهات الأولاد
أبو إسحاق ابن هارون المرادي الفاسي	663ه/1265م	/
محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي	638ه/1240م	"مشكاة الأنوار فيما روي عن النبي صل الله عليه وسلم من الأخبار"، "حلية الإبدال"

ملحق رقم *6*

جدول يبين الفقهاء من المذهب الظاهري خلال العهد الموحدي

الفقيه	تاريخ وفاته	مؤلفاته
أبو بكر محمد بن الحسين بن أحمد بن يحي بن بشر الأنصاري	537هـ/1141م	/
أبو عمر بكر بن خلف بن سعيد بن عبد العزيز	/	له قصيدة في الأخذ بالأحاديث
عبد الله بن بكر بن خلف بن سعيد بن عبد العزيز	/	/
أبو محمد سفيان بن أحمد بن عبد الله بن الإمام	566هـ/1160م	/
أبو الحسن خضر بن محمد بن نمر التجيبي	571هـ/1175م	/
اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي	575هـ/1179م	المغرب في محاسن المغرب
أبو الحسن على بن محمد بن خيار البلنسي	605هـ/1208م	/
محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمان بن خليل	/	القدح المعلى في إكمال المحلى
أبو الاصبغ عبد العزيز بن على اللخمي الاشبيلي	621هـ/1225م	/
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري البجائي	612هـ/1215م	تقييد على المستصفى لأبي حامد الغزالي
أبو العباس أحمد بن خالد المالقي	660هـ/1262م	/

أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الازدي البجائي	625هـ/1228م	/
أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يوسف الأنصاري	/	/
أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر المالقي اللخمي	/	/
أبو عمرو عثمان بن حسن بن علي بن الجميل الكلبي	634هـ/1236م	/
أبو محمد عبد الله بن قاسم بن عبد الله بن محمد بن خلف اللخمي	646هـ/1265م	/
الحافظ إبراهيم بن خلف السنهوري الدمشقي	620هـ/1222م	/

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. جامع الترمذي.
2. سنن أبو داود،.
3. سنن الترمذي.
4. موطأ مالك.
5. ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي(ت658هـ/1260م)، **التكملة لكتاب الصلة،** تع الفريد بل وابن أبي شنبب، د.د، دم، د.س، ج 3.
6. ــــــــــــــــــــــــــــ ، **تحفة القادم،** تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
7. ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله (ت726هـ/1326م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،** د.ط، دار الطباعة المدرسية، اوبسالة 1823.
8. ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان(ت386هـ/996م)، **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات،** د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2006.
9. ابن الأثير الجزري مجد الدين مبارك بن محمد(ت606هـ/1209م)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول،** تح عبد القادر الارناؤوط، ط1، دار بن كثير، بيروت لبنان، 2011، ج1.
10. ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل(ت807هـ/1405م)، **بيوتات فاس الكبرى،** د.ط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

11. الإشبيلي أبو بكر محمد بن خير بن عمر(ت575هـ1179م)، **فهرسة ابن خير الاشبيلي ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف**، تح محمد فوائد منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م.

12. الانباري أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد(ت577هـ/1181م)، **الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو**، تح: سعيد الأفغاني، ط2، دار الفكر، بيروت 1971، ص 40.

13. ــــــــــــــــ ، **نزهة الالباء في طبقات الأدباء**، تح: السامرائي، ط3، مكتبة المنار، الأردن، 1985.

14. الباجي أبو الوليد(474هـ/1081م)، **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**، تح: عبد المجيد تركي ،ط2، دار الغرب الإسلامي.

15. البراذعي أبو سعيد خلف محمد الازدي القيرواني الشهير(ت435هـ/1043م)، **التهذيب في اختصار المدونة**، تح: محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، د.م، 2002م.

16. البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي(ت841هـ/1438م)، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تح: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي لبنان، 2002، ج6.

17. ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك البلنسي(ت578هـ/ 1182م)، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وآبائهم**، د.ط، القاهرة، 1955.

18. البنا أحمد بن محمد(ت1117هـ/1705م)، **البشر إتحاف فضلاء بالقراءات الاربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات**، تح: شعبان محمد إسماعيل، ط1 مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1987.

19. البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي(ت580هـ/1184م)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، د.ط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.
20. التجيبي أبو بحر صفوان بن إدريس المرسي(ت598هـ/1201م)، **زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر**، تح: عبد القادر محداد، د.ط، بيروت، 1358هـ.
21. بن تغري جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن بردي الاتابكي(ت874هـ/1469م)، **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**، د.ط، مطبعة دار الكتب، مصر.
22. التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس 1989.
23. الجرجاني علي بن محمد الشريف(ت816هـ/1413م)، **التعريفات**، ط1، مكتبة لبنان، بيروت 1985.
24. ابن الجزري أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد(ت833هـ/1429م)، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، د.ط، مكتبة القدس، مصر، 1350هـ.
25. ابن حبيب أبو مروان عبد الملك الأندلسي المالكي(ت238هـ/853م)، **الواضحة من السنن والفقه**، تح: ميكلوش موراني، د.ط، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2010م.
26. الحرالي أبو الحسن(ت638هـ/1241م)، **تراث أبو الحسن الحرالي المراكشي في التفسير** تح: محمادي بن عبد السلام الخياطي، ط1، د.د، تطوان، 1997.
27. ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ/1064م)، **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية**، تح: أحمد فريد المزيري، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.س.
28. ـــــــــــــــــــ ، **الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة**، دار الجيل، بيروت، دس، ج1.

29. ابن حزم أبو محمد علي بن احمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ/1064م)، **المحلى بالآثار** تح: عبد الغفار البنداري، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003، ج1.
30. ــــــــــــــــــ ، **رسائل بن حزم الأندلسي**، تح: إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، د.س، ج4.
31. ــــــــــــــــــ ، **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، تح: أحمد طاهر المكي، ط5 دار المعارف، د.م، 1993م.
32. ــــــــــــــــــ ، **علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة**، د.ط، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت لبنان.
33. ــــــــــــــــــ ، **ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل تح: سعيد الأفغاني**، د.ط، مطبعة جامعة دمشق، 1960.
34. الحصري علي بن عبد الغني(ت488هـ/1095م)، **القصيدة الحصرية في قراءة الإمام نافع** تح: توفيق بن أحمد العبقري، ط1، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، المغرب، 2002.
35. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي(ت626هـ/1229م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977، مج1
36. الحميري محمد بن عبد المنعم(ت900هـ/1495م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط2 دار الجيل، بيروت لبنان، 1988.
37. ابن الخطيب لسان الدين(ت776هـ/1374)، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط قسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، د.ط، دار الكتاب، دار البيضاء المغرب.
38. ــــــــــــــــــ ، **أعمال الأعلام**، تحقيق سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424/ 2003،

39. ابن خلدون عبد الرحمان(ت808هـ/1406م)، **العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، د.ط، دار الفكر، بيروت، 2001 ج1.

40. ابن خلدون يحي(ت788هـ/1386م)، **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، ط1، مطبعة ببير فونطانا، الجزائر، 1903.

41. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس د.ط، دار صادر، بيروت، دس، ج2.

42. الداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت945هـ/1538م)، **طبقات المفسرين** تح: علي محمد عمير، ط2، مكتبة وهيبة، القاهرة، 1994.

43. ابن دحية أبو الخطاب الكلبي(ت633هـ/1236م)، **الابتهاج في أحاديث المعراج**، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996.

44. ـــــــــــــــ ، **أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين**، تح: محمد أمحزون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

45. الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد(ت748هـ/1347م)، **تاريخ الإسلام**، دار الكتب المصرية، مصر.

46. ـــــــــــــــ ، **سير أعلام النبلاء**، تح: حسان عبد المنان، د.ط، بيت الأفكار الدولية، د.م، د.س، ج12،.

47. ـــــــــــــــ ، **المعجم المختص بالمحدثين**، تح: محمد الحبيب العيلة، ط1 مكتبة الصديق، المملكة العربية السعودية، 1988.

48. الرعيني أبو الحسن علي بن محمد الاشبيلي(ت666هـ/1267م)، **برنامج شيوخ الرعيني** تح: إبراهيم شيوخ، دمشق، د.ط، مدرية إحياء التراث، 1962.

49. الزركشي عبد الله بن محمد بن إبراهيم(ت ق9هـ)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** تح: محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة ،الزيتونة تونس، د.س.
50. ابن الزيات التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحي (617هـ/1220م)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبو العباس السبتي،** تح: أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب بالرباط الدار البيضاء المغرب.
51. السبكي تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ/1370م) **طبقات الشافعية الكبرى،** تح: عبد الفتاح حمد الحلو و محمود محمد الطناحي، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، د.م، 1992، ج2.
52. ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى(ت685هـ/1286م)، **المغرب في حلى المغرب** تح شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة مصر، 1964، ج1.
53. ــــــــــــــــــ ، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة،** دار المعارف، د.ط، مصر ،1945.
54. السهيلي أبو القاسم، عبد الرحمان(ت581هـ/1185م)، **التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام،** مر: محمود ربيع، ط1، مطبعة الأنوار، د.م، 1938.
55. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت180هـ/796م)، **الكتاب،** تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، 1988.
56. السيوطي جلال الدين(ت911هـ/1505)، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي** تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط2، مكتبة الكوثر، بيروت، 1415هـ، ج1.
57. ــــــــــــــــــ ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،** ج1.
58. ــــــــــــــــــ ، **حسن المقصد في عمل المولد،** د.ط، موقع مسلم، 2005.

59. ـــــــــــــــــــــــ ، **طبقات الحفاظ**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1983.

60. الشنتريني أبو الحسين علي بن بسام(ت542هـ/1147م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، 1997م، مج2.

61. الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر(ت548هـ/1153م)، **الملل والنحل** ط1، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فأعود، دار المعرفة، لبنان، 1993، ج1.

62. الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي(ت476هـ/1083م)، **طبقات الفقهاء**، تح: إحسان عباس، د.ط، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ج8.

63. الصاحب الصلاة عبد الملك(ت594هـ/1197م)، **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين**، ط3، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م.

64. ابن صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد(ت462هـ/1070م)، **طبقات الأمم**، مطبعة الكاثوليك للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912.

65. ابن صباغ الجذامي أبو عبد الله محمد بن أحمد، **ديوان ابن الصباغ الجذامي**، تح: محمد زكريا عناني وأنور السنوسي، ط1، دار الأمين للطباعة، القاهرة، 1999م.

66. الصفدي صلاح الدين(ت764هـ/1363م)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج7.

67. ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد(ت695هـ/1296م)، **البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب قسم الموحدين**، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1985.

68. ابن العربي أبو بكر بن محمد بن عبد الله المعافري(ت543هـ/1147م)، **العواصم من القواصم**، تح: عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

69. ـــــــــــــــــــــ ، **أحكام القرآن**، تح: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، د.م،2003، ج 1.

70. ـــــــــــــــــــــ ، **المسالك في شرح موطأ مالك**، تق، يوسف القرضاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2007، ج1.

71. ابن عربي الحاتمي محي الدين محمد بن علي بن محمد(638هـ/1243م)، **الديوان الكبير** د.ط، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، 1954.

72. ـــــــــــــــــــــ ، **الفتوحات المكية**، فهرسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، دس،ج1.

73. ـــــــــــــــــــــ ، **ذخائر الاعلاق في شرح ترجمان الأشواق**، د.ط، المطبعة الأندلسية، بيروت، 1313هـ.

74. ـــــــــــــــــــــ ، **كتاب الخلوة**، تح: بكري علاء الدين، د.ط، د.د، د.م.

75. ـــــــــــــــــــــ ، **رسائل بن عربي**، تح: سعيد عبد الفتاح، ط1، دار الانتشار العربي، بيروت، 2001، ج1.

76. ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت546هـ/1146م)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1.

77. ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت1089هـ/1679م) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1986، ج5.

78. الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس(ت704هـ/1304م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: عادل النويهض، د.ط، دار الأفاق الجديدة، بيروت.

79. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي(ت505هـ/1111م)، **إحياء علوم الدين**، ط1، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 2005.

80. ــــــــــــــــ ، **المستصفى من علم الأصول**، تح: ناجي سويد، د.د،د.م، د.س ج1.

81. ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين(ت799هـ/1397م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: مامون بن يحي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1996، ج2.

82. ابن فرضي أبو وليد عبد الله بن محمد(ت403هـ/1012)، **تاريخ علماء الأندلس** تح: روحية عبد الرحمان السويفي، د.ط، دار الكتب العلمية بيروت، 1983.

83. الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ/1414م)، **القاموس المحيط**، مر: انس محمد الشافي وزكريا جابر أحمد، د.ط، دار الحديث، القاهرة، 2008.

84. القاضي أحمد المكناسي(ت1025هـ/1616م)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، د.ط، دار منصور للطباعة، الرباط ، 1973.

85. القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي(ت544هـ/1148م)، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تح: الحسين شواط، د.ط، دار بن عفان، المملكة العربية السعودية 1994.

86. ــــــــــــــــ ، **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، تح: ماهر زهير جرار ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982.

87. ابن قرقول أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي الوهراني (ت569هـ/1173م) **مقدمة مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتها وبيان مختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها**، تح: أحمد عويس الجنيدي، ط1، دار الفلاح، قطر، 2012م ج1.

88. ابن قسي أحمد (ت546هـ/1150.)، **خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين** تح: محمد الأمراني، ط1، د.ط، اسفي، 1997.

89. ابن قطان أبو الحسن علي الفاسي المراكشي(ت670هـ/1271م)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990.

90. ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب (ت1407/810م) **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد الزكي، د.ط الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

91. ابن القيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين محمد(ت751هـ/1350م)، **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، ط1، دار الحديث، القاهرة مصر، 2001م.

92. ـــــــــــــــــــــــ ، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، تح: محمد عزيز شمس، د.ط دار عالم الفوائد، د.س.

93. الكتبي محمد بن شاكر(ت764هـ/1362م)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تح: إحسان عباس د.ط، دار صادر، بيروت، ج3.

94. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي(ت774هـ/1373م)، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، دار بن حزم، بيروت لبنان، 2000.

95. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **معجم الوسيط**، ط5، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة مصر 2011.

96. المراكشي عبد الملك(ت703هـ/1303م)، **الذيل والتكملة**، تح: محمد بن شريفة، د.ط مطبوعات اكادمية المملكة المغربية، الرباط، 1984، ج8.
97. المراكشي عبد الواحد بن علي (ت647هـ/1250م)، **وثائق المرابطين والموحدين**، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافية الدينية، مصر، 1997.
98. ــــــــــــــــ ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب قسم الموحدين**، تح: محمد سعيد العريان، د.ط، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، 1949.
99. ابن مريم التلمساني أبو عبد الله بن محمد(ت1020هـ/1611م)، **البستان في ذكر الأولياء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، د.س.
100. المقري التلمساني أبو العباس أحمد بن محمد(ت1041هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، ط1، دار البصائر، لبنان، 1988.
101. ــــــــــــــــ ، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تح: مصطفى السقا د.ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939.
102. المقريزي تقي الدين(ت845هـ/1442م)، **المقفى الكبير**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1991، ج7، ص 505.
103. ابن المنظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ/1311م)، **لسان العرب** ط.3، دار صادر، بيروت، 2004م، ج3.
104. المهدي محمد بن تومرت(524هـ/1130م)، **اعز ما يطلب**، تح: عبد الغني أبو العزم، د.ط مؤسسة الغني للنشر، الرباط المغرب، د.س
105. مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص153
106. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي(ت1315هـ/1897م)، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، د.ط، دار الكتاب، دار البيضاء 1954م، ج2.

107. نباهي علي بن عبد الله (ت بعد792هـ)، **تاريخ قضاة الأندلس**، د.ط، دار الكتاب المصري القاهرة، 1948

108. ابن النديم(ت384هـ/994م)، **الفهرست**، د.ط، دار المعرفة، بيروت لبنان، د.س،

109. الوزان حسن(ت957هـ/1550م)، **وصف إفريقيا**، د.ط، د.د، الرباط، 1983، ص 176.

110. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي(ت914هـ/1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب**، تح: محمد حجي وآخرون، د.ط، دار الغرب لإسلامي، بيروت لبنان، 1981، ج5.

111. ابن يونس الصقلي أبو بكر بن عبد الله(ت451هـ/1059م)، **الجامع لمسائل المدونة والمختلطة**، تح: أحمد بن علي أبو الفضل الدمياطي، ط1، أم القرى، 2012م، ج1.

ثانيا: المراجع

1. التهامي إبراهيم، **الاشعرية في المغرب دخولها رجالها تطورها وموقف الناس منها** ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2006.
2. بوتشيش إبراهيم القادري، **مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين،** ط3، مطبعة سجلماسة، مكناس المغرب، 2016.
3. محمود أحمد بكير، **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب،** ط1، دار قتيبة ، تونس .1990
4. السمرائي أسامة عبد الحميد حسين، **دولة الموحدين تأسيسها ثورتها تنظيماتها عقيدتها**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
5. بلاسيوس آسين، **ابن عربي حياته ومذهبه،** تر: عبد الرحمان بدوي، د.ط، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، د.س.
6. إيهاب كمال، **الفرق الإسلامية**، د.ط، الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة.
7. بوزيان الدراجي، **القبائل الامازيغية أدوارها مواطنها أعيانها**، د.ط، دار الكتاب العربي الجزائر، 2007، ج1.
8. الغلبزوري توفيق بن أحمد الإدريسي، **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها أعلامها أصولها وآثرها**، ط1، دار بن حزم، الرياض، 2006م.
9. جمال أحمد طه، **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين(448هـ/1056م الى668هـ/1269م) دراسة سياسية وحضارية**، د.ط، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، دس.

10. حسان محمد حسان، **ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي**، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.

11. جلاب حسن، **الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب**، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، 1995.

12. علوي حسن حافظي، **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي**، مطبعة فضالة، المغرب، 1997.

13. حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، كلية دار العلوم، القاهرة، دس.

14. حماية حمود علي، **ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان**، ط1، دار المعرف، مصر 1983.

15. السيوطي خالد عبد الحليم عبد الرحيم، **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ابن حزم والخزرجي**، د.ط، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، د.س.

16. الزركلي خير الدين(ت1976م)، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، د.ط، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ج7.

17. لي تورنو روجي، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر** تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1982.

18. غارودي روجيه، **الإسلام في الغرب قرطبة عاصمة العالم والفكر**، تر: ذوقان قرقوط ط1، دار دمشق، سوريا، 1995.

19. إبراهيم زكريا، **ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي**، د.ط، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.س.

20. رستم سعد، **الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات – النشأة – التاريخ – العقيدة– التنوع التاريخي**، ط3، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2005.
21. أعراب سعيد، **مع القاضي أبو بكر بن العربي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987.
22. الأفغاني سعيد، **نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي**، ط2، دار الفكر، بيروت 1969.
23. الحوالي سفر بن عبد الرحمان، **أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية**، د.ط، د.م د.س.
24. الرقب شفيق محمد عبد الرحمان، **شعر الجهاد في عصر الموحدين**، مكتبة الأقصى الأردن، 1984.
25. بن قربة صالح، **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.
26. ديب صفية، **التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، ط2، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
27. سرور طه عبد الباقي، **محي الدين بن عربي**، د.ط، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة مصر، 2012 .
28. عبد الهادي السيد عبد الباقي، **الظاهرية والمالكية وآثارهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2014.
29. ـــــــــــــــــ ، **ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي**، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2014.

30. ـــــــــــــــــــــ ، **تاريخ أهل الظاهر (الخلفاء والولاة والأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والمحدثين والمفسرين والمؤرخين والصوفية والقراء والنحاة والبلغاء والشعراء والفلاسفة والأطباء والصيادلة والمجاهدين والموسيقيين والمهندسين والتجار والنساء)** ،ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2014.

31. الطاهري عبد الحق، **الدولة الموحدية أسس الشرعية والمشروع السياسي**، د.ط أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2015.

32. اعويس عبد الحليم، **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**، ط2 الزهراء للعداد العربي، د.م 1988.

33. عايش عبد الفتاح، **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002**م، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ج4.

34. غلاب عبد الكريم، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005م، ج2.

35. الكنون عبد الله، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، د.د، د.م، د.س.

36. ـــــــــــــــــــــ ، **أمراؤنا الشعراء**، د.ط، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971.

37. النجار عبد المجيد، **ابن تومرت حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

38. تازي عبد الهادي، **جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري**، ط2، دار المعرفة للنشر، الرباط، 2000، ج2.

39. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق القاهرة. .

40. علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، **المجلى في تحقيق أحاديث المحلى ومعه الصناعة الحديثية عند بن حزم**، ط1، دار المأمون للتراث، دمشق، 1995.

41. علي محمد الصلابي، **صفحات من التاريخ الإسلامي دولة الموحدين**، د.ط، دار البيارق للنشر، عمان. د.س.

42. بروفنسال ليفي، **رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، د.ط، معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1941.

43. المنصوري المبروك، **الاشعرية في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس هجري والمفهوم والأدوار الحضارية**، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سوسة، تونس.

44. محمد إبراهيم الفيومي، **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، د.ط، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1962.

45. الكتاني محمد إبراهيم ، **حول كتابين هامين المورد الأحلى في اختصار المحلى لابن حزم والقدح المعلى في إكمال المحلى لابن خليل**، مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين، ميونخ ، 1957.

46. المنوني محمد، **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين** ، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.

47. الحجوي محمد بن الحسين الثعالبي، **الفكر السامي في تاريخ الفكر الاسلامي**، د.ط د.د، د.م، د.س.

48. الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس الحسني، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، تح: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد جعفر بن الكتاني د.ط، دار البشائر الإسلامية، د.م، ج1.

49. مخلوف محمد بن محمد (ت1941م)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، د.ط المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

50. منصور محمد خالد وآخرون، **مقدمات في علم القراءات**، ط1، دار عمار، عمان الأردن، 2001.

51. حاج يوسف محمد علي، **شمس المغرب سيرة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ومذهبه**، ط1، للدراسات والترجمة والنشر، حلب سورية، 2006.

52. السنوسي محمد مختار، **خلال جزولة**، د.ط، مطبعة المهدية، تطوان المغرب، د.س

53. نحلة محمود أحمد، **أصول النحو العربي**، د.ط، دار العلوم العربية للطباعة والنشر د.م، 1987.

54. مصطفى بن محمد بن مصطفى، **أصول وتاريخ الفرق الإسلامية**، د.ط، د.د 2003.

55. السرطاوي معاذ، **ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية**، د.ط، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1988.

56. الخادمي نور الدين، **الدليل عند الظاهرية النص الإجماع القياس الاستصحاب مفهوم الموافقة مفهوم المخالفة الحكم الشرعي العموم والخصوص الترادف المشترك اقل ما قيل**، ط1، دار بن حزم، لبنان، 1993.

57. زحيلي وهبة، **الفقه الإسلامي وأدلته**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1985، ج1.

58. النباهي يوسف بن إسماعيل، **جامع كرامات الأولياء**، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط1 مركز الهلنسة بركات رضا فور بندر غجرات، الهند، 2001.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1. حسين عبد الرحيم سليمان مصطفى، **دور عبد المؤمن بن على الكومي بنشر دعوة بن تومرت وإقامة دولة الموحدين في المغرب الإسلامي المغرب والأندلس**، رسالة دكتوراه في التاريخ، إشراف: محمد عبده حتامله، جامعة الأردن، 1993.
2. خالد شكر محمود صالح الفراجي، **شعر الرصافي الرفاء البلنسي دراسة موضوعية- فنية**، رسالة ماجستير قدمت لجامعة ابن رشد بغداد، إشراف عبد الرحمان كريم عذاب اللامي، 2003م.
3. عصام عبد حمود عبد الله المرعاوي، **النزاعات الداخلية في المغرب في عصر الدولة الموحدية(541-668هـ/1147-1269م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف بديع محمد إبراهيم الكربولي، قدمت لجامعة الانبار، 2016، ص 71.
4. عقون مليكة، **إشكالية الإمامة في الفكر السياسي العربي الإسلامي المهدي بن تومرت أنموذجا**، أطروحة دكتوراه قدمت لقسم الفلسفة، إشراف، عبد اللاوي محمد، جامعة وهران، 2013/2012.
5. مبارك بشير، **ادوار المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى السابع الهجريين العاشر الثالث عشر ميلاديين**، رسالة دكتوراه، إشراف شقرون الجيلالي، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس.
6. محمد جمال محمد الهوبي، **أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي (580- 595هـ/1184-1199م)**، رسالة ماجستير، التاريخ الإسلامي، إشراف: خالد يونس الخالدي جامعة غزة، 2017.
7. الحاج علي عرباوي، **أحكام التقليد بين ابن عبد البر المالكي وابن حزم الظاهري وأثرها الفقهي**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفقه وأصوله إشراف: عبد القادر بن حرز الله، قدمت لجامعة باتنة، 2010/2009.

رابعا: المقالات

1. أكرم حسين غضبان، الحياة الدينية للموحدين في عهد الخليفة يعقوب المنصور، **مجلة أبحاث البصرة**، جامعة البصرة العراق، مج 38، ع1 2013.
2. بلقاسم بن عودة، الحركة العقلية في المذهب الظاهري وأثرها على اللغة على عهد ملوك الطوائف ابن مضاء القرطبي أنموذجا 511-592هـ/1118- 1196، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، مجلد الأول، العدد الثاني، سبتمبر 2018.
3. حسان عبد الكريم، الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في عصر الموحدين **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات المتوسطية**، العدد الثالث، 2016.
4. عبد العزيز باسو، المدونة الكبرى أصلها ونشأتها، **بحوث جامعة الجزائر** ع2، مج9.
5. عاشور خضراوي، الاستحسان عند الأصوليين وإشكال مقولة الإمام مالك:"الاستحسان تسعة أعشار العلم" ومقولة الإمام الشافعي "من استحسن فقد شرع"، **مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية**، مج9، ع1.
6. مبارك بشير، المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي عوامل الدخول والانتشار **الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية** مجلد 9، العدد 1، جوان 2018.
7. محمد المغراوي، **الموحدون والمذهب الظاهري**، في الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 157، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط 2008.
8. محمد بن السايح، المصالح المرسلة في المذهب المالكي، **مجلة الدراسات الإسلامية**، مج3، ع4.

9. محمد بن اليلو الجزولي، أبو عمرو السلالجي الفاسي(ت574هـ) صاحب العقيدة البرهانية مجدد المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي في القرن 6هـ **مجلة متون**، المجلد7، العدد2، 2014.

10. محمد رواس قلعه جي، ابن حزم في المحلى، **مجلة الحضارة الإسلامية** ع 5، 1966.

11. المغاري الحسين، مظاهر اهتمام بالدرس الأصولي بقاعدة سد الذرائع **مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية**، مج6، ع1.

خامسا: المراجع الأجنبية

1. Khadijah Mmohd Khambali, **Ibn Hazm on Christianity: An Analysis to His Religious Approaches**, World Journal of Islamic History and civiliaction,IDOSI publication,2011.
2. Salim AL-Hassani Salah Zaimaeche , **Ibn Hazm philosophy and thoughts on science**, Victoria pa K Manchester, United Kingdom, fstc limited, 2003- 2004
3. Samir Kadouri, Disssimulation des opinions politiques sou contrôle Le cas d'Ibn Hazm à Séville, Al-QAntara,xxxv 01, enoro- junio 2014

الفهارس

أولا: فهرس الآيات

الصفحة	الآية
.33،47	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾
.35	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾
.36	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾
.47	﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾
.50	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾
.50	﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾
.52	﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾
.149	﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾

ثانيا: فهرس الأشعار

ثالثا: فهرس المؤلفات

خامسا: فهرس الأعلام

خامسا: فهرس القبائل

سادسا: فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المحتويات

ملخص

يعالج هذا البحث موضوع الإسهامات العلمية لعلماء المذهب الظاهري في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط في القرنين السادس والسابع في فترة حكم دولة الموحدين بالمغرب، وتناولنا في البحث نشأة وبروز المذهب الظاهري بالمشرق ودخوله إلى الأندلس من القرن الثالث إلى غاية القرن الخامس.

وركزنا في الدراسة على فترة حكم الموحدين التي عرفت انتشارا كبيرا للمذهب، وتبني السلطة السياسية له من خلال اهتمام الحكام بالعلم وتشجع العلماء على التأليف والكتابة فيه فظهر العديد من العلماء الذين كان لهم دورا بارزا في إثراء الحركة العلمية، فقد برز الفقهاء والمفسرون والمحدثون والقراء واللغويون والشعراء والأدباء، وغيرهم من الذين ساهموا في بعث الحركة العلمية خلال هذه الفترة، كما يعالج الموضوع موقف الظاهريون من المذاهب المنتشرة الأخرى في بلاد المغرب مثل المذهب المالكي وموقفهم أيضا من الفرق الإسلامية والمتصوفة وأهل الذمة.

الكلمات المفتاحية: المذهب الظاهري، العلماء، دولة الموحدين، العلوم الدينية، العلوم الأدبية

Summary

This research deals with the topic of the scientific contributions of al-Zahiriyyah's scholars in the Islamic West during the medieval era in the sixth and seventh centuries during the period of the rule of the Almohad Caliphate in Morocco. In this research, we dealt with the emergence of al-Zahiriyyah in the East and its entry into Andalusia from the third century until the fifth century.

In the study, we focused on the periods of the Almohads' rule, which witnessed a great spread of the sect and the adoption of political authority for it through the rulers' interest in science, and the encouragement of scholars to write in it. So many scholars who had a prominent role in enriching the scientific movement emerged, including jurists, interpreters, modernists, readers, linguists, poets, writers, and others who contributed to reviving the scientific movement during this period. The topic also deals with the position of the al-Zahirists towards the other sects spread in the Maghreb like the Maliki sect, and their position also towards the Islamic sects, mystics, and dhimmis.

Keywords: al-Zahiriyya, scholars, Almohad Caliphate, religious sciences, literary sciences.